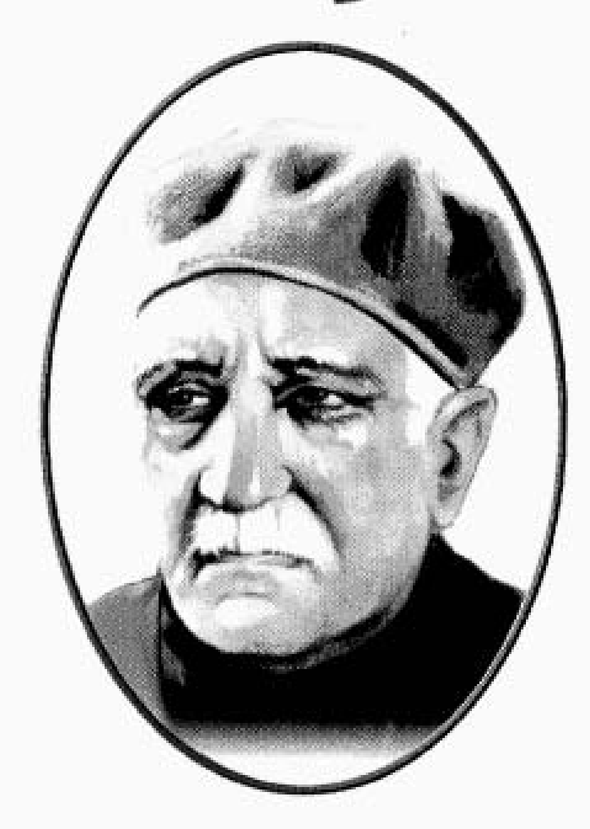
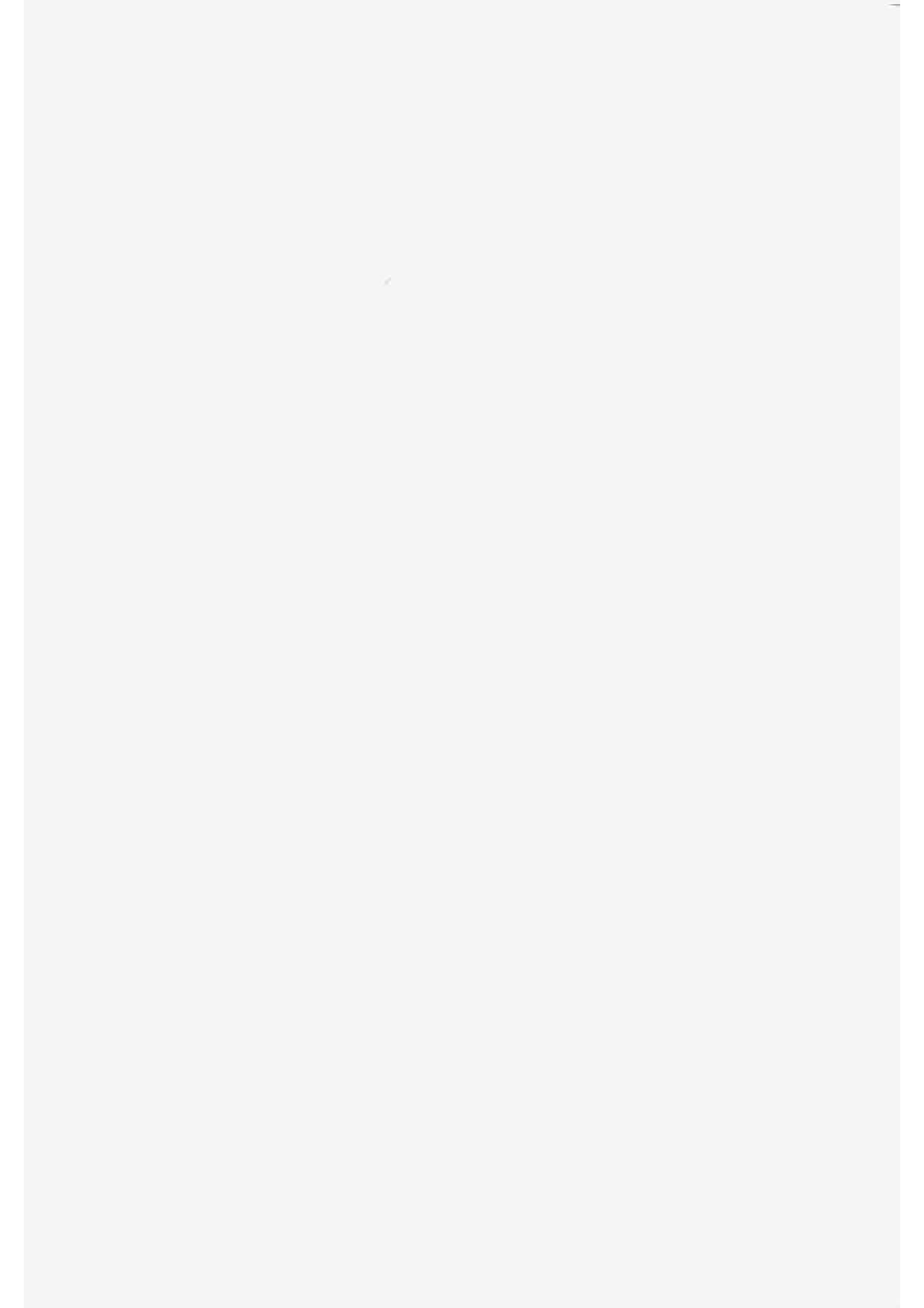
عباس محمود العقاد



ديوان من دواوين







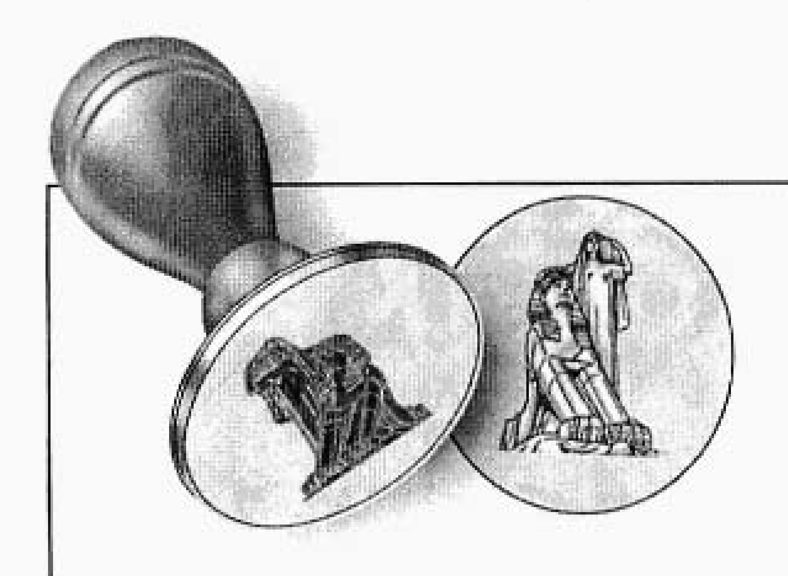
مقتبس من : يَقَظة الصباح . وَهَج الظهيرة .
أشباح الأصيل . أشجان الليل .
وحى الأربعين . هديَّة الكروان .
عابر سبيل . أعاصير مغرب .
بعد الأعاصير . . . ما بعد البَعد .

نظم

عبّاس محمود العقاد



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨



اسم الكتاب	ديوان من دواوين
اسم المؤلف	عباس محمود العقاد
إشراف عام	داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر	يناير ٢٠٠١
رقم الإيداع	١٧٥٧٣ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولي	I . S . B . N 977 - 14 -1450-X
الناشر	نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسي	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة . مدينة السادس من أكتوبر . ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط) فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة .
إدارة النشر	٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ إمبابة .

بســـــم الله الرحمن الرحيم

بين يدى القراء

اسم هذه المجموعة يدل على موضوعها ، لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم ، وهى : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، وأشجان الليل ، ووحى الأربعين ، وهدية الكروان ، وعابر سبيل ، وأعاصير مغرب ، وبعد الأعاصير ، ومايلى من شعرٍ نُظم بعد صدور هذا الديوان الأخير .

وقد نفدت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفدت فى حينها ، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعا إلا القليل ، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعا ويطلبون إرسالها إليهم ، وبخاصة قراء البلاد العربية التى لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها فى بعض العهود ، فترددنا بين طبعها فى مجلد واحد وبين إعادتها أجزاءً متفرقة كما صدرت أول مرة ، وكلاهما لا يغنى فى تيسير المطلوب منها ، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن ، فآثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التى تنوب عن شعر الدواوين جميعا إلى حين ، وتتم أبواب الشعر فى جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء .

ويطيب لنا أن نشير إلى نفاد هذه الدواوين لأننا نستفيد منه ميزانا من موازين الأدب فى عمومه ، وميزانا من موازين الشعر على الخصوص ، وميزانا من موازين الشعر فى عصرنا هذا على الأخص ، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان ، وإلى بيان .

فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقاد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال .

وأصدق ما يكون ذلك الميزان فى دلالته على القول الأخير فى نقد الشعر أن يكون هذا الشعر مما يتفق محبوه وخصومه على أنه كلام لا يوصف بالصبغة السطحية ولا يستهوى الجهلاء ببهرج رخيص قليل الحظ من الفهم والتفكير ولا يستثير الغريزة التى تسوّغ ما ليس بالسائغ فى موازين النقد والتمييز .

وبين يدى هذا المرجع الأمين ، بل هذا الموئل القرير الذى لا نرتضى لكلام نقوله موئلا سواه ، نقدم هذا الديوان من الدواوين كما قدمناها جميعًا من قبل ، شاكرينً ذاكرين .

عباس محمود العقاد

خـواطِرٍ وتأمّـلات

النـــــور(*)

(... إلى أين ينتهى بنا تحليل النور على أيدى علماء الطبيعة فضلا عن الفلاسفة والمتصوفة ؟ ينتهى بنا إلى أنه « معنى » يشبه المعانى المجردة ، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب) .

النور سر الحياة — النور سر النجاة
النور وحى النُّهى — النور وحى الصلاة
النور شوق الفتى — النور شوق الفتاة
المْحُهُ بالروح لا — لمح العيون الخُواة
ما تبصر العين من — معناه إلا أداة
هذا سبيل الهدى — لا ما افتراه الهُداة !

* * *

إلى غاندى (*)

حين أعلن الصيام

أتيتَ إلى الدنيا العريضة عاريا — وتقضى بها جوعًا ، وماعزٌ مأكل !
تركتَ لهم حتى الطعام فقل لنا — على أى شيء بعد موتك تُقبِل
إذا البؤس والحرمان كان شفاعةً — لعالمك الأعلى ، فما هو أفضل
إذا كان ماندعوه بؤسى غنيمةً — لمن يطلب النعمى فبئس المعوّل

(*) النور : وحى الأربعين .
(*) إلى غاندى : وحى الأربعين .

الوجه الفيلسوف(*)

أرى لك أنتَ فلسـفـةً صُـراحًـا ... بلمح العين أقـرأها جـمـيـعـا
أذم العـيش فى ألفَىْ كِـتـابٍ ... وتَعـرض لى فـأمـدحـه سـريعًـا
إذا مـا الفـيلسـوف أطال سـخطىً ... على لؤم الحـيـاة فكن شـفـيـعـا
غنيتَ عن الأدلة والأحـاجى ... ومن حـاجـاك[1] لم يكُ مـستطيعـا

* * *

القدر يشكو(*)

صـغـيرٌ يطلب الكبَرا ... وشـيخ ودّ لو صـغـرا
وخـال يشـتـهى عـمـلا ... وذو عـمـل به ضـجـرا
ورَب المـال فـى تـعـب ... وفى تعب مَن افـتـقـرا
ويشـقـى المرء منهـزمـا ... ولا يرتاح منتـصـرا
ولا يرضى بلا عَـقِـبٍ ... فإن يُعقبْ ، فلا وزرا[2]
ويبـغى المجـد فى لهَفٍ ... فـإن يظفـر به فـتـرا
ويخـمـد إن سـلا ، فإذا ... تولَّه قلبـه زفـرا
فـهل حـاروا مع الأقـدا ... ر أو هم حيروا القَدرا ؟
شكاةٌ مـالهـا حَكَمَ ... سوى الخصمين إن حضرا

(*) الوجه الفيلسوف : وحى الأربعين .

(١) حاجاه : غالبه بالحجى : أى العقل ، أو ألقى عليه الأحاجى والألغاز .

(*) القدر يشكو : وحى الأربعين .

(٢) الوزر : الملجأ والمعتصم .

الحمد المعكوس (*)

يارب حـــمـــد لم ينله الذى — قـد ناله إلا لهـــجـــوى أنا
ورب هجـــوٍ طافَ بى لم يكن — يطوف بى لو لم أكن مـحـسنا

* * *

عدل الموازين (*)

إنّا نريد إذا مــا الظلم حــاق بنا — عـــدل الأناسىِّ لا عـــدل الموازين
عـدل الموازين ظلمٌ حين تنصبـهـا — على المســاواة بين الحـــرّ والدون
مــافـرّقت كـفـة الميزان أو عـدلت — بين الحلىِّ وأحـــجـــار الطواحين

* * *

الخبز والفقير (*)

أحـسب الخـــبـــز لو درى لتـأبّى — فى يد الجــائع الفـــقـــيـــر إليـــه
إنما تُسلس الطّلاب جـــمـــيـــعـــا — لامـــرىءٍ هانت الطلاب عليـــه

* * *

شطور (*)

دليلٌ على أن الكمــال مـــحـــرّمٌ — إناثٌ خُلقنا بينهـــا وذكـــور
فـمـا المرء فى جـسم وروح بكامل — ولكـنٌ كـل العـــالمين شطور

(*) الحمد المعكوس : وحى الأربعين . ٤٢
(*) عدل الموازين : وحى الأربعين . ٤٣
(*) الخبز والفقير : وحى الأربعين . ٤٣
(*) شطور : وحى الأربعين . ٤٥

الآمـــال (*)

كانت الآمال تحملنى فأرانى اليوم أحملها
إن أحلاما تعللنى غير أحلام أعللها

* * *

يوم ميلادى (*)

يوم ميلادى تقدّمْ وتأخَّرْ ... وتكلَّم
لاتقل لى قبل عام كيف كنا ؟ أنا أعلمْ
لا تقل لى بعد عمرى كيف نُمسى ؟ لستَ تعلم
غاية الأمر أظانين ، وبعض الظن يأثم
سوف نمسى مثل ما كنّا ، ولم نولد ونُفطَم

إن يكن ذلك شيئًا لستُ بعد الموت أعدَم
أو يكن ليس بشىءٍ أترى « لاشىء » يندم ؟
أَية الحالين قل لى بعد طول العمر أسلم ؟ !
تظلم الموت إذا قلت ظلومٌ ليس يرحم
نحن لا بالموت أعطينا ولا بالموت نحرم
من يَعُدْ يومًا كما كان فقد تمّ وتمَّمْ
صفقة الأعمار فيها قلّةُ الخسران مغنم

(*) الآمال : وحى الأربعين .

(*) يوم ميلادى : بعد الأعاصير .

رجاء كاليأس (*)

أنا لم أيأس من الخـــيــر ولا　　أحـسب الشـر على الناس لزامـا
أنا أغنيت يدى عن خـيـرهم　　وأمنت الشـر من حـيث ترامى
فليكن من شـــاء منهم مَلَكا　　أو يكن جِنًّا على الكيـد أقـامـا
كلهم بعــدُ ســواءٌ عند من　　لا يَدين الناس شكرا وانتـقـامـا

* * *

الحب إعطاء (*)

لا تطلب الحب بين الناس تأخـذه　　بل فـاطلب الحب تُعطى منه مـاتجـد
أشــقى البــريَّة من لـم يَعنه أحــدٌ　　وليس من كـان لا يُعنَى به أحــد

* * *

موضع العجب (*)

لا تعـــجبنَّ لعـــيب　　واعـجب لفـضل ونبل
نقص الطبـــائع أصلٌ　　والفـــضل ليس بأصل

* * *

أغلب الظن (*)

أنا شيءٌ فكيف أصــبح « لاشىْ　　ء » إذا تم للحـــيـــاة مـــداها ؟
أغلب الظن أننى ســوف أرقى　　غـــايةً بعـــدها تفـــوق ذراها !

(*) رجاء كاليأس : بعد الأعاصير .
(*) الحب إعطاء : بعد الأعاصير .
(*) موضع العجب : بعد الأعاصير .
(*) أغلب الظن : بعد الأعاصير

موت الحى (*)

أعجب من حياة الميت

فيم عشنا وغاية العيش موت ؟ فيم متنا ، وغاية الموت بُقيا ؟
أعجب الحالتين عندىَ حىٌّ سوف يفنى ، لا ميتٌ سوف يحيا

* * *

زمانُ الذرّة (*)

دعوا الذرَّة تطغى فى زمان يعبد الذرَّهْ
صغيرٌ كل مافى الأر ض من جاه ومن شُهرهْ
ومن خير ومن شر ومن رأى ومن فِكرهْ
فلو قيسوا بلا جسم لما ضاقت بهم إبرهْ

* * *

هذا وهذا وهذا (*)

قلت لعمرو : خاننى خالد ! وخاننى عمرو ، فماذا أقول . . ؟
أبلغتها زيدًا فما زادنى عن صاحبيه ، فاختوانى الذهول
ناجيتهم سراً ، وبى خيفةٌ من أناجيه ، ففيه فضول !
ثق من خيانات بنى آدم إذن وقل أنتم ثقات عدول
لاتشكُ هذا ، عند هذا ، ففى هذا ، وهذا ، عنصر لا يحول
كلُّ بنى الدنيا - ومن بينهم أنت - فروع جمّعتها الأصول

* * *

ميثاق الأمم (*)

أجيبوا صيحة الدنيا وهبُّوا ولبُّوا داعى الميثاق ، لبوا
توافقت الشعوب على رجاء فلا ينكلْ عن الميدان شعبُ

(*) موت الحى أعجب من حياة الميت : بعد الأعاصير .
(*) زمان الذرة : بعد الأعاصير .
(*) هذا وهذا وهذا : بعد الأعاصير .
(*) ميثاق الأمم : بعد الأعاصير .

ولا تصغوا إلى من قال «دعوى ... يروِّج أمرها باغ وخِبُّ»
هبوهم خادعين ، فهل رأيتم ... مخادعةً بشىء لا يُحَب ؟
إذا الأقوام جدَّ بها هواها ... إلى حق فما فى الحق صعب
ولو لم تصبُ دنياكم لسلم ... لما خُدعتْ به من حيث تصبو

* * *

تهنئة بمولد (*)

مهنئى أنت يا صديقى ... بمولدى - طبتَ من صديق
أنسيتنى أنه غروب ... ساعةَ هنَّأتَ بالشروق
تسع وخمسون فى طريق ... لم أدر ما وجهة الطريق
أُسائلُ الركب أين يمضى ؟ ... وكلهم ها هنا رفيقى
لا أنا أدرى ولا رفاقى ؟ ... يدرون بالموعد الوثيق
ركبٌ عجيبٌ بلا دليلٍ ... من محدَث فيه أو عتيق
إذا مضى منهم فريقٌ ... ألْفى المطايا إلى فريق
وكلهم يبتغى مسيرا ... فى مَشرع سار أو مضيق
يطيق طول السَّفار عدوًا ... وليس للمُهل بالمطيق
إخالنا كلنا وقوفا ... هنا على موقف عميق
فى أبدٍ لا زمان فيه ... مقترِن السبق باللحوق
أقرب من يومنا وأوفى ... من طارق الليل فى الطروق
يكاد لولا الحجاب يبدو ... كالظل من ستره الرقيق
أتُغْصَب العينُ حول سر ... والسر فى موضع سحيق ؟

* * *

حشرات (*)

ما وجدنا من البرية إلا ... خُلقًا زائفًا وجهلا مبينا
حشراتٌ لا تعرف الخير والشـ ... ـرَّ وفيها الهلاك للعارفينا

* * *

(*) تهنئة بمولد : بعد الأعاصير .

(*) حشرات : الجزء الأول .

ألم اللذة ولذة الألم (*)

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها ... تنام إذا طال الصــيــاح على النَّهَمْ
وقــهــر الفــتى آلامَــهُ فــيــه لذةٌ ... وفى طاعــة اللذات شىءٌ من الألم

* * *

الحياة حياة (*)

قــالوا الحــيــاة قــشــور ... قلنا : فــأين الصــمــيمُ
قــالوا «شــقــاءٌ» فــقلنا ... نعم ! فــأين النعــيم ؟
إن الحــيـــاة حــيـــاة ... فــفــارقــوا أو أقــيــمــوا

* * *

المجد والفاقة (*)

ضلَّ الصوابُ وغُمَّ الأمر واشتبهت ... على المراقب يمناه بيــســراه
شــيبٌ عُــراةٌ وأطفــالٌ مــجــوَّعــةٌ ... ونســوةٌ نســيت مــا ليس تنســاه
لــيس البــلاء بلاء القــوت نندبه ... بل البــلاء بلاء الخُلق ننعــاه
ما أبخس الروحَ فى مصر وأرخصها ... وأنفس الخــبــز فى مــصــر وزغــلاه
لا تحــســبــوا أمــة يعلو أعــاظمــهــا ... إذا الفــقــيــر طلابُ القــوت أعــيــاه
أيرزح القــوت فى أرض بطالبــه ... ويبلغ المجدَ فــيــهــا من توخــاه ؟
هبكم قــسوتم على من ذَنبُه كــسلٌ ... عن غــمــرة العــيش يثنيــه وينهــاه
مــا بالُ مَن ذنبــه يــاقــوم أنكم ... فى العجز لا فى اقتسام الرزق أشباه
دفنتم المال آكــامــا فــهل نبــتت ... فى باطن الأرض أو زادت خــبــايــاه
إن العــزيز لــيــأبى الذل يلمــحــه ... كــالإثم يأبى العــفــيفُ الذيل رؤياه
والهفَ نفــسى على قــوم إذا نظروا ... ذل الفــقــيــر سعــوا فى كــشف بلواه
وألف لهفٍ على قــوم إذا شــغــفــوا ... بالمال يدرون فى الدنيــا مــزايــاه

* * *

(*) ألم اللذة ولذة الألم : الجزء الأول .
(*) الحياة حياة : الجزء الأول .
(*) المجد والفاقة : الجزء الأول .

الوجوه الكاذبة (*)

سحقاً لهاتيك الوجوه فإنها ... كذّابةٌ لا تحسن التمويها
حسنتْ ولو نقلت صفات نفوسها ... لرأيت أقبح ما رأيت وجوها

* * *

إلى السعادة (*)

مهْ ياسعادة عنى ... فما أنا من رجالكْ
لا تطمعى اليوم منى ... بالسعى خلف خيالك
فقد سألتك حتى ... مللت طول سؤالك
وقد جهلتك لمّا ... سحرتنى بجمالك
إن الحبيب بغيضٌ ... إذا استعزَّ بخالك (1)
فلا تُمرّى ببالى ... ولا أمرُّ ببالك
أشقى الأنام أسيرٌ ... معلقٌ بحبالك

* * *

اللؤم سلاح (*)

يسر صديقى أن يرانى مُبرَّأً ... من اللؤم موسوما بكل سماح
كما سرَّ خصما أن يراك أمامه ... تنازله حربًا بغير سلاح
هو اللؤم سيفٌ للّئيم وجُنةٌ ... من الناس ، والدنيا مجال كفاح
فواهًا لنفسى فى المجال مجرَّدًا ... أضعت مِجنى(2) بينهم ورماحى

* * *

العقل والجنون (*)

ليس بين الجنون والعقل إلا ... خطوتًا سائر فحاذرْ وأمسكْ
أول الخطوتين نسيانك النا ... سَ ، وأما الأخرى فنسيان نفسك

* * *

(*) الوجوه الكاذبة : الجزء الأول . (*) إلى السعادة : الجزء الأول .
(1) الخال : الكبرياء والخيلاء ، أى أن أحب الأحباء تمجه النفوس إذا أفرط فى الخيلاء .
(*) اللؤم سلاح : الجزء الأول . (2) المجن : الترس . (*) العقل والجنون : الجزء الأول .

الرجاء (*)

مـــا للرجـــاء كــأنه نَغمٌ ... يدنو فـأسـمـعـه فـيـبـتـعـد
يا ضـاحكا للناس يخـدعـهم ... هلاَّ وفـيـت لهم بما تعـد
لو نال منك الناس أجـمـعـهم ... فـــوق المرام لأمكـن المدد
لكنْ بخلت فـمـا يزال لهم ... شـوقٌ إلى شـوق وإن جـهـدوا
وردوا إليك فكان أظمـأهم ... قلبًـا على شطّيك مَن وردوا

* * *

حظ الشعراء (*)

ملوكٌ ، فـأمـا حـالهم فـعـبـيـد ... وطيـرٌ ، ولكنّ الجـدود قـعـودُ
أقاموا على متن السحاب فأرضهم ... بعـيـد ، وأقطار السـمـاء بعـيـد !
مجانينُ تاهوا فى الخيال فودعوا ... رواحـة(1) هذا العـيش وهو رغـيـد
ومـا سـاء حظ الحالمين لو آنهم ... تـدوم لهم أحـلامـهـم وتجـود
فـوارحـمـتـا للظالمين نفوسَهم ... ومـا أنصفـتـهم صـحـبـة وجـدود
ويذرون من مس العذاب دموعهم ... فـيُنظم منهـا جـوهر وعـقـود
بنى الأرض كم من شاعر فى دياركم ... غـبـين ، وغبن الشـاعـرين شـديد
بنى الأرض أولى بالحياة جميلةً ... مـحبٌ عليـهـا من حـلاه نضـود
مـحبٌ تناجيه بأسرار قلبها ... ومـهـمـا تردْ فى العـيش فـهـو يريد
على أنه قـد يبلغ السؤالَ خاطب ... خليٌ ويُزوى عن هواه عـمـيـد
بنى الأرض لاتنضوا له السيف إنه ... يُذاد عن الدنيـا وليس يذود
أريدَ به للناس خـيـرٌ فلم يزل ... به عَـمـهٌ عن نفـسـه وشـرود
تجمّعت الأضداد فيه فحكمة ... وحـمـق ، وقلب ذائبٌ وجـمـود

(*) الرجاء : الجزء الأول .

(*) حظ الشعراء : الجزء الأول .

(1) رواحة : رفاهة .

حُمـاداه[1] صبرٌ فى الحيـاة وإنما
هى النار تخبـو ساعـة وتعـود

مقيم على عرش الطبيعة حاضر
ولكنه بين الأنام فـقـيـد

إذا جال بالعينين فالكون بيته
فـإن مـدّ بالكفين فهـو طريد

وأقصى مناه فى الحيـاة نهاره
وأدنى مناه فى المـمـات خلود

يرى الغيب عن بعد - فمقبل عهده
قديم ، وماضيه القديم جديد

إذا عاش فى بأسائه فهو ميت
وإن مات عاش الدهر وهو شهيد

شقاوته فى الشعر وهو هناؤه
وليس له عن حالتيه محيد

جنونٌ أحق الناس طرًّا بهجره
أولو الفهم - لو أن الفهوم تفيد

* * *

عـــزاء (*)

لا اليـأس أول يـأسٍ
ولا الرجاء بسرمدْ

فإن تقضّى رجاءٌ
فإنه يتجدّد

أو حلّ يأسٌ فأهلاً
إن الطريق ممهد

شقٌّ الطريقُ قديمًا
فالعود أهدى وأحمد

* * *

إنصاف الظالم (*)

أنصفتَ مظلوما فأنصف ظالمًا
فى ذلة المظلوم عذر الظالم

من يرضَ عدوانًا عليه يَضيره
شرٌّ من العادى عليه الغاشم

* * *

(١) حماداه : قصاراه أو خير ما يستطيعه .

(*) عزاء : وحى الأربعين .   (*) إنصاف الظالم : وحى الأربعين .

أحــلام الموتى (*)

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر العبقرى عبد الرحمن شكرى) :-

ستغرب شمس هذا العمر يومًا ... ويغمض ناظرى ليل الحمام
فهل يسرى إلى قبرى خيال ... من الدنيا بأنباء الأنام
ويُمسى طيف من أهوى سميرى ... ويؤنس وحشتى ترجيع هام
وأحلم بالزواهر دائرات ... وبالزهر المنوّر والغمام
ألا ليت النيام هناك تحظى ... بأحلام كأحلام النيام
وليت الورد يورق فوق رمسى ... فتعبق فى نوافحه عظامى
وأبسم فى أزاهره لِدُنيا ... عبست لوجهها فوق الرغام

فأجابنى بأبيات يقول منها :

وكان النصف أن نرضى بموت ... فلا طيف يساعد باللمام
أليس الكون أكبر منك شأنًا ... وأولى بالمقادر والنظام

فراجعته بالأبيات الآتية :

أبيتَ علىَّ أحلام الرجام ... تنير حواشىَ الموت الزؤام
رضينا بالحمام أصمّ يحشو ... منافذَ حِسِّه سافى الرغام
رضينا بالحمام كما رضينا ... بعيش نوره ظل الحمام
خلعت اسمى على الدنيا ورسمى ... فماأبكى رحيلى أو مقامى
حياتى فى حياة الكون طرًّا ... كقطر الغيث فى اللجج الطوامى
وما شمس الحياة بمستحيل ... سناها إن قضيتُ إلى ظلام
يظل الحسن فى المعشوق حسنًا ... وإن حسرت لحاظ المستهام

***

(*) أحلام الموتى : الجزء الأول .

ضيق الأمل (*)

شـرُّ مـايلقى الفـتى أجلٌ ... ضــيقٌ عن واسع الأمل
ولشــرٌّ منهـمـا أمل ... ضـيق فى فـسحـة الأجل

* * *

الشىء من غير معدنه (*)

لـيس أضنى لـفـؤادى ... من عـجـوز تتـصـابى
ودمـيم يتـحـالى ... وعليم يتـغـابى
وجـهـول يملأ الأر ... ض سـؤالا وجـوابا

* * *

خف العيش (*)

خفْ العـيش فـإن المو ... ت لا يفـجع مـولودا
وإن المـوت إذ يـأتـيـ ... ـك لا يلفـيك مـوجـودا !

* * *

السعادة (*)

إن الشـقىَّ الذى لا صِنْوَ يشـبـهـه ... وللأصـاغـر أشـبـاهٌ وأمـثـال
من شـابه الناسَ سـرَّته مـودتهم ... ومن عـلا عنهمُ سـاءت به الحـال
فـاهنأ بمجـدك إذ تشـقى بعـزلتـه ... وليـحظ بالصـفـو أوغـادٌ وجـهـال
إن السـعـادة تحت الأرض معـدنها ... لا يطلب السـعـد من آوته أجـيـال

(*) ضيق الأمل : الجزء الأول .
(*) الشىء من غير معدنه : الجزء الأول .
(*) خفف العيش : الجزء الأول .
(*) السعادة : الجزء الأول .

زماننـــــا(*)

فشت الجهالة واستفاض المنكر فالحق يهمس ، والضلالة تجهر
والصدق يسرى فى الظلام ملثمًا ويسير فى الصبح الرياء فيسفر
إنا لفى زمن كأنَّ كباره بسوى الكبائر شأنها لا يكبر
من كل ذى وجه لو آن صَفاته تَندى لكان من الفضيحة يقطر
بئس الزمان لقد حسبت هواءه دنسًا وأن بحاره لا تطهر
وكأن كل الطيبات يردها فيه إلى شر الأمور مدبّر
وثب اللئام إلى ذراه فقهقهوا إن القرود لبالتسلق أخبر
ما نيلَ فيه مطلب إلا له ثمن من العرض الوفير مقدر
وبقدر ما بذل امرؤ من قدره يُجزى ، فأكبر من تراه الأصغر

* * *

صلاح المشيب(*)

أبعدَ الشيبِ ترغب فى الصلاح وتزهد فى المدامة والملاح
فرغتَ من الحياة فأنت ترجو حياةً فى الفراديس الفساح
رجعت عن الحرام وأنت عندى عجزت عن المحرَّم والمباح
فما تقوى الشيوخ سوى اضطرار كتقوى اللص بات بلا سلاح

* * *

(*) زماننا : الجزء الأول . ١١١ (١٠٦ فقرة ٢٦) .

(١) الصفاة هى الصخرة . كأن هذه الوجوه من الصخر الذى لا يندى .

(*) صلاح المشيب : الجزء الأول .

عمر يوم (*)

من الناس فدم يومه مثل أمسه — فأيامه ما عاش يومٌ مكرّر
تسربل حينًا بالحياة فشانها — كما يلبس الخزَّ الأجيرُ المسخر

* * *

الملام (*)

أنا لا ألوم ولا أُلام — حسبى من الناس السلام
ليس العتاب بمصلح — خللا توارثه الأنام
أنا إن غنيت من الأنا — م فقد غنيت عن الملام
وإذا افتقرت إليهمُ — فاللوم من لغو الكلام

* * *

الفضل المغموط (*)

إذا كنت ذا فضل فلا تكُ غابطًا — جهولاً بلا فضل لديه يُعظَّم
لعلك لا ترضى ، وقدرك خاملٌ — بأنك تغدو مثله وهو مكرَم
وأجملُ ألا يعرف الناس فاضلا — ويعرفهم ، من أن يموق ويعلموا

* * *

قانون العظماء (*)

لاتلحَ ذا بأس وذا همة — على ذنوب العصبة الغلّب
فليس مقياسك مقياسهمْ — ولاهمُ مثلك فى المأرب

(*) عمر يوم : الجزء الأول .
(*) الملام : الجزء الأول . ١٢٠ (١١٧ - فقرة ١٠٦) .
(*) الفضل المغموط : الجزء الأول .
(*) قانون العظماء : الجزء الأول .

والليث لا توثق أعضاده ... حبالة تنصب للثعلب
انظر إلى ما خلّفوا بعدهم ... من المعالى ثم لُمْ واعتب
لم يَخط إن داس رؤس الورى ... من علِقت كفاه بالكوكب
من ركب الهائل من أمره ... فعذره فى ذلك المركب

* * *

مدح الناس (*)

ما عهدنا الأنام أجودَ بالمد ... ح لأعلاهُم لديهم مكانا
إنما يُظهرُ الأنام ضئيلا ... ليس يخفيهمُ إذا هو بانا

* * *

حب النفس (*)

ما فى الأنام سوى محب وامق ... سكن الغرام بكل قلب خافق
فى كل قلب صورةٌ معبودة ... وكمينُ وجد بالجوانح عالق
لا القبح ينقصه وليس بزائد ... حسن الشمائلَ فى هواه الصادق
عشق تملّك كل نفس حية ... فى الكون والمعشوق عين العاشق

* * *

كنت فصرت (*)

كأس الحياة أعلّينى على ظمأ ... وبللى بالحُميّا طين صلصالى
وأسكرينىَ حتى لا يكون ردى ... إلا كما غاب حس بعد جريال(1)
وفتشى فى زوايا القلب فاقتدحى ... ظنًا بظن وبلبالا ببلبال
إنى حسبت حياتى غير واحدة ... من التغير من حال إلى حال
....

* * *

(*) مدح الناس : الجزء الأول .   (*) حب النفس : الجزء الأول .
(1) جريال : خمر ، والمقصود أن خبر الموت ما كان من فرط الشبع بالحياة كالغيبوبة بعد الارتواء من الخمر .
(*) كنت فصرت : الجزء الأول ١٢٢ (١١٨ (فقرة ١١٠)) .

إن الحياة حياة كيفما اختلفت ألوانها من مسرات وأوجال
كم ذا أهبت بروحى أن تفارقنى ورحت أجفل منها أى إجفال
فالآن أنشد آلامى وأحمدها كيما أحس بروحى بين أوصالى

* * *

الغنى والسعادة (*)

لا تحسدنّ غنيًّا فى تنعُّمه قد يكثر المال مقرونًا به الكدر
تصفو العيون إذا قلت مواردها والماء عند ازدياد النيل يعتكر

* * *

ياكتبى (*)

ياكتبى أشكو ولا أغضب ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتِنِى حسرة هيهات لا تنسى ولا تذهب
يا كتبى ألبست جلدى الضنى لم يغن عنى جلدك المذهَب
كم ليلة سوداء قضيتها سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى جماجم الموتى بدت تخطب
والناس إمَّا غارق فى الكرى أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله بيومه الماضى وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتنى وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى وخبرة صاحبها متعب
إذا أرانى النور قبحًا فيا حُسن الذى يضمره الغيهب
ياكتبى أين ترى المُنتأى عن أسر أرواحك والمهرب
أنقت منى ما يضن الورى به على الله ولم يذنبوا

(*) الغنى والسعادة : الجزء الأول .

(*) ياكتبى : الجزء الأول .

من ضوء عينيّ ومن صحتي سدًى ومن وقتي وما أكسب
ومن شباب فيكِ ضيعته فما أنا إلا الفتى الأشيب
لو كنت كالجبار في نقمتي لكان في النار لها معطب
في ذمة الطرس وفي حفظه عمر تقضَّى شطره الأطيب
لا رحم الرحمن فيمن مضى من علَّم العالم أن يكتبوا

* * *

الشيب الباكر (*)

ما أقبل الليل حتى طرتَ بالقمَم ياصبحُ جرت على الظلماء في القِسَم
وما انقضى شفق الأيام عن عمُري فكيف لحت بفجر منك متَّهم ؟
لو كنت تحسب أيامي لما خطرت يداك ياشيبُ في مسودَّة اللِّمم(١)
دون الثلاثين تعروني ؟ وما انصرمت إلا كما تنقضى الأعوام في الحلُم ؟
مرت بقادمتيْ نسر موليَّةً وكنتُ أعهد فيها ثقلة الرخم
وما اعتدادك بالأيام تحسبها وإنما أنت خدن الويل والألم
إذا ألمَّا بإنسان.صحبتهما فانزل فقد نزلا في أعظمي ودمي
ما أنت طارق دار لا رفيق بها ولستَ مُهرِم قلب ليس بالهرم
قد شبتُ والشعر مسودٌ فما عجبي من واضح الشيب بعد الشيب في القتَم
ما كان مسودّ شعري وهو مشتمل عليك إلا كجلباب من الكتَم(٢)
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل دون الثلاثين قد ساواك في الهرم
إذا ادّكرتَ شبابًا في النعيم مضى لم يذكر من شباب كان أو نعِم
وما انتفاعي وقد شاب الفؤاد سدى ، إن لم تشب أبدًا كفي ولا قدمي
وليس ما يخدع الفتيان يخدعني كلاّ ولا شيم الفتيان من شيمي
ياشيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها فانزل بلا ضائق بالشيب أو برِم(٣)
من لا يبالي أفجر أنت تنذره بالصبح أم أنت ضوء النجم في الظلم
يامرحبًا بصباح ليس يسلبني صفوًا ، وبُعْدًا لِليلٍ فيه لم أنم

(*) الشيب الباكر : الجزء الثاني . (١) اللمم : جمع لمة وهي الشعر .
(٢) الكتم : صبغ للشعر والمعنى أن الشعر الأسود الذي ينطوي على قلب أشيب إنما هو كالشيب المصبوغ .
(٣) برم : متضجر .

إيه يادهر (*)

إيه يادهر هات مـــاشــــئتَ وانظر   عـــزمـــات الرجـــال كـــيف تكون
مـــا تعـــســـفتَ فى بلائك إلا   هان بالصـــبـــر منه مـــالا يهـــون

* * *

الخداع القاتل (*)

إلامَ تخدعنى عينى وما انخدعت   نفسى ولكنها تهفو مع البصر
جـــربت كل خليل فى مـــودته   فما جمعت يدى إلا على صَفر[1]
أكلما ضـاء لى نجم فـأتبعـه ،   خبا الضياءُ فلم أبصر سوى كدر
أكلمـــا قلت هذا جـــوهر ، نَطقتْ   عليـه دونَ بنانى حـسـةُ الحجـر
أكلما لاح لى صيدٌ فأحسبه   صيد الأسود ، إذا الجرذان فى الأثر
أكلمـــا قلت هذا كـوثر خَـضِـرٌ   تجمع الصابُ لى فى الكوثر الخضر[2]
ويلاه ! مـا أحقر الدنيا وأبغضها   لم ينجُ أحسن ما فيها من القذر
عَزَّ الكمال على خَلْق الخيال فما   طماعـةُ المرء أن يلقاه فى البشر

* * *

الهـــداية (*)

كم فى الســـمـــاء نجوم   ضلت ســـواء الســـبـــيل
وأنت فى الأرض تبـــغـى   هدْيًا بغـــيـــر دليل ؟

* * *

(*) إيه يا دهر : الجزء الثانى .

(*) الخداع القاتل : الجزء الثانى .

(١) صفر : خلو .   (٢) الخضر : البارد .

(*) الهداية : وحى الأربعين .

سحر الدنيا (*)

سحر دنياك ياأخيَّ قديم ... سوف يبقى ، ويذهب الكهان
أفيمضى بسحرها كاهنٌ ما ... ت وفيها الشموس والأغصان ؟
أفيمضى بسحرها كاهن ما ... ت وفيها الثغور والأجفان ؟
أفيمضى بسحرها كاهن ما ... ت وفيها الألحان والألوان ؟
كاهن الأولين أول مسحو ... ر ، وفى كل حقبة ترجمان
سحر دنياك دائم حيثما دا ... م عليها الإنشاد والتبيان
سحر دنياك دائم حيثما دا ... مت عليها الحياة والإنسان

* * *

فلسفة حياة (*)

الغرام المِلْك ، والملكُ الضياعْ ... هات لى الحسن الذى ليس يضيعْ
ليلة قمراء ، أو سحرَ سماع ... أو قصيدًا راق ، أو زهر ربيع
قال قومٌ زينةُ الدنيا خداع ... قلت خيرٌ ! بالذى نشرى نبيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيا وصامْ ... أنا أنعاها ولكن لا أصوم !
طامع الغرب رعى الدنيا وهام ... أنا أرعاها ، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حدٌّ قوام ... ولْيَلُمْ من كل حزبٍ من يلوم

* * *

أيها السائل : ما بعد المماتْ ؟ ... يمم الصحراء وانظر قفرها
ماوراء القبر فى قول الثقاةْ ... حالة تحمد يوما سرها
لستَ بالراضى حياةً كالحياة ... لا ولا ترضى حياةً غيرها

* * *

(*) سحر الدنيا : وحى الأربعين .

(*) فلسفة حياة : وحى الأربعين .

يعـبـد الأقـوام مـايخـشـونه وأنا أعـبـد مـا لست أخـاف
ليس ينسى الله من ينسـونه فـعـلام البحث فـيـه والخلاف
إن وصلتم أو وقـفـتم دونه لم يقف دون مـقـام أو مطاف

* * *

شـرعُك الحسن فـمـا لايحسن فـهـو لا يحلو ، وإن حلّ الحـرام
لـيـس فـى الحـق أثـامٌ بـيِّـنٌ غير مسخ الحسن أو نقص التمام
مـا عـدا هذين مما يمكن فاستبحه ، على الدنيا السلامْ

* * *

إنذار الغضب

إلى الحق المحتجب(*)

ياحقُّ لا تبـرح خـبـاءَكْ أتعـبـتنا سـعـيًـا وراءك
فـيم الإباء ؟ ولم نكن يا حق إلا أصـدقـاءَ ك
فـالزم مكانك فى الثـرى إن شئت ، أو فالزم سماءك
مـا الروضـة الغناء ذا بلةً إذا حُـرمتْ ضـيـاءك
والناس لا يجـفـوننا يومًـا ، إذا علمـوا جـفـاءك
والحـسن عند المبطلـ ين ، وعند من يهوى عداءك
مـا فـاز من يرجـو رجـا لك فى الحـيـاة ولا نساءك
أنا إن سلوتك لم أكـدْ أشتـاق مـا يغنى غناءك
يـاحق هـذا حـدُّنـا فـاختر ظهورك أو خفـاءك
إن جـئـتنا طوعـا فـجئْ أوْ لا فـلا تبـرح خبـاءك !

* * *

(*) إنذار الغضب : وحى الأربعين .

كل ما فيها امرأة (*)

أيَّمـــا لفظة جــرتْ　　مـن فـم المرأة امـــرأة
تبـتـغى الزوج من فـئـهْ　　والأخــلاّء من فــئــهْ
لـيس بـالجـسـم وحـــده　　يعــرف «الجنس» منشــأه

* * *

المعروف والمنكر (*)

كل مـاتصنع الحـيـاة يُرجّى　　من بنيـهـا قـبـوله واعـتـقـاده
فـإذا أنكروا قـبيـحًا ففى القبـ　　ـح من الموت لونه أو شـعـاره
ذاك لب اللباب فى كل شىء ،　　شطّ بالفكر أو تدانى مـزاره

* * *

حكمة التوائم (*)

حـكيـمٌ ذلـك التـــوأمْ　　ومـن آبـائـه أحـــزمْ
تهـيّب أرضـهـم فـردًا　　فـجـاء بصـاحب مُلزم !
ولو جـاء بجـيش كـا　　ن فى تدبيـره أحكم !

* * *

(*) كل مافيها امرأة : «الجنس» عابر سبيل ص ١٠٨ .
(*) المعروف والمنكر : وحى الأربعين .
(*) حكمة التوائم : وحى الأربعين .

على بحر الحياة (*)

أمن نظرة الآباد والمثل الأعلى ... إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى ؟
لقد كانت الأجيال عندى قريبةً ... فقد عادت الساعات توسعنى ثقلا
نظرتُ إلى عُليا الحياة أرودها ... فألفيتها صفرًا ، ولم أحمد السفلى
فآليت أقضيها كمن راح طافيًا ... على اليمِّ ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلا
فإن شئتَ قُلْ هذا غريق وإن تشأ ... فقل سابحٌ لم يدر أقبل ولَّى

* * *

نقمة فى نعمة (*)

نعمة الإحساس ما برحت ... نعمةٌ فى طيها نِقمُ
لا يحس الفقدَ فاقدها ... ونصيب الواجد الألَمُ

* * *

رعونة الحياة (*)

فيم اقتحام جنين واهن عُطُل ... أرضًا أبوه بها حيرانُ مهموم
هى الرعونة فى طبع الحياة ثوتْ ... وإنما حكمة الأقوام تعليمُ

* * *

(*) على بحر الحياة : وحى الأربعين .
(*) نقمة فى نعمة : وحى الأربعين
(*) رعونة الحياة : وحى الأربعين .

بنية قوية (*)

تعاقب السوس والجراد وما ... باد ربيع ولا انطوى شجر
فلا تخف آفة ولا غيَرا ... يُمنى بها فى الضمائر البشر
دنياك هذى قويةٌ صمدت ... لكل شر جرى به القدَر

* * *

ما فوق الحياة (*)

ياطالبًا فوق الحياة مدًى له ... يعلو عليها - هل بلغتَ مداها ؟
ما فى خيالك صورة تشتاقها ... إلا وحولك لو نظرت تراها
ولو استويت على الخلود وجدتَها ... كفؤًا لعينك لا تروم سواها

* * *

على الشاطئ (*)

وردوا البحر فأهلاً ... بهمُ - يابحر - أهلا
أنت لا تحفل منهم ... مَن ولَى أو من تولَّى

* * *

نزلوا شطَّك غيدًا ... وشبابا ومشيبا
طلبوا فى الماء بردا ... فذكا الماء لهيبا

* * *

(*) بنية قوية : وحى الأربعين .
(*) ما فوق الحياة : وحى الأربعين .
(*) على الشاطئ : وحى الأربعين .

وردوا البـحـر عطاشـا	رشـفـوه . غـرفـوه !
لو يكون البـحـر بحـرًا	من سـرور نزفـوه

* * *

المسـاكين يـريدو	ن من الدنيـا اتسـاعـا
اخـدعـوها ، فـهى لاتو	سـعكم إلا خـداعـا

* * *

وإذا لاحت بـوجـه	يملأ الأبصـار رعـبـا
فـاضـحكوا منهـا وقـولوا	مـا أُحَيْلى مـا أحـبـا !

* * *

وإذا مـدت إليـكم	بيـدٍ فـيـهـا الحـمـام
فـخـذوا الموت وقـولوا	هـو خُـلـدٌ وسـلام !

* * *

نصف رغيف (*)

عـجـبى للحـيـاة أشـرف مـا تحـو	يه وقف على الحـقـيـر الطفـيـف
صـفـحـات السـمـاء والأرض طرا	والمعـانـى من تـالـد وطـريـف
والوجـوه التى تشـوقك حـسنا	تنطوى إن فـقـدت نصف رغـيـف

* * *

ذات وجوه (*)

وجـوه حـيـاتنا مـتـعـددات	ودع عنك البـراقع والطلاء
فإن تحمد وسامتها صباحا	فـقـد تنعى دماتهـا مَـسـاء

* * *

(*) نصف رغيف : وحى الأربعين .

(*) ذات وجوه : وحى الأربعين .

ضلال الخلود (*)

كان فى الأرض قبل عشرين ألفا من سِنى الأرض ، شاعرٌ عبقرىُّ
كان ، لا شك فيه عندى ولا ميـ ـن ، وإن شك جاحدٌ وغبىُّ
نظم الشعر فى الحسان وحيّى قبلةَ الشمس وهو داعٍ شجىُّ
ليت لى من قصيده بيت شعر فى ثنايا البلاد يرويه حىُّ
ليت لى من قصيده فردَ بيتٍ صح أم لم يصح منه الروىّ
اشترى بيته بديوان شعب ين ، فأين المساوم الصيرفىّ ؟!
ضلةً للخلود نأسى عليه ، أخلد الخالدين فينا دعىُّ !

***

أصداء الشارع (*)

بنو جرجا ينادو ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألو ك تعريبًا وتتريكا
وبتراكى إلى الجو د على الإسلام يدعوكا
وفى كفيه أوراق بكسب المال تغريكا
وأقزامٌ من اليابا ن بالفصحى تحييكا
وإن لا تكن الفصحى فبالإيماء تغنيكا
قريبٌ كلها الدنيا كرجع الصوت من فيكا
دعى الداعى فلبوه طغاةً وصعاليكا
إذا ناديت يا دنيا رُ من ذا لا يلبيكا ؟!
فما فى الناس هاذاك ولا فى الأرض هاتيكا

(*) ضلال الخلود : وحى الأربعين .

(*) أصداء الشارع : عابر سبيل .

عصر السرعة (*)

طاروا وداروا مسرعين فى الثرى ... يركب منهم رأسه من ركبا
لولم يكن هذا الزمان آفةً ... ما اتخذوا السرعة منه مهربا

* * *

عسكرى المرور (*)

متحكمٌ فى الراكبين ... وماله أبدًا ركوبَهْ
لهم المثوبةُ من بنا ... نك ، حين تأمر ، والعقوبَهْ
مر ما بدالك فى الطريق ... ورُض على مهل شعوبَهْ
أنا ثائر أبدًا وما ... فى ثورتى أبدًا صعوبه
أنا راكب رجلى فلا ... أمرٌ علىّ ولا ضريبه
وكذاك راكب رأسه ... فى هذه الدنيا العجيبه

* * *

الفنادق (*)

فنادقُ تشبه الدنيا لقاءً ... وتفرقةً ، وإنْ قصر المُقام
تقول لكل من وفدوا عليها ... بأن العيش نهب واغتنام
فمن تلقاه فى يوم صباحا ... تفارقه إذا جنّ الظلام
ورب عصيةٍ فى الحب باتت ... وأقربُ من بدايتها الختام
تقول لقلبها ما الحب إلا ... أمانٌ حيث يزدحم الزحام
فلا سر هنالك مستباحٌ ... ولا شوق هنالك أو غرام

(*) عصر السرعة : عابر سبيل . (*) عسكرى المرور : عابر سبيل . (*) الفنادق :عابر سبيل .

منازلُ كل مـا فـيـهـا انسـجـام ! / منازل كل مـا فـيـهـا انقـسـام !
ومـا افـتـرقت شـعـوب الأرض يومـا / كمـا افـتـرقوا ، إذا انصـرفوا أو هاموا
فـفـيـهـم يافثٌ حـينا وشـيـثٌ / وفـيـهـم تارةً حـام وسـام

* * *

المصرف(*) «البنك»

شـبـران من ذاك البناء
بينى وبين المال والدنيـا العـريضـة والثـراء
ليست بأقصى فى الرجاء
من حـفـرة المدفـون فى شـبـرين فى جـوف العـراء
كـلا ! ولا أدنى على قـرب المزار لمن يشـاء
أعرفت آماد السماء ؟!

* * *

فى سكَّتى أبدا ومـا
من سكة أبدا إليـه ، ولست ألغـز عندمـا
أصف الطريق أو الحمى
انظر بعـينيك البناء سـمـا وطال وأظلمـا
واسـأل : أهذا مـصـرفٌ مـلأوا جـوانبـه دمـا ؟
تجدْ الصواب مجسما

* * *

فـيـه دم لا شك فـيـه
فى كل طرس أو كـتـاب أو سـجل يحـتـويه
ودم المقتـر والسـفيه
يجـرى هناك وأنت تحـسـبـه من الورق الرفـيـه
نُغليه كـالدم فى العـروق سـرى ، وكـالدم نتـقـيه
وسـل المـدلـس والـنـزيـه !

* * *

(*) المصرف : عابر سبيل .

* * *

سلنى فلم أك طالبـــا

ورقًا هنالك على الرفوف أنال منه جانبا

وأعــد منه حاســبا

ألا لأوراق أراها قارئا أو كاتبا

ولما تجيش به الخواطر حاضرا أو غائبا

ودع الحســـود الغاضـبا

* * *

يارب .. وياخلق ! (*)

يـارب !

يـارب أعــطـيـنــاك أرواحــنــا	فى هذه الحــرب وفى الماضــيـةْ
يا ربنا فـــاقض لنا مـــرةً	بالسلم فى أيامنا البــاقــيــة

ياخلــق !

ياخلق مــا أرواحكم ســمــحــةً	عندى ، ولا إنْ سمحت كافيه
أعطيــتمُ إبليس أضــعــافــهــا	من حَـيَـوات عندكم غــالـيــه
وبعــتمُ فى ســوقــه كلَّ مــا	وهبتكم من عيشة راضيـه
لم تشـتـــروا السلم بأرواحكم	بل اشتــريتم نقــمــة ثانيــه
عطاؤكم إبليس ســمحٌ بلا	أجــر ولا أمنيــة خــافــيــه
ومـــا بذلتم قط لى قــربةً	إلا رجـاء العــفــو والعــافــيــه !

* * *

(*) يارب .. يا خلق ! : أعاصير مغرب .

بابل الساعة الثامنة (*)

(فى بعض الأحياء يمنع الشرط نداء الباعة قبل الساعة الثامنة ، فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين ،حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع ، كلٌ وما يبيع ، وهى خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه ، فهى بابل لامراء ! .

قابلْ بين بابل هذه وبابل الفجر الذى تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط ، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور ، وإن هذه المقابلات جميعًا لحقيقة فى الشعر ببعض الأصغاء) .

كم بابلٍ فى الساعة الثامنهْ تثور فى حلتنا الساكنهْ

خفيةَ الأصداء لا تنجلى ولم تكن عجماء أو واهنة

شتى فإن أفردتها لم تكد تبين منها لفظة بائنة

كأنما تصغى إلى راطن يتعتع الأحرف أوراطنة

فلفظة ينطقها دونها عشرون فى حلقومه قاطنة

واسمٌ يليه اسم وماجَمّعتْ قرينةٌ بينهما قارنة

إن بعدت عن سامع أو دنت لم تدنها أوصافها المائنة

البرتقال الحلو والفحم والا طباق والريحانة الفاتنة

والبيض والأثواب والتبغ والأ خشاب والزينة والزائنة

وأشربات العصر فى حينها مثلوجة إن شئت أو ساخنة

والناى والأرغن تتلوهما ربابةٌ كالهرة الداجنة

(*) بابل الساعة الثامنة . عابر سبيل .

ومن يناديهـا ويدعـو بهـا　　إليـه ، فى زوبعـة زابنة[1]
مـخلوطة ممزوجـة كلهـا　　معجونة فى لفظها عاجنة
فى بابل البـاعـة تلك التى　　تسـمـعـهـا لا بابل الحائنة
يحسبها الشرطى حتى إذا　　حانت لديه الساعة الثامنة
أطلقـهـا فـانطلقت فـجـأة　　على الحمى كالغارة الكامنة
تجـدّ أقـصى الجـد لكنهـا　　فى السمع كـالمجنونة الماجنة

* * *

إذا تمادى النوم بى ضـحـوة　　أو أرّقـتـنى خطرة رائنة
أيـقـظـنـى مـن بـابـلـى هـذه　　نفير حربٍ فى القرى الآمنة

* * *

عباد الطغيان (*)

كلكم . كلكم مع الغـالب الظا　　لم لا تعـدمـوا من الظلم رغـمـا
لو وقـفـتم يومـا إلى جـانب المغلو　　ب مـا فـاز غـالبٌ قطُّ ظلمـا

* * *

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه (*)

تعلم كـيف تسـتـغنى　　إذا مـاشـئت أن تغنى
فـمـن يجـهلُ مـايُلقى　　فـقـد يجـهل مـا يُـجنى

* * *

(١) زابنة : دافعة .

(*) عباد الطغيان : أعاصير مغرب .

(*) اعرف ما ترميه : وحى الأربعين .

فصـــد ! (*)

قـــالوا هى الحــرب فــصْــدٌ ‏ ‏ ‏ به الشـــــفـــــاء يُؤمَّل
قلنا : نعم . فـصـد عـرق ‏ ‏ ‏ حىّ وإعــــفــــاءُ دُمَّل !

***

الخلود المزدرَى (*)

نفـــوسٌ أعـــاف مـــقـــامى بهـــا ‏ ‏ ‏ أأخلد فـــيـــهـــا ؟ لبـــئس الخلود !
وســـجنٌ أعـــاف وجـــودى به ‏ ‏ ‏ أليس كـــفـــيـــلا ببـــغض الوجـــود ؟
فـــدع عنك يا صـــاحـــبى خـــالـد ‏ ‏ ‏ يك . وقل مَن مُـزَكٍّ لهم أو شـهـيـد
فــلا خــيــر فى عــيــشــهم ســرمــدا ‏ ‏ ‏ إذا سُــرمــدوا فى ضــمــيــر القــرود
فـــرب خلود كـــقـــيـــد الســـجـ ‏ ‏ ‏ ـين ونســيــان قــومٍ كــفكّ القــيــود

***

الشـــعــر (*)

إنى ألوذ بشـــعـــرى حين يَطرقنى ‏ ‏ ‏ من الطوارق نُزَّالٌ وضِــيـــفـــان
والشعـر من نفس الرحمن مقتبس ‏ ‏ ‏ والشــاعــر الفـذّ بين النـاس رحــمـان
كــأن من صُـور إسـرافـيلَ دعـوته ‏ ‏ ‏ لو يسـمعُ الصـورَيوم البـعث صفـوان
يظل ينطف من مـاء الحـيـاة ندًى ‏ ‏ ‏ على الجـمـاد فـيـزكـو فـيـه ريَعـام
فـــمـــا يزال لراويه وقـــائلِه ‏ ‏ ‏ من الخـــلائق سُـــمّـــار وخُلصـــان
يجنى المودة مما لاحـــيـــاة له ‏ ‏ ‏ إذا جـــفـــاه من الأحـــيـــاء خـــوّان

(*) فصد : أعاصير مغرب .

(*) الخلود المزدرى : أعاصير مغرب .

(*) الشعر : من قصيدة الحب الأول (جزء ١) ٣٧ (٢٠ فقرة ٥٤) .

ويحسب النجمَ ألحاظا تساهره … والودقَ يبكيه دمع منه هتان
إذا تجهم وجهُ الناس ضاحكه … ثغرُ الورود ومال السرو والبان
أوملٌ هاتفةَ الأصوات أسمعه … للريح والغاب أبواقٌ وعينان
تُفضى له ألسن الدنيا بما علمت … كأنما هو فى الدنيا سليمان
لقد عبدتُ الأقانيم التى جمعت … ما فرقته أقانيم وصلبان
الحب والشعر دينى والحياة معا … : دين لعمرك لا تنفيه أديان
هى الحياة جنين الحب من قِدم … لولا التجاذبُ ما ضمتك أكوان
والشعر ألسنةٌ تفضى الحياة بها … إلى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهى فاتنة … خرساء ليس لها بالقول تبيان
ما دام فى الكون ركنٌ للحياة يُرى … ففى صحائفه للشعر ديوان

* * *

سر فى طريقك (*)

سر فى طريقك بين اللائمين ولا … تحفل بمن جدَّ فى لوم ومن لعبا
فالناس يرضون عمن ليس يحفلهم … ويغضبون على من يحفل الغضبا

* * *

الخلاصة (*)

ليست خلاصةُ كل شىء غُنيةً … عنه ، وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا … يغنى العيون عن الربيع الزاهر

* * *

(*) سر فى طريقك : وحى الأربعين .
(*) الخلاصة : وحى الأربعين .

وصايا معكوسة (*)

من عمل بها فعليه وزرها، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله : «اذهب إلى السوق فهات عنبا حامضا ! » فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه ، وكذلك هذه الوصايا إنما هى وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب .

والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانا بين الناس ، وتنكر أن يشيع) :

الضعة والشرف (*)

والِ المدنَّس بالعيوب ولا تكن ... يوما وليًّا للنبيل الطاهر

فذَوُوا المعائب لا تناحر بينهم ... والنبل فيه سبيل كل تناحر

وذوو المعائب آمنون لمن وفى ... والنبل ليس بآمن للغادر

وذوو المعائب مالهم من حاصر ... والنبل محصورٌ قليل الناصر

وذوو المعائب يسترون خلالهم ... والنبل ما لهناته من ساتر

وذوو المعائب عذرهم فى نقصهم ... والنبل ما لكماله من عاذر

وذوو المعائب ينعمون بحظهم ... والنبل ما لشقائه من آخر

ولرب ربح فات من ذى ذمة ... يسعى إليك مع الخؤن الخافر

رأىُ السلامة إن أردت فخذ به ... أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

* * *

(*) وصايا معكوسة : وحى الأربعين

(*) الضعه والشرف . وحى الاربعين .

بمن تثق ! ؟ (*)

ثقى بالرذيلة تلقــــهــــا   فى كل حين حـــاضـــرةْ
إن الفـــضـــيلة قلّمـــا   تلـقـــــاك إلا عـــــابرة
حـــتى الأفـــاضل عـــرضـةٌ   لهـــوى الهنات البـــادرة
مـــــاكـل يـوم يُـرتجـى   عطفُ النفـــوس الطاهرة
ومـــن الــنـوادر أن تـــرى   عند التـــعطُّف قـــادرة
مـــن لـــم يـــدُر فـــى دهـــره   دارت عليـــــــه الـدائـرة

* * *

ومن تكون (*)

ومن لا تكون

كن بينهم « بوذا » فـــإن لم تطقْ   فكن كـــتـــيـــمـــور ونيـــرونا . .
أو عش مـــعـــافىً بينهم لا ترى   إصـــلاحَـــهـم دنيـــا ولا دينا
قـــد ضل من يطلب إصـــلاحــهـم   لا غـــرو أن ســـمـــوه مـــجنونا !
يأمنهم من فـــاتهم طائعًـــا   أو ســـاقـــهـم كـــرهًا مطيـــعـــينا
أو راح مِنهم طالبًـــا نفـــعــــه   لا عـــــاليًّـــــايأبى ولا دونا
مـــن هـــان أو هـــان الـــورى عـــنـده   أو ســـامـــهـم فى ظلمـــه ا لهُـــونا
أولـــئـك الـــرهـط الـــذى لـــم يـــزل   يأمـن مـــا يخـــشى النبـــيـــونا
يابؤس أرض لا ترى فـــوقـــهـــا   إلا طغـــــاةً أو مـــــرائـيـنـا

* * *

(*) بمن تثق : وحى الأربعين .

(*) من تكون : وحى الأربعين .

صور الرجاء (*)

أمسيت أذكر مامضى من صبوتى والذكر آمال الزمان الغابر
قد ييأس الإنسان من غده ولا تلقاه ييأس من حنين الذاكر
ماشئت من صور الرجاء فلُذْ به بعضُ الغد الآتى كأمس الدابر

* * *

قرش معقول (*)

إن أحبوا القرش لم يجدوا عجبا فى حبه الخطر
فإذا ما الطفل هام به جعلوه طرفة السمر
يامحبى القرش ويحكمُ هل سمعتم أصدق الخبر ؟
هل علمتم فى طرائفكم أىّ قرش بالهيام حَرِ ؟
ذاك قرش الطفل نضحك من حبه إياه فى الصغر
وهو أولى من قروشكم كلها بالحب والسهر
هو « حقّ » عنده جلل حاضر الميعاد والأثر
ثمن الحلوى يلذ بها وجمال الحسن والنظر
وأفانين الملاعب لم تخل من نفع ومن ثمر
وهو وهمٌ فى خزائنكم وخيال كاذب الوطر
وسجين ثم مدّخر لرجاء غير مدخر
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا منه بالآيات والعبر
الحياة الحق ناضرة فاقطفوا من غصنها النضر

* * *

(*) صور الرجاء : وحى الأربعين .

(*) قرش معقول : عابر سَبيل .

جلال الموت (*)

أرى فى جلال الموت إن كان صادقا ... جـــلالة حق لا جـــلالة باطل
فـلا تجـعلنّ الموت حـجـة كـاذب ... لمدحـة مـذمـوم ورفـعـة سـافل

* * *

عصر السرعة (*)

- ١ -

طـــار فـــى الـــذرى ... هام فى الســـهـــول
مـــســـرع الخطى ... حـــيـــثـــمـــا يجـــول
مـــالـه عـــدا ... عـــدوة الـوعـــول
مـــالـه سـطـا ... سطوة الســـيـــول
فـى صـــعـــوده ... يشـــبـــه النزول
تلك ســـرعـــة الحـا ... ثـــر المـلـــول
تـلك ســـرعـــة الأ ... ثم الخـــجـــول
أين ســـرعـــة الـ ... ـــســـعى والـوصـل ؟

* * *

التقديس (*)

عـــارفُ التـــقـــديس رو ... حيٌّ ، وإن قـدّس جـســمـا
ومُـهين الجـسـم جـسـمـ ... ـيٌّ ، وإن كـان «برَهـمـا »
أنت بالتـقـديس تسـمـو ... لا بما قـدستَ تُسـمـى

(*) جلال الموت : وحى الأربعين . (*) عصر السرعة : عابر سبيل .
(*) التقديس : هدية الكروان .

السرور (*)

منع السرورَ حذار قلبىَ قبله ... ألا يتمّ ، وبعده التنغيصا
ويزيدنى كلَفا به وضنانةً ... ألا يباح - إذا أبيح - رخيصا

* * *

حكمة الجهل (*)

ألم أقل لك مهلا ... فالناس لؤم وشر
لا تولهم منك عطفا ... فهم من العطف صفر
لو كنت تعلم علمى ... لما أصابك ضُر

نعم نعم . قلت هذا ... إنى بذاك مُقرّ
وأنتَ عندىَ طفلٌ ... وأنت عندى غِرُّ
وما لقولك وزن ... وما لنصحك شكر
أنفقت عطفك قبلى ... وذاك ياصاح فقر
كم حكمةٌ هى جهل ... وغفلة هى فخر

* * *

الحكمة الصادقة

حكمةٌ قد تناقضت ، ... هذه أصدق الحكم
ليس للعلم من تما ... م إذا الجهل قيل تم
فاغتنم منه ما بدا ... وأنتظم منه ما انتظم

(*) السرور : هدية الكروان .

(*) حكمة الجهل : عابر سبيل .

صــفات وأشــبَاهُ

فُرضة البحر (*)

قطبَ السّـفين وقِـبلةَ الربان — ياليت نوركِ نافعٌ وجـداني
يُزجى منارك بالضيـاء كـأنه — أرِقٌ يقلِّب مُـقلتى ولهـان
وعلى الخِـضَمّ مطارحٌ من وَمضه — تسرى مدلّهـة بغـير عنان
كـمطارح الأفكار فى لُجج على — لجج من الشُّـبهات والأشجان
تخفى وتظهر وهى فى ظلمائها — بابُ النجـاة ومـوئلُ الحيـران

* * *

أمسيتِ أحداقُ السفائن شرَّعٌ — صـورٌ إليك من البحـار روان
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى — شملَ الأحبَّة فيه والإخوان
جـودىّ(1) كلٍّ سفينة لم يبنها — نوح ولم تمخـر على الطوفان
فيها التقى بر وبحرٌ ، واستوى — شرقٌ وغربٌ ،ليس يستويان
بسطت ذراعيها تودّع راحلاً — عنها وتحفل بالنزيل الدانى
زُمَر توافت للفراق فقاصد — وطنًا ، ومغترب عن الأوطان
متجاورى الأجساد مفترقى الهوى — متباينى اللهجات والألوان
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها — شتى ديار جُمّعت بمكان
فى فرضة متقاصرٍ عن متنها — موجٌ أشمٌّ أحمّ(2) ليس بوان
موجٌ يطيف بها وقد ران الكرى — فيها طواف الضيغم الغرثان(3)
ألقيت مراسيَها السفائنُ عندها — وتحصنت منها بدار أمان
فكأن ضوء منارها نار القِرى — لو كان يُبعث ميّت النيران !

* * *

(*) فرضة البحر : الجزء الأول .

(1) الجودى : هو الجبل الذى قيل إن سفينة نوح رست عليه آخر المطاف – والمعنى أن الفرضة كالجود تنتهى إليها رحلة كل سفينة .

(2) أحم : أسود .　　(3) الغرثان : الجوعان .

الخريف(*)

حيِّ الغمائمَ في السماء كأنها ... طيرٌ سرت في مستهل ربيع

بيضاء ترتع في فضاء شاسع ... صافي السراة[1] على السنا مرفوع

طورًا كتمسيح الذيول وتارةً ... كالرغو بين مُفرّق وجميع

ترفو حواشيَها الرياحُ وتنتحي ... أَوساطها بالفتق والترقيع

والدَّوح مهدولُ الأرائك ساهم ... كالعاشقين هنيهة التوديع

والماء كالممرور في وسواسه ... يشجوك منه ترنّمُ المفجوع

والشمس ساهية الشعاع كمقلة ... وطفاة جللها البكى بدموع

ضحكُ الطبيعةِ في الربيع كأنهُ ... ضحك الغريرة في عناق خليع

فإذا تبسم في الخريف جبينها ... أبصرت نظرة ريبة وخشوع

كالغادة الحسناء يغرب حسنها ... أثناء شيب في الشباب سريع

* * *

أنس الوجود(*)

تماثيلَ مصرٍ أنت صورتها الصغرى ... وطلّسمها الواقي ، وآيتها الكبرى

حياتك أجدى من رجال كأنهم ... تماثيل لاتحى الصناعة والذكرى

رعى الله من أسوان دارًا سحيقة ... وخلّد في أرجائها ذلك القصرا

أقام مقام الطود فيها وحوله ... جبال على الشطين شامخة كبرا

بعيدًا عن الأقران ، منقطعًا بها ... فريدًا عن العمران ، مستوحشًا قفرا

(*) الخريف : جزء أول .

(١) السراة : الصفحة .

(*) أنس الوجود : جزء أول ٢٤ (٦ «فقرة ٤٢») .

بأسوان مرصودًا وهل يُعبد الضحى بأظهر منها للضحى كيفما ذرا ؟
بلاد أدار الله حول ربوعها نطاقًا وأجلى عن مطالعها السترا
بنو الشمس أهلوها إذا اشتد قيظها وجاش على الصحراء فاتقدت جمرا
بقرص كأفواه البراكين قاذف شآبيب ما زحيا وما أقتل القطرا
لقد نفثت فينا الحياةَ ضرامُها فأنفسنا من حرها شعلة حرَّى
درجنا بحيث الدارجون عروشهم قيام تناجى فى سكينتها الدهرا
تلوح على تلك الرمال كأنها خُطى الزمن الوثاب تاركة إثْرا

***

....

عبرنا إليه النهر ليلا كأننا عبرنا من الماضى إلى الضفة الأخرى
قضى نحبهُ فيه الزمان الذى مضى فكان له رسما وكان له قبرا
وأشهدنا منه شخوصًا كأنها مساحيرُ ترجو كاهنا يبطل السحرا
فيخفق ذاك القلب بعد سكونه ويُملأُ من أهوائه ذلك الصدرا !
ولما رأوها يشبه الخلقَ صنعها تغالوا فقالوا الأنس قدمسخت صخرا
لقد أكبروا إلا على الله صنعها فقالوا براها ، ثم أصمتها قهرا

***

السماء (*)

يا للسماء البرزة[1] المحجوبة أعجب ما أبصرت من أعجوبة
تروغنا أنجمها المشبوبة تهولنا قبَّتها المضروبة
كأنها الهاوية المقلوبة كأنها الجمجمة المنخوبة

***

(*) السماء : جزء أول .

(١) البرزة : البارزة الحسنة .

وقفة فى الصحراء (*)

هضـابُك أم هذى أواذىُّ عـيلم[1] ؟ وهل فـيك من وِرد لغـيـر التـوهم !

تخـايلت كـالدنيـا وأقـفـزتِ مـثلهـا فلا تخـدعينى ، إننى لست بالظمى

أيـــا ربـــة الآل الخـــلـــوب وإنمـــا إلى الآل[2] ركب الناس جمعاءفاعلمى

خلوتِ فـــــلا آثارُ حىّ ثوابتٌ عليك ولا آثار مـــيْـت مـــعظَم

نبـا بك عن حـال العـمـار وضـده شـمـاسٌ ، فلم تبنى . ولم تتـهـدمى

تشـــابهت الأيام فـــيك فلم يكن إلى السعـد يومٌ أو إلى النحس ينتمى

صحارى من الدهر الفسيح جديبةٌ كـعـهـدك لم تعـبس ولم تتـبـسم [3]

لَفـــيك وإن طال الزمـــان غـــواربٌ على الناس أخــفـى من غـوارب أنجم

أضـاءَت عليـهـا النيـرات ولم تزل هنالك فى ليل من الغـــيـب أيْهمِ

إلى أى ركن فـــيك يلجــأ هارب وفى أى ظل من ظلالك يحـتـــمى

تسـدين أرجـاء السـمـاء بحـاصب من النار مـــوَّار العـــجـــاجـــة مظلم

ثؤر كـــأفـــواج الدخـــان تطلعت إلى علوٍ[4] من قـاضى قـرار جـهـنم

إذا مـــا رآها الوحش ولى كـــأنهـــا من النقع تُجلى عن خميس عر مرم

يلوذ ببطن الأرض والأرض جـمـرة خياشيـمـه مِ القيظِ يبضضن بالدم

ويذهل حـتى يفلت الليثُ صـيـدَه ولا تفـرق الغـزلان من ناب ضيـغم

ومـــاسكنتـــهـــا الوحش إلا لأنهـــا أحب إليـــهـــا من جـــوار ابن آدم

* * *

(*) وقفة فى الصحراء : جزء أول .

(١) أواذى عيلم : أمواج بحر . (٢) الآل : السراب .

(٣) الزمان فى الصحراء كالمكان صحراء لامعالم لها .

(٤) علو : أى السماء .

السينماتوجراف (*)

بربك مـاذا فى سـتـائرك الطُّلس[1] أأشـبـاح جنٍّ تلك تظهـر للأنس ؟

إذا لم تكن جنًّا فـمـالى عـهـدتهـا تفـر فـرار الجنّ من طلعـة الشـمس

سـتـور ولكن يُكشف النور عندها فنونًا من الأسرار تخفى على النفس

كـأنى أرى فـيـهـا قـريحـة شـاعـر مـصـورة للناس فى عـالم الحس

وكـالعين إلا أنهـا تمسك الرؤى وترسلهـا رسـمًـا تراه على الطرس

تردُّ تجـاليـد القـبـور كـواسـيًـا وتبعث أشخاص الرفات من الرمس

وتحـمـدها عين الغـريب لأنهـا تنوب بهـا الرؤيا لديه عن الحـدس

تميط عن الطرف الحجاب كما رأى نبىُّ الهـدى فى مكة صورة القـدس

وكم مـعـجـزات للصناعـة بيننا يجىء بهـا رُسل المعـارف والدرس

* * *

الشتاء فى أسوان (*)

ألقِ الربيع على البـشـيـر كـانون آذن بالظهـور

أسـوان تزهو حين يذ بل كل مـخـضـرٍ نضـيـر

فى كل مـربأة[1] بهـا نـور تألّـق فـوق نـور

بلد تجـود له الطبـيـ ـعة بالصغـير وبالكبـير

لا تسـتـجنُّ شـمـوسـه إلا على غـيـر البـصـير

نسـمـاتهُ برءُ العليـ ـل ومـاؤه عـذب نمير

مـا طبُّ جـالينوس قـيـ ـس بطبـه إلا غـرور

(*) «السينما توجراف» : جزء أول .

(1) الأطلس : الأغبر إلى سواد وهو لون الصور على اللوحة قبل التلوين .

(*) الشتاء فى أسوان : جزء أول

(1) مربأة : مكان مرتفع .

أبـدًا تحـــــوط بـهِ ودا ئـعـهـا بسـور خلف سـور
من كل شـاهقـة كـأنّ قـلالهـا عـمـد الدهور
حـصن تهـاب ظروفـه الآ فـات طرًا والشـرور

* * *

بولون أقـفـر غـابـهـا من كل مـخـتـال فـخـور
سـرحت صـوادحـهـا وأطلـ ـق وُرقـه الأيك الغـضـيـر
يلقطن حـبـات القلو ب من الجـوانح والصـدور
الـفـاتـنـات تـكـاد إحـ ـداهن من حـسـن تنيـر
الناهدات كـمـا ترى الأ هرام فى الرسم الصـغـيـر
العـبـهـريات الشـذى الكوثريات الثـغـور
الـورد فـى وجـنـاتـهـنّ يضـوع فى كل الشـهـور
المرسـلات الشـعـر كـالز رياب [1] مـصـغـراً غـزير
مـتـمـنطقـات بالدمـقـ ـس مـؤزّرات بالحـرير
من كل قـاع جـؤذر[2] تلقـاه أو ظبى غـرير
مـثـل الشـمـوس برزن للأ كـوان من فـجـر الشـعـور
داراتـهـن مـطـالـع لم تـدر مـا نور البـدور
فـيـهن مـعـتـرك الغـرا م ومـعـرض الحسن الطرير
الحـور هنّ خـلـقـن للـ ـفـردوس لا للزمـهـرير

* * *

الماء فـاض على الجنا دل والسـواحل والجسـور
خلجـانه تنسـاب كـالـ ـحـيـات مـا بين الصـخـور
مـتـسـابقـات كـالسـوا بق فى مـجـال مـسـتـدير
والنيل مـصـطفق كـمـن قـد هزه فـرط السـرور
مـتـدفّع الأمـواج تر قص وفق توقـيـع الخـرير
وترى الزوارق كـالبـوا شق حـوّمًـا أو كـالنسـور
قـد حـار فـيـهـا العنصرا ن الريح والماء القـدير

(١) الزرياب : الذهب أو ماؤه .
(٢) الجؤذر : الظبى الصغير .

والشمس شاخصة تكا د تنوءُ من جهد المسير
فضفاضة الأذيال تخـ ـطر كالعروس إلى السرير
وكأنها فوق الذرى فوق الجزائر والبرور
حسناء ترقب قادمًا فى النيل من أعلى القصور
وعلى الروابى والهيا كل مسحة الشفق الأخير
تبدو كما نصل[1] الخضا ب بعارض الشيخ الوقور
ما كان أول مغرب شهدت على مر العصور

* * *

كم آية فى الكون أخـ ـفى من خفيات الضمير
من لا يرى إلا العيا ن فما يرى إلا يسير

* * *

ليلة الأربعاء (*)

شفّ لطفًا عما وراء السماء نور بدر مفضّض اللألاء
رق سجف السماء حتى كأن الـ ـعين تتلو هناك سرَّ القضاء
وسرى الطرف فى الفضاء فما يثـ ـنيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كالعباب فما فى الـ ـكون غير الظلال من ظلماء
تلك أولى لوائح الصيف والصيـ ـفُ بهيجٌ فى الليلة القمراء
يَمَنَ الله سعيه من رسول يطرق الأرض وافدًا من ذُكاء[2]
مَولِد الأرض فهى تلبس فيه كلَّ عام مطارف الأضواء
أضرم الجوَّ بالمشاعل كالظا فر يعدو فى إثر جند الشتاء
فنهضنا للّهو فى دار ذى القر نين بين الصحاب والقرناء
بلد ما تحجّب الجو إلا ناب عنه الصفاء فى الدأماء
كلُّ من ينتحى حماه غريبٌ عنه حتى ما فيه من غرباء
تكشف الشمس ثَمَّ مايضمر اليمّ كعين المنوم النجلاء

---

(1) نصل الخضاب : زال .
(2) ذكاء : أى الشمس .

(*) ليلة الأربعاء : جزء أول . ٨٠ (٧٥ فقرة ٧٧) .

فـعلى اليمِّ للمطيـــفين سـرٌّ   كـــاشفٌ عن ســـرائر الأنبـــاء

* * *

ليلةَ الأربعـــــاء بالله عــــودى   وأعـــيـــدى ياليلة الأربعـــاء
ليلةٌ أرسل الزمـــان بهـــا عــفـ   ـوًا فـجـاءت كـحكمـة البلهـاء
قـد نسينا الصبـاح حتى ذكـرنا   بنور من بدرها الوضــــاء
فـوصلنا مســاءها بصبـاح   ووصلنا صبــاحــهـا بمســاء

. . . .

خير ما فى الحياة يا قلب ما أنـ   ـساك ذكـر الحيـاة والأحـيـاء
بيـد أن النفـوس تصبـو إلى الذكـ   ـر وإن كـــان فـيـــه بعض العناء

* * *

. . . .

نسج الفـجــر للنجــوم الدرارى   برقـعًـا حيك من شعـاع الضيـاء
وكـــأنّ النســيم همـــوم اللـ   ـيل والليـل مـــؤذن بانقـــضـــاء
همســـاتُ العـوّاد حـول حـبيب   بات لم يبق منه غـيـر الذماد [1]
وترى البــحــر لو توســده النا   ئم لم ينتبـــه من الإغـــفـــاء
فى سكون كــأنه نفس الحـــا   لم أو خـــفق طائر فى الهـــواء
وكـأن الخرير صوت يناجى الغيـ   ـب حـــتى لهمّ بالإصـــغـــاء
فـبعـثنا الأرواح سـربًا كـروح الله   قـــدْمًـــا تـرف فـــوق الماء

* * *

الورد[*]

أراح[2] الورد عـــازفــة النفـــوس   وأشـــرق نجـمـــه بعـــد الخنوس
وغـــــرّد هاتف الأطيـــار لما   جـلا البسـتـان عن خـدر العـروس
وأشـــرقت الرياض على الروابى   مـكـللـة المفـــــارق والرؤوس
نـديم الكـأس طف بالروض تنظر   غـــصـون الورد مـــتـرعـة الكؤس
وفـيـــه ثمـالـةٌ [3] لم يودعـوها   من الأفـــراح كـــرمَ الخندريس

---

(١) الذماء : بقية الروح .
(٢) أراح أى رد وعازفة أى بعيدة .
(*) الورد : الجزء الأول .
(٣) ثمالة : فى الكأس أى بقية .

تبسّمَ فى خمائلهُ (١) النشاوى ... فأضحك غرة الزمن العبوس
يُخيِّل ناطقًا لولا حياء ... ثناه عن مناجاة الجليس

. . . .

أطل من الرغام كأن روحًا ... تنادى الناس من خلف الرموس

. . . .

مجامر للطبيعة أرّجتها ... وخصتها بقربان الشموس
تلبيها إذا نشرت شذاها ... على الأفنان أرواح الأنيس
كما لبى بخوز السحر حور ... من الجنان خافية الحسيس
جنى الفردوس إلا أن فيه ... ذَكاء النار والجمر القبيس
يكاد يبث حوليه ضياء ... كما بثته نيران الوطيس (٢)

* * *

. . . .

لو انا قادرون لما هفونا ... إلى غير المحاسن والطروس
ولولا الدهر بالإنسان يلهو ... ويبلو القلب بالغرض الخسيس
لما ألهاه عن آس وورد ... بحبات من البُرِّ (٣) الدريس

* * *

حديقة البرتقال (*)

أجبْ به من منظر سَرِىٍّ (٤) ... ومن نبات طيب ذكىّ
متصل الخضرة فِردَوسى ... نُزِّه عن تصوّح (٥) وعرىّ
جنّاته تثنى على الوسمى ... بالبرتقال الواضح الروىّ
كالسُّرُج المذكاة بالعشىّ ... تستقبل المقبل إذ تحيى
منها بألف كوكب دُرّىّ ... كالشمس فى جلبابها الفجرى
غصنا على غصن زمرّدىّ ... من بارز وضامر خلفْىّ
وساجد فى الأرض كالقسىّ ... مكلل بطلعه محنىّ
كأنه جلاجل الحلىّ ... يأخذ عين المبصر الذكى
أخذ الحلى مقلة الغوىّ ... على نحور البيض والثدىّ

---

(١) جمع خميلة : وهى الشجر الملتف . (٢) الوطيس : الفرن . (٣) البر : القمح .
(*) حديقة البرتقال : جزء أول . (٤) سرى : فاخر . (٥) التصوح : الذبول .

أغلى لدى الشاعر والصبى   من كنز قارون ، وكل شئ
فاعجب لهذا الصائغ الغنىّ   صائغ هذا الثمر الجنىّ
من نفَس حام ومن طمىّ   وصابغ الطلع بألف زىّ

ومخرج الحى بغير الحى

* * *

منظر (*)

الروض جم العبير   والليل شفُّ الستورِ
والدر ينشر نورًا   كأنه نصف نور !
كأنما الكون يبدو   من خلف ستر وثير
كأنه ظلُّ كونٍ   مغيَّب فى الدهور

* * *

قدوم الشتاء (*)

تسير الكواكب سير الحذِرْ   ويرجف فى الجو نور القمرْ
وللشمس مِشيةُ مستكره   يساق إلى منظر لا يسرّ
ونهر كمرآة مهجورةٍ   على وجهها من جواها أثر
وللروض زهرٌ به طائح   تقلّب فى الأرض كالمختضَر
ونادى المنادى بركب الطيو   ر : هيا فقد حان وقت السفر
فهذا يحوم على وكره   وهذا يصيح ولمّا يطر
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا   كأن الأصيل عليه انتشر
وما للرياح بأعلى الشجرْ   تعج كموج خضم زخر
تنام العيون ويعلو لها   نشيجٌ إذا الليل أغضى ظَهر[1]
تُحطِّم أعوادَها العاريا   ت تحطيمَ ذى جنة منذعر
فياويل من بات فى ليله   يجاوبها بالبكى والسهر

(*) منظر : جزء أول .

(*) قدوم الشتاء : جزء أول ١٠٦ (١٠١ فقرة ٩٣) .

(١) أى يكاد يظهر إذا اختفى الليل .

النهر النائم (*)

تمهّلْ يا نسـيم ولا تكدّر	نعاس النهر بالهمس الضعيف
وقرّى يا طيور على الحوافى	وكفى يا غصون عن الخيف
لعل النهر ينطق وهو غاف	بسر فيه أو حلم لطيف
ويحكى طيف هاتيك الليالى	ليالى الوصل فى عهد الخريف

* * *

ياقمر (*)

فضضْ الماء ياقمرْ	وانقش النور فى الحجرْ
وانظم الغصنَ بالندى	والثم الزهر فى الشجر
واجعل الكون ضاحكا	عن سماء من الغُرَر
وأملك الليل مفردًا	ومع الشمس فى البُكَر

* * *

فى مجاليك راحةٌ	راحةُ النوم والسهر
فى لياليك بهجةٌ	بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل فى الظلا	م ولا الصبح فى الكدر
أنت كالطيف والدجى	ناعس اتلطرف ياقمر

* * *

ساهد الليل لا تجِمْ	واتل ماشئت من ذِكَر
قد تناسيت ما مضى	ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى	يسل لذاته الأخر

* * *

(*) النهر النائم : جزء أول .

(*) ياقمر : جزء أول .

النرجيلة (*)

هات نرجيلةً يضاحكنى منـ ـها خرير كجدول البستان

ذات أنبوبةٍ كحية حوا ءَ بفيها تفاحةُ الحرمان !

إنّ بين الضلوع نارًا أُوار يها فأخفى زفيرها فى الدخان

* * *

القمراء (*)

كلما أشرق فى الليل القمَرْ

وسها الناس ولاذوا بالحُجَرْ

خلتُ أرواحا تداعت للسمر

زُمَرا تهمس من حول زمرْ

إن هذا الحسن لا يمضى هدرْ

حيثما أسفر نور وانتشرْ

وحلا فى خلوة الليل السهرْ

فهنا لا ريب حِسٌ وبصرْ

شيمةُ المسحور يقفو من سحر

* * *

(*) النرجلية : جزء أول . (هى المعروفة بالشيشة) .

(*) القمراء : وحى الأربعين .

يوم شتاء (*)

يومُ بيتٍ لا يوم خـــوضِ الأياجى — فــائجُ مـــا بين صــفــحـــة وســـراج
وجـــمـــالٍ من النفـــوسُ يُناجَى — فى أســـارير وجـــهـــه ويناجى
مــستــهلّينَ والطبــيـعــة غـضــبى — وكـــلانا من هولهـــا الصـــعب ناج
نتــحـــدى الرياح والليل والأهوا — ل طرًّا بصـــفـــحـــة من زجـــاج !
فـــإذا مـــايروع منهـــا ويضنى — نتلقـــاه ههنا بابتـــهـــاج
كـــالذى يشـــهـــد الكوارث فنًّا — من فنون التـــمـــثـــيل والإخـــراج

* * *

زهرة القرنفل (*)

تعـــشّـــقتُ من زهر القـــرنفل لونه — ونشـــرًا كـــريح البـــابليـــة[1] زاكـــيـــا
تَقسّم نور الشـــمس أحـــمـــر قـــانيـــا — وأصـــفـــر وضّـــاحـــا وأخـــضـــر زاهيـــا
ونازع مــــحـــزون البنفـــسج لونه — وحـــاك له ثوبًا من الجـــو صـــافـــيـــا
كـــواعبُ أترابٌ تقـــاربن صـــورةً — وســيــمـــةَ حـسن واخـتلفن كـواسـيـا
وأســـمع منه حين أقـــبس ضـــوءه — وأنشق رياه فـــأنصت واعـــيـــا :
«تشاغلْ بما يجلو العيـون وغـمـضـهـا — ســـرائر دنيـــانا ، وإن كنت رائيـــا
وسيــان تحـديق العـيــون وغـمـضــهـا — إذا كـــان مـــاترتاده العين خـــافـــيـــا
فـحـســبك منهـا زينة تبـهـر النهى — فــغـــيـــر قليل مـــاترى النفسُ باديا»

* * *

(*) يوم شتاء : هدية الكروان .
(*) زهرة القرنفل : جزء أول .
(١) البابلية : أى الخمر .

الجسم الخجل (*)

أرى فى البحر أجساما تُشعُّ / عليها من حياء الحسن درعُ
إذا ما الماء جمشها تراءى / لها خجل على الأعطاف بدعُ
وما خجل الخدود وذاك جسمٌ / سَنَى الخجل المورَّد فيه طبعُ ؟

* * *

ليالى رأس البر (*)

مناظرُ من سحر الجمال أراها / ولولا سناها قلت : كنت أراها !
تلوح كذكرى حالم يستعيدها / لعمق معانيها و بعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ / وفيها من السلوى جميل رضاها
ليالى برأس البر تَنْدَى وداعةً / ورقةَ شجان ، وطاب نداها
وداعةَ ذات الدَّل شاب فؤادَها / شوائب من هجر ، فراض صاباها

* * *

ليالى برأس البر طالب نداها / وشفّتْ دياجيها ورقَّ سناها
هنا النيل ساج طال فى الدهر سيرُه / وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوَّار الدهور على الكرى / ويطغى فلايحمى النفوسَ كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطِّرادها / ترسلت الأحلامُ ملءَ مناها
هنا علم السلوى ، هنا العالم الذى / تحس الليالى فيه خمسَ خطاها
هنا العالم الشهود ذكرى قديمةٌ / وذكراك دنيا لاتزال تراها
فلولا حياتى فى عروقى أحسُّها / لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

(*) الجسم الخجل : وحى الأربعين

(*) ليالى رأس البر : هدية الكروان .

جمالكَ – رأس البر – وفى زى ناسك إذا ضاحكَ العينَ الضحوكَ شجاها
لياليك–رأس البر– فى صومعاتها مناسك ضلّت فى الظلام هداها
صحابك–رأس البر– أطيافُ نائم تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيامَ من الرُّؤى ولم أر جهدًا فى الحياة عناها

* * *

حياتك–رأس البر – طفل مُجَدد سقته ثدىُ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفةَ الخلد كلما فنينا ، وكم تُفنى الجسومَ نُهاها
بحسبى من أبناءِ آدم إن صفا لنا العيش يومًا ، أن تكفَّ أذاها

* * *

أغانى (*)

فى الهوى قلبى زورقٌ يجرى
أين يمضى بى نهره الخمرى
ليتنى أدرى !

* * *

ليته يجرى يا أبا الأنهار
مثلما تسرى فى حمى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف مسبل الشعر
ناعس الأطياف سابح الفكر
فى الهوى السحرى

* * *

(*) أغانى : عابر سبيل .

يارياض النيل علمى قلبى
فرحة التّهليل عشتِ للحب
يامنى الصب

* * *

قال لى قلبى والهوى يرعاه
هو فى قربى ما الذى أخشاه
عند ما ألقاه

* * *

الشتاء والربيع (*)

كل باد يريد أن يتوارى في الشتاء المغلّف المسدود
كل خاف يريد أن يتجلى في الربيع المزخرف المشهود
هات لى العالم الصريح ودعنا من حياة خجلى ، وطبع برود

* * *

فى القمر (*)

فى الليلة القمراء ، ما أحلى النظر ! لكل شىء لاح فى ضوء القمر
حتى الثرى ، حتى الحصى ، حتى الحجر

* * *

ليست من الآجرّ هاتيك البنىٰ لا بل خيال من ظلام وسنى
كخيله الأشكال فى السحب لنا

* * *

(*) الشتاء والربيع : عابر سبيل .
(*) فى القمر : عابر سبيل .

أكـــــاد عـنـد رؤيـتـى طـلاءهـا أُرسـل عـــــــيـنـىّ لمـا وراءهـا

كما تخوض نظرة فضاءَها

* * *

قد شفت بالصخرة مصباح الدجى فكيف بالنفس وكـيـف بالحـجى

عاش على مر الليالى مسرجا

* * *

العيش جميل (*)

صـفـحـة الجـو على الزر قـاء كـالخـد الصـقـّيـل
لمعـة الشـمس كـعينٍ لـمعـت نحـــو خـلـيـل
رجـفـة الزهر كـجـسمٍ هزهُ الشـوق الدخــيـل
حـيـث يمت مـروج وعلى البـعـد نخـيـل
قل ولا تحـفـل بشىء ! إنما العـيـش جـمـيـل

* * *

القـمر والظلام (*)

لا أوثر القـمـراء فى حـسنهـا على الدجى ، والطرف فـيـه يحـوم
سنـاك يابدر يرينى الثـرى وظلمـة الليل ترينى النجـوم

* * *

(*) العيش جميل : عابر سبيل .

(*) القمراء : الأعاصير . ص ٥٠ وبعنوان «القمر والظلام» (أعاصير مغرب ١٣٥) .

صداح الأثير (١)

مـلأ اللآفـاق صـداح الأثيـر
لا فـضـاء اليـوم .بل صـوت ونور

لك من كل فـضـاء شـاسع
حيـثـمـا يممتَ ، داع وبشـيـر

ماصـفـاد الجـو إن فـتـشـتـه
غـيـر أصـداء حـواليك تمور

لجِبُّ لكنه مـسـتـأذن
يطرق السـمع بسلطان قـدير

أوْ هى الأرواح إن قلت احـضـرى
حضرت ، أو شئت أعياها الحضور

قـيل أمـواج . فـقلنا وبحـور
من مـعـانٍ وبيـان وشـعـور

تركب الألبـابُ فـيـهـا سـفنًا
سـبَّـقـا بين طويل وقـصـيـر

حـملت من كل زاد ، وقـرت
كل غـاد ، ووعت كل أثيـر[٢]

ولـهـا فى كل يوم مـددٌ
يلتـقى الأول فـيـه والأخـيـر

❋ ❋ ❋

كـان فـرعـون لـه مـجلسه
وهو ذو الصرح المعلّى والسرير

ولـنـا فى كل دار مـجلس
يسع العـالَم أيان يدور

هو نـاد لـك ، أو مـدرسـة
أو مجال السبق ، أو ملهى السرور

غـلـب الـوهَـم الـذى زيـنـه
فى الأسـاطير خـيـالٌ مـستطير

دعـوة المارد إن قـيـسـت إلى
دعـوة المذياع ظن وغـرور

بورك العـلم لعـمـرى إنه
من صـفـات الله ، والله قـدير

ربما أسـمـعنا فى غـده
نغم الأفـلاك ، أو صوت الضمير

❋ ❋ ❋

(*) صداح الأثير : أعاصير مغرب .

(١) اقترحت محطة الإذاعة موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(١) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المنتقى .

أسـود يلتحى (*)

أليس كـفى هذا السـوادُ فـزدتَه ... سـواد غـراب فى لحـاك مـعلق ؟
سـريت برأس لا حـدود لوجـهـه ... فـمـا زال فـيـه الليل بالليل يلتـقى
ألا فـانتظر حتى تشيب فقـد ترى ... سـوادك مـحـفـوفـا بأبيض مـشـرق
وأخلقُ أن يرتادك الشـيـب حـالكا ... على حـالك ، لو كـان يجـرى بمنطق

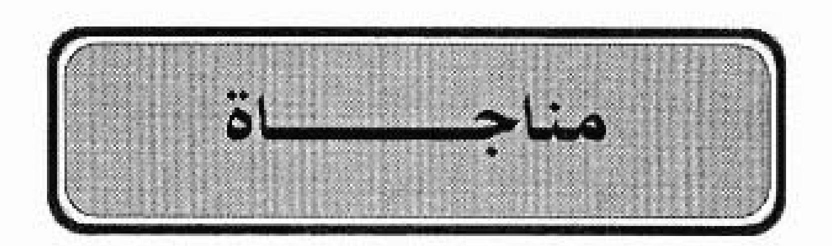
* * *

على شاطئ البحر (*)

نفض النسـيم عن النفـوس رمـادها ... فـأعـاد للسـالى قـديم هواه
والبـحـر تطّرد الخـواطر عنده ... مـثـل اطّـراد اللـج حـين تـراه
لم أبصـر الآذىَّ فـيـه كـأنه ... خـيل الطّراد تسـوقـهنَّ صَـبـاه
وكـأنَّ متن الماء فى شمس الضحى ... فـيـروزجٌ قـدح الضـيـاء سناه
وكـأن مـبـيضّ الجليـد طفـا به ... إن مج بالزبد النقى حـشـاه
إلا وددتُ بـأن أراة فـلا أرى ... أفُـقًـا يصـد الطرق دون مـداه
الروح يطمع أن يتـيـه بلا مـدى ... والعين ترسم فى الفـضـاء خطاه
البـحـر أقـدم والنفـوس قـديمة ... فـالنفس تألفـه ولا تنسـاه

* * *

(*) على شاطئ البحر : الجزء الأول .


مناجـــاة

مناجاة(*)

يا من أُحب لقاءه ... سرًا وأزوى عنه جهرا
إن العيون بمرصد ... لى فى هواك ، وأنت أدرى
من ذا يتيه على الحما ... ل وأهله بالتيه أحرى
الشمس تحيى بالضيا ... ءلحاظنا فنغض قسرًا
كن فى الملاحة والصبا ... لقلوبنا فخًا ووكرا
واغنم بحسنك حبنا ... واقنع بهذا الحب أجرا

* * *

لسان الجمال(*)

يا من إلى البعد يدعونى ويهجرنى ... أسكتْ لسانًا إلى لقياك يدعونى
أسكتْ لسان جمال فيك أسمعهُ ... فى كل يوم بأن ألقاك يغرينى
أبالجمال تنادينى وتجذبنى ... وبالمقال تجافينى وتقصينى
هيهات لست بسال عنك مانطقت ... فيك المحاسن فانظر كيف تسلينى
أعصيك أعصيك لاً آلوك معصيةً ... ولست أعصى جمالا فيك يحيينى

* * *

متى !(*)

متى تشرق الشمس التى قد رأيتها ... تغيب وراء الأفق فى مغرب الأمس
لقد طال عمر الليل حتى حسبتها ... توارت من الغرب المعصفر فى رمس

* * *

(*) مناجاة : الجزء الأول ٦١ (٤٨ فقرة ٦٣) .

(*) لسان الجمال : الجزء الأول .

(*) متى : الجزء الأول .

الحب الأول (*)

(. . . كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقاى الشاعران النابغان المازنى وعلى شوقى قصيدة ابن الرومى النونية التى يمدح بها أبا الصقر ويقول فى أولها :

أجنيتك الورد أغصان وكثبان
فيهن نوعان : تفاح ورمان
وفوق ذينك أعنـاب مهدّلة
سود لهن من الظلماء ألوان

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرها وقافيتها وقد فعلنا فنظم المازنى قصيدته فى مناجاة الهاجر ونظم شوقى قصيدة فى هذا المعنى ونظمت أنا هذه القصيدة فأهدتها روح ابن الرومى :

يهنيك يازهر أطيـارٌ وأفنان — الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك ! لستَ بإنسان فتشبهنى ! — إنى ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلى فى مواكبه — وهكذا الدهر آن بعدها آن
تفتحت عنه أكمام السماء رضيً — وزفـهُ من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور [1] فى البستان باسمةٌ — والأرض حالية والماء جذلان
الشمس تضحك ، والآفاق صافية — جلواء ، والروض بالأثمار فينان [2]
وللنسيم خفوق فى جوانبه — وللطيور ترانيم وألحان
فى كل روض قُرى للزهر يعمرها — ياحبذا هى أبيات وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عَبَقٌ — كما تراسل بالأسواق حبّان
الورد يحمر عجْبًا فى كمائمه — والياسمين على الأغصان ميسان [3]
وللقرنفل أثواب ينوعها — عن البِلَور صَناعُ الكف رقّان [4]

(*) الحب الأول : الجزء الأول .
(١) وشائع الثوب : طرائق نسجه .
(٢) فينان : مثمر .
(٣) ميسان : نائم من الوسن .
(٤) رقّان : مزركش - بكسر الكاف .

وللبنفسج أمساح ممسّكة ... كأنه راهب فى الدير محزان
وحبذا زهر الليمون يسكرنا ... منهنٌ جام خلا من مثله الحان
والليل يحييه والأطيار هاجعة ... بلابل وشحارير وكروان[1]
مؤذن الطير يدعو فيه محتسبًا ... فيستجيب له بَرٌّ وغيان
والصبح فى حلل الأنوار طرَّزه ... فى الشرق والغرب أسحار وأصلان[2]
كأنما الأرض فى الفردوس سابحة ... يحدو خطاها من الأملاك ربان
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح ... فكل ما فى فضاء الله فرحان
إلا المحب الذى لا حبّه دنس ... ولا مودته خِبٌّ وإدْهان[3]
نفاه عن عُرس الدنيا شواغلُه ... إن الحدا عن الأعراس شغلان

. . . .

يامن يرانى غريقا فى محبته ... وجدًا ، ويسألنى هل أنت غصان ؟
واضيعةَ الحب أُبديه وأكتمهُ ... ومن عنيت به عن ذاك غفلان !
لى فى مديحك أشعارٌ أضنّ بها ... على امرئ فخره عرش وإيوان
على محياك من وشى الصبا روَع[4] ... وللمحبين أحداق وأعيان
ففيم تعذلهم إن راح ناظرهم ... بحسن وجهك يهذى وهو ولهان ؟
ما الحسن ذنبًا ، فما للحب تحسبهُ ... ذنبا من الناس لا يمحوه غفران ؟
هما شقيقان فارفق أن تحيلهما ... ضدّين بينهما نأىٌ وهجران
من علّم النا س أن الحب مأثمة ... حتى كأن ليس غير البغض إحسان
هبها جناية جان أنت آثمها ... ما كان يعصم لا إنس ولا جان
إن الجسوم مثنّاةٌ جوارحها ... إلا القلوب فصيغت وهى أُحدان
لكل قلب قرينٌ يستتمٌ به ... خَلقٌ وخُلقٌ فهل يرضيك نقصان ؟[5]
إن التعاطف بالأرواح بغيتنا ... وفى الوجوه على الأرواح عنوان
تمثالك الصخر أحظى منك أن نفرت ... عنك العيون ، ولم يشملك وجدان
إنا لمن معشر حب الجمال لهم ... حبٌ لما كان فى الدنيا ومن كانوا[6]

---

(١) كروان : جمع كروان . (٢) أصلان : جمع أصيل .
(٣) إدهان : مكر وملق .
(٤) روع : ملاحة وجمال .
(٥) خلق لكل عضو قرين فى الجسم إلا القلب فإنه منفرد لا يكمل إلا بقلب آخر .
(٦) لايعرف أن حب الجمال إنما هو بمثابة حب كل شيء إلا من لخص نفسه من تعريف الناس للحسن والقبح .

ليــأمنْ الطيــر أنا لا نكيـــد له ولايخفْ مكرنا وحش وعــقــبــان
لو تســمع الورُق[1] نجوانا لكان لهـا منا غـصـون نضيـرات وأحـضـان
أو كــان يدرَى حـيـىّ نبت عـفـتنا لم تُغض منه بأيدينا أغـيـصــان
أو ينظر الســـائم النابى طويتَنا لم تألف القــفــرَ آرامٌ وغـــزلان
ولا اتقى الحوتُ شراًّ حين يبصـرنا إذا وقتـه شبـاكَ الإنس قـيـعـان
ياليت أن لنا كــهــفًــا نعــوذ به إن راح يفــزعــهــا بغىٌ وعــدوان

* * *

....

مــاضــرٌ من نال فى حين سـعـادته إن فــاته فى طويل الدهر أحــيــان
إذا جنيت من الأيام زهرتـهـــــا فـاقنع ؛ فـسـائرها شـوك وعـيـدان
ولا وربك مــا بالنفس مــقــتنع أكــان نجح لهـــا أم كــان حـرمــان
فـإن روينا ، فـبـعض الرأى مظمـأة وإن ظمـــئنا ، فـمـــا يرتاح ظمـآن
أى الفـريقين أحـمى لهـفـةً ووجىً من ذاق أو لـم يذق ؟ فـالكل لهـفـان
ياليلة حُطمت أنوال حـــائكهـــا فــلا يحـاك لهـــا فى الدهر ثُنيــان
العيشُ من قبلها شوق نعمت به والعـــيش من بعــدها ذكــر وتحنان
طالت ولا غـرو فـالجنات خـالـدةٌ وفى الوصـــال من الجنات ألوان
أصبـحت والله لا أدرى لبـهـجتـهـا أليـلـةٌ سـلـفـت أم تـلـك أزمــــان
وكيف لا وهى شطرٌ حين أحسبهـا والعـمـر شطرٌ ، وفيـهـا عنهُ رجحـان
لقـد شـقـانا الهوى خمرًا معـتّقـة صـبـا بهـا قـبلنا شـيبٌ وشـبـان
هيـهـات لا تبلغ الصـهـبـاءُ نشـوتَها ولو تناول منهـــا البـــحـــرَ نشــوان
فـاض الهـيـام على قلبى فـفـاض به نـبـعٌ لـه مـن وراء الـدمـع شـطـآن[2]
وددت والدمع فى عـينىّ مـحـتـجـزٌ لو ســال منه على خـــدىٌّ غـــدران
أمسيت أرشف شهدا من مراشفه والسلســبــيل بعلـيين غـــيـــران
والنيل تجـرى له فى كل ناحـيــة جــــداولٌ لؤلؤيات وثغـــبـــــان
يقـودنا حـيـث شـاء الموج واطّردت أمــــواهه ، فكأن الفلك وسنان
حـتى تصـرم جنح الليل وانبـثـقت من كل مطّلع للصـبـح عـــمـــدان

---

(١) الورق : أى الحمائم جمع ورقاء .
(٢) شواطئ .

فمـا أفـقنا وعين الصـبح شـارفـة ... ومـا هجـدنا وغـول الليل سـهـران
بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها ... شمـوس أنس مـضيئات وشـهـبان

. . . .

بقـيـة لك أتلوها وأُنشـدها ... هذى القـصـائد لى فـيـهن سلوان
بقية من متاع الذكر قد صفحت ... عنهـا السنون . فلى بالذكـر قنعـان
كـأننى تاجـر فى الشط مـرتقبٌ ... مـوج الخضمّ . وفلكى فيه غـرقـان
خذى بقـاياك لو تسطيع تذهبـهـا ... كـمـا ذهبت فـيطويهن نسـيـان
لا يأمن الحبَّ صبٌ لا يكون له ... بالحب عن صلة المحـبوب غنيـان
مـا كنت أجـهل لما أن كلفت به ... أنى سـألقـاه يومـا وهو غـضـبـان
من لى به مـثل مـا أرضـاه فى مـلأ ... هامـوا وهانوا فـهم للوهم عـبـدان ؟
تفـرق الناس أو طانًا ومـا افـترقت ... لهم على حـسب الأفـهـام أوطان
بتنا نسـاكنهم دارا ونحـسـبـهم ... منا ، وشـتـان إنسـان وإنسـان
نشقى بأنفسنا فـيهم فـيسعدهم ... هذا الشـقـاء ولا يجـزيه شكران

* * *

يا أملح الناس هلاً كنت أكـبرهم ... روحـا فـيتـفـقـا ، روح وجـثـمـان
صـدّقتَ باطل مـا قـالوا كـأنهـمو ... لا يكذبون ، أو آن العـذل قـرآن
أمـا علمت بأن الناس ألسنةٌ ... سـودٌ لهـا غـيـر مـا تبـديه أبطان
أحـرى مزاعـمـهم بالشك أسيرها ... فـالحق مـتـئـدٌ والإفك عـجـلان
وربَّ قـولة زور قـالهـا رجلٌ ... منهم فطاف بهـا فى الأرض ركـبـان
تداولوها فـراحت فى مـذاهبـهم ... شـريعـةً نقـضـهـا كـفـرٌ وعـصـيـان
مـاكـثـرة المثبـتين الأمـرَ تثبـتـه ... ولا بقلتـهـم للحق إيهـان
فـإن ألف ضـرير ليس يَعـدلهم ... بالمبـصـر الفـرد يومَ الشك مـيـزان

. . . .

تكشّـفتْ هذه الدنيـا فـأنكرها ... حـسى وأذهب فـيـهـا الحدْس إيقـان
مـازال يحـرمنى دهرى ويوهمنى ... حـتى غـدا وهو بالأوهان ضنان
إناً لنضحك لا صـفـواً ولا لعـبًا ... وقـد ينوح بغـيـر الدمع أَسْـوَآن[1]
أعيى العقول صلاحُ الخلق من قدم ... وضـاق عن هديهم ذرعٌ وإمكان

(١) أسوان : حزين من الأسى .

فعش كما شاءت الأقدار فى دعة ... لا يجرمنك[1] بَرُّ الناس أو خانوا

لعلهم فى طريق الصدق قد سلكوا ... ونحن نحسب أن القوم قد مانوا

من عاش فى غفلة طاب البقاء له ... وإن تولته بالأرزاء حدْثان

لم يدر من نام والأفلاك دائرة ... أدار بالسعد أم بالنحس كيوان

فاطلب لنفسك منها مهربًا أمنًا ... ودانِ من شئت فالأعداء خلاَّن

والزم حياتك واعشقها فبينكما ... فى شرعة الطبع ميثاق وإيمان

هى الوجود فصنه أن تجود به ... على التراب ، فإن الحر صوان

. . . .

وانهض بها مرةً فى الدهر واحدة ... ثم استرح أبدًا والحقْ بمن حانوا [2]

* * *

كأس الموت (*)

إذا شيعونى يوم تُقضى منيتى ... وقالوا أراح الله ذاك المعذَّبا

فلا تحملونى صامتين إلى الثرى ... فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا

وغنوا فإن الموت كأسٌ شهيةَ ... وما زال يحلو أن يُغَنَّى ويُشربا

وما النعش إلا المهد مهد بنى الورى ... فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا !

ولا تذكرونى بالبكاء وإنما ... أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

* * *

(١) لا يجرمنك : لا يهمنك .

(٢) حانوا : ماتوا .

(*) كأس الموت : الجزء الأول .

الحبيب الثالث (*)

(ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى ، وقد شبه أحدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم)

قِلاك من دفّاع نار الجحيم ... ووصلك الجنة دار النعيم
وريقك الكوثر لكنه ... كالمُهل فى صدر المحب الكظيم
وخدّك الزقوم مرٌّ لمن ... تزويه عنه وهو حلو الشميم
وأنت تضنى كل جسم سليمْ ... وأنت تشفى من ضناه السقيم
وأنت دان نافر ، راحم ... قاس ، محب ، كاره ، لا تدوم
ويا نسيمًا شبماً (1) ربما ... أذكى كما أطفأ ذاك النسيم
ويا برىء الوجه فى ناظرى ... ويا أثيما فى الفؤاد الكليم
الحب لونان وما أن أرى ... حبا بلون واحد يستقيم
كن لى على النعمة عونا أكن ... عونا لقلبى فى العذاب الأليم

خير ما فيهن (*)

غفر الذنبَ من بكائى عليك ... أننى لا أعود ما عشتُ أبكى
لا ياوى - وقد تعلمت منك- ... نسلُ حوّائكنَّ دمعةَ شك

خير ما فى النساء ساعة ضحك

إلى صديق (*)

أُخىٌّ وأعذب بها لفظةً ... تذكّرنى العهد عهد الصفاء
أهبْتَ بودى ولمّا يمتْ ... فأسمعت حياً بذاك النداء

(*) الحبيب الثالث : الجزء الأول .

(1) شبما : باردها .

(*) خير ما فيهن : وحى الأربعين . (*) إلى صديق : الجزء الأول .

ولم ينسنى القصر [1] عهدا خلا ... وكيف وفى القصر معنى البقاء
وإن أنس شيئاً فإنى نسيـ ... ـت يا صاحبى أيّنا قد أساء
ولست بقال ولا ناكث ... ولكنْ كذلك شاء القضاء
وهذى القلوب بأيدى الزما ... ن يقلب أهواء كيف شاء
وقد يذهل المرء عن نفسه ... فكيف يلام على الأصدقاء ؟!

خواطر الأرق (*)

يا ليلُ لونك فى اللواحظ إثمد [2] ... إلا لدىّ فمن غبار يُرمد
ها أنت بالرؤيا تضن لأنها ... سلواىَ ، حين تركتنى لا أرقد
دل الظلام على المدامع خاطرا ... أعيى عليه مع الصباح المورد
كم فى الدم المدعوّ بالإنسان من ... زعم يطيش وعارض يتردد
العقل شيخ والحياة فتيَّة ... والعيش بينهما شقاق مجهد
والطبع يغرينا ولست بواجد ... كالطبع طفلا لا يفارقه الدَّد [3]
أوَّاه من عبث الحياة وسوء ما ... يجنى الزمان وشر ما يتوعد
لا أشتكيه فقد أمرٌّ فساغ لى ... ما لا يسوغ وسرنى ما يكمد
وجزعت حتى قيل جُن من الأسى ... وصبرت حتى قيل صخر جلمد
أُبدى التجلد والتجلد فى الأسى ... بعض الرياء ، وبعضه قد يحمد

. . . .

وخميلة يجنى الغداف قطافها ... وترود حوليها الصِّلال [4] الشرد
كرمتْ عنّاصرها وأينع يومها ... حسنا ، ويوشك أن يطيب لها غد
ظللتها بالنصح إلا أنها ... لم تلق من يرعى ومن يتعهد
باتت تجاذبها السّموم فتلتوى ... طوعاً ، ويدعوها النماء فتجمد
يا من أصون جماله وكأنه ... خصمٌ على تلك المحاسن يحقد
لا شىء أوجع لامرئ من أن يرى ... حملا يطيب مع الذئاب ويرغد

(*) إلى صديقى : الجزء الأول .

(1) إشارة إلى قصر ملا وهو طلل فى حديقة كنت أجلس فيها بأسوان وقد أشار إليه الصديق فقال :

أعباس يهنيك قصر به ... نسيت الوداد وعفت الإخاء

(*) خواطر الأرق : الجزء الأول . (2) الأثمد : حجر الكحل .

(3) الدد : اللعب . (4) الخميلة : هى الشجر الملتف . والصلال جمع صل : وهو الثعبان الخبيث .

أخشى عليك من البعيد وأنت لا
تخشى من الدانى الذى لا يبعد

وأحوط حسنك بالتمائم والرُّقى
وتظل تنثر عقدها وتبدد

وتبيت ريان الجفون من الكرى
والنار حولك والدخان الأسود

لم تتبع نصحى وملت مع الهوى
جهلا ، وغرَّك أن غصنك أملد

والغصن تسقط - إذ يميل - ثماره
ويزلّ عنه الزهر إذ يتأود

إن كنت تحميك الطراءة والصبا
شرُّ التقصف فالتجرد أنكد

أولى بوجهك أن يضنيك حسنه
من أن يحفك منه غيم أربد[1]

هذى يمينى فى يمينك فاعتصم
أولا فأرسلها فما لك منجد

لو كنت نوحا لم تفدك سفينتى
إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا

فاستبق ودك للذين عرفتهم
إنى لغير الطهر لا أتودّد

ما كنتَ أول نعمة ودعتُها
كلا ، ولست مع المودة تخلد

ماذا على الدنيا لو أن مغرراً
منها يميل به الغواة فيفسد

لولا المشوب لما يمخض خالص
منها ، ولو لم يعتدوا لم يهتدوا

ما كنتُ يوما بالأنام موكلا
فأعدّ منهم من يضل ويرشد

إنى اتخذتك للصيانة قنية
فعلمت أنك بهرج لا عسجد

فالآن ألقى فى التراب بحلية
كانت أحب ذخيرة تُتقلد

إليك (*)
إهداء الديوان الثانى

إليك إهداءُ أطرابى وأشجانى
لوكنتَ تعلم إسرارى وإعلانى

شعر لحسنك فيه كلُّ قافية
وما تضمَّن إلا بعضَ وجدانى

يُهدَى إليك ولم تفطنْ لدعوته
كأنما هو قربانٌ لأوثان

ولو صمدتُ بتسبيحى إلى وثن
إذن لأثلج صدرى صدقُ إيمانى

وخفف النار : نار الوجد عن كبدى ،
علمى بأنك لم تجهل بقربانى

لكنْ جهلتَ مناجاتى فواجذلى
لو فزتُ منك ، على علم ، بحرمان

يا من هو الناسُ فى عينى وإن كثروا
إنى أخص بشعرى كلَّ إنسان

أُهدى إلى الناس ما أعنيك أنت به
فاقبل ، فإنك بعض الناس ، ديوانى

---

(١) الأربد : اللون الكدر المتغير .

(*) إليك : الجزء الثانى .

الدنيا الميتة (*)

أحبك حب الشمس فهى مضيئة — وأنت مضىء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر — وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبى للحياة فإنها — شعور ، وكم فى القرب منك شعور
فهل فى ابتغائى الشمس والزهر سُبَّة — وهل فى ولوعى بالحياة نكير

. . . .

فدع ما يقول الناس واعلم بأننا — على غير ما سار الأنام نسير
لنا عالم طلقٌ وللناس عالم — رهينٌ بأغلال الظنون أسير
ووا أسفا ! ما نت إلا نظيرهم — وإن لم يكن للحسن فيك نظير
ويا عجبا منا نسائل أنفسنا — إذا سئلت حارت وليس تحير (١)
أنشقى بدنيانا لأن منعَّما — من الناس بسَّام الثُّغير غرير
أيذوَى الصبا فينا لأنك ناشئ — ربيع الصبا فى وجنتيه غضير
أتعشى مآقينا لأنك أحور — بعينيه من ومض الملاحة نور
ألا نتملى الحسن والحسنُ جمةٌ — مطالعه إلا وأنت سمير
فيا ضعية الدنيا إذا لم يكن بها — غنىً عنك للمحزون حين يثور
ويا ضيعةَ النفس التى لا يجيرها — من البث والشكوى سواك مجير
إذا الشمس غابت لا نبالى غيابها — وإن غبت آض العيش وهو كدور
وليتك مثل الشمس ما فيك مطمع — فيهدأ قلب بالضلوع نَفور
قريتَ ، ولم يخطئ عطاش تلهفوا — على جدول فى السمع منه خرير
وسرتَ على الأرض التى أنا سائر — عليها ، ولم تُضرب عليك ستور
فلو لم تُوَلّ شطرك لامنا — على الجهل كون بالجمال فخور
لديك مقاليد السرور وديعة — وما لمحب فى سواك سرور
فإن تأذن الدنيا أباحت شوارها (٢) — وغنت عصافير وفاح عبير
وإلا فما فى الأرض حظ لناظر — ولا النجم فى عُليا السماء يدور

(*) الدنيا الميتة : الجزء الثانى ١٦٧ (٤٣ فقرة ١٢٩) .

(١) تحير جوابا : أى ترد .

(٢) شوار العروس : جهازها .

بعد عام (*)

كاد يمضى العام يا حلو التثنى ... أو تولّى
ما اقتربنا منك إلا بالتمنى ... ليس إلا !

* * *

مذ عرفناك عرفنا كل حسنٍ ... وعذابِ
لهب فى القلب ، فردوس لعينى ... فى اقترابى

* * *

غير أنا لا نرى الفردوس إلا ... رسمَ راسمُ
وشربنا من جحيم الحب مُهلا ... شرب هائم

* * *

لا تلمنى أنّ قلبى خاننى ... أو عشقتُكْ
لم يكن منّىَ إلا أننى ... قد رأيتكْ

* * *

كان فى الدنيا جمال لا يُعَد ... ثم لُحتا
فعددنا الحسن طرًا فهو فرد ... وهو أنتا

* * *

كأسى على ذكرى (*)

. . . .

هاتها واذكر حبيب النـ ... ـفس يا خير ثقاتى
ودع التلميح واجهر ... باسمه دون تقاة (1)
أترى نُحرم حتى ... ذكره فى الخلوات ؟
صفه لى صفه وما كا ... ن بمجهول الصفات

(* بعد عام : الجزء الأثانى . ١٤١ (٨ فقرة ٢٩) .

(*) كأس على ذكرى : الجزء الثانى . ١٤٤ (١٢ فقرة ١١٩) .

(١) تقاة : مبالاة .

غيـــر أنى أمـــتع الســمـ ـــع بحظ الحـــــدقـــــات
صـفــه فى عــينى وبما تعــ ـــدو به وصف الأضـــاة[1]
صـفــه فى قلبى لو اسطعـ ـــت ، وترجم زفـــراتى
أتـــرى ألـــبـــق مـــنـــه باصطيـــاد المُهُـــجـــات
أتـرى أمـلـح مــن خــطــ ـــرته بـين الخـطـرات
أترى أصـــبح من خـــد يــه بــين الــوجــنــات
أترى أعـــدل من قـــا مــتــه فى الصــعــدات [2]
ذهبىّ الشـعـر سـاجى الطـ ـرف حلو اللفـــتـــات
وحـــيىّ لا يحـــيــ ـــك بغـيـر البسمـات
جـــاهل بالحب أشكو ه ولا يـــدرى شـــكـــاتـــى
وغـــرير القـلب لا يفـ ـهم مـــعنى نظـراتى
ودَّ لـو يســـأل مـــالى مـــســـتـهَلَّ العـــبـرات
وإذا قلت «شـــجـــانى من أفـــدِّيه بذاتـى
ليس ينجـيـنى وفى كـفـ ـيـــه لو شـــاء نجـــاتى»
قـال مـا أقـســاه من جـا ن غليظ القلب عـــات !

. . . .

صـفـه ! بل أمـسك فـقـد ها جت عليـــه حُــرُقـــاتى
جـــمح الوجـــد بأشـجـــا نى وضـــاقت أزَمـــاتى
هاتهــا صــرفًـــا وأغــرق فى طلاها حـــســـراتى
عـــوضـــاً عــمـــا يؤاتى مـــن هـــوى أو لا يـــؤاتـــى

الصبابة المنشورة (*)

صبابةَ قلبى ! أقبل الليل غاضياً [3] فهُبى ! فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقـد تهـجـر الموتى القـبـورَ أمـينةً إذا الليل غـشّى بالرقـاد المآقـيـا

---

(١) الأضاة : المرآة .
(٢) الصعدات : جمع صعدة وهى قناة الرمح .
(*) الصبابة المنشورة : الجزء الثانى .
(٣) غاضيا : مظلما .

وثوبى إلى الدنيا مع النوم فانظرى مكانك قد أنوى وعرشك خاويا [١]

ومُرّى به مرّ الغريب وطالما تربعتِ فيه قبل ذاك لياليا

ولا تسألى من بالديار ؟ فأنها على موثقٍ ألا تجيب مناديا

* * *

بدا شبح عار من اللحم عظمُه يجاذب أضلاعاً عليه حوانيا

يقارب فى قيد المنية خطوه ويمشى به ليلاً مع الليل ثانيا

وقال سلام ! قلت فاسلم وإن يكن دعائى لميْت بالسلامة واهيا

مَن الطارق السارى ؟؟ فقال صبابة نعمتَ بها حينا وما أنت ناسيا

فقلت أرى جسمًا عرى من روائه وعهدى به من قبلُ أزهر كاسيا

جهلتك لولا مسحة فيك غالبت بشاشتُها أيدى المنون المواحيا

جهلتكِ لولا هزّة فى جوانحى يدَ الدهر [٢] لا تُبقى من الشك باقيا

ألا شدّ ما جار البلى يا صبابتى عليكِ . فكيف استلّ تلك المعانيا

أأنت التى أسهرتنى الليل راضيًا وأنت التى أسكرت عينىّ صاحيا ؟؟

وأنت التى كنا إذا الناس كلهم تولوا ، وجدنا مغنما فيك وافيا

وأنت التى جلّيت لى الأرض جلوة أسائل عنها الأرض وهى كما هيا

أسائل عنها كل شىء رأيته أما كنتَ فينان [٣] المحاسن شاديا

نفخت بها روحاً فغرد صامت ورنّم جلمود ، وأصغيتُ لاهيا

فلما ألَمّ البين لاذت بصمتها وأمسيتُ حتى يأذن الله صاغيا

وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة [٤] ولو كان فيه معبد [٥] القوم ثاويا

* * *

نعم أنت لولا ساتر من منية وحسبك ستراً بالمنية ساجياً

وأن امرءاً ماتت خوالج نفسه فليت لقد جمع الشرين حيّا وفانيا

حياة لها حد ولا حدّ للردى فليت المنايا والحياة تواليا

كما تتوالى يقظة العيش والكرى وتعب أنوار الصباح الدياجيا

---

(١) خاويا : تخرب .

(٢) أى إلى آخر الدهر .

(٣) فينان : مزهر .

(٤) نأمة : صوتا خفيا .

(٥) معبد : إمام المغنيين فى صدر الدولة الأموية .

إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا   إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا [1]

* * *

الهين الصعب (*)

. . . .

أكبرتُ قدرك حتى لست أدركه   وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا

فإن تباعدت عنى وادّنيتَ لهم   فما توانيتُ فى خطوى ولا دأبوا

يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم   فلا يملك عنا الصد والعجب

أو ليت مثلك يدرى ما نهيم به   فلا تُعز علينا بعضَ ما نهب

نضرة فى الشتاء (*)

يا نضرة فى الشتاء أبصرها   أبهج من كل منظر نَضِر

كأنها والعيون تنهبها   والنفس تَرْوَى بحسنها العطر

ألف ربيع للعين مُدخَّر   بل ألف حب للقلب مختصر

يا طيب ذاك الأكسير مجتمعاً   من حُسْن شتى الرياض والغرر

أضمه كله وأرشفه   فى قبلةٍ كوثرية السَّكَر

* * *

إلى الغرق (*)

دعتك العرائس فى بحرها   ففيم الوقوف على الساحل ؟

إلى الماء ! لا بل إلى السابحـ   ـين ، لا بل إلى الغرق العاجل

فليس على البحر إلا غر   يقٌ ، وإن لم يكن فيه بالنازل !

سواحره احتشدت كلها   علينا ، فيا ويح للغافل

* * *

(١) دواليا : بالتداول .

(*) الهين الصعب : الجزء الثانى .

(*) نضرة الشتاء : وحى الأربعين .

(*) إلى الغرق : وحى الأربعين .

مـــائـدة (*)

مـــائدةٌ أســرف فى طهـــيـــهـــا عشـرين عـامـا ، عـبـقـرىُّ الزمـانْ
أكــرمنا الطاهى بهـــا ســـاعـــةً فكـيف بالمكـرم يلقـى الهــــوان
حـــسنٌ وأنسٌ وحـــيـــاءٌ مـــعـــاً وطلعــــــة البـــدر ونفح الجنان
مـــدتْ لنا طوعـــا فـــمـــا عـــذرنا إذا تركنا لـقـــمـــــةً فى الخـــوان [1]

* * *

لغـــير البيع (*)

جـواهر الحب قـالوا : غـيـر زائفـة مـهـلا ! فـمـا أنا فـيـه بائع شـار
كـــــلا ، ولا أنا من شكٍ ولا ولع بالسـرِّ عـارضُ أحـجـارى على النار
خذ معدن الحب أن ألفيت معدنه .. إنّى قـنعـت بومضٍ منه غــــرار
مـــا للأناسىّ من حب يدوم ، ولا حب يقـــوم على صـِدق وإيثــار

* * *

ليلة البـــدر (*)

هاتِ لى الذكرى وجدد ما مضى ، عندك الذكــرى ورُجـعــاها مــعــاً
هات مـا كـان كـمـا كـان انقضى ، أو فـــجـــددْ غـــيـــره مـــبـــتـــدعـــا
ليلة البـــدر ، وقـــد كـــان الرضى مـــوعـــدَ الأهرام نبــغى مطلعـــا
فـــقـــضى اللّه ســـواه غـــرضـــا

* * *

(*) مائدة : وحى الأربعين .

(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .

(*) لغير البيع : أعاصير مغرب .

(*) ليلة البدر : وحى الأربعين .

قــــد نوينا ونوى الغـــــيبُ لنا نيّـــةً أمــتعَ للمـــســـتـــمــتع
خُــسف البــدر وأمــســيت أنا ادَّعى مـن نشـــوة مـــــا أدعى
كلمـــــا ناديتنى هيّـــا بنا ! قلت : هيـا ! وأنا فى مــوضــعى
السنى عندى فـمــالى والسنى

* * *

خُسف البـدر ومـا كـان الخسوفْ شـيــمــة البـدر الذى بينَ يدىّ
نشـــر الناس وطافـــوا بالدفــوف وأنا والبـــــدر فى نشـــــر وَطىّ
خلٍّ من شـاء كـمـا شـاء يطوف إن بـــدرى طـــالـــع مـــنـــه إلىّ
لا أحب البــدر ترعـــاه الألوف

* * *

يا ســمـيــر الليل يا نعم الســمــيــر مـــا لنا والصــبح مــا دمت أراك
أنا فى نور وروض وعـــــبـــــيـــــرْ حـــينمـــا ألقـــاك لا ألقى ســواك
رشـفـةٌ من ثغـرك العـذب النضيـر أو من الكأس احـتـوتهـا شـفـتـاك
وســـلامٌ أيهـــا الكون المنيـــر

* * *

هاتِ لى من فـيك أنفـاس الغـرامْ أو فـقل إن شـئتَ أنفـاس الحـيـاة
واسـقنى الخـمـرة من أعـذب جامْ لا من البلوّر فى أيدى الســقـــاة
ثغـــرك الضـــاحك كـــأسٌ ومُـــدَامْ ونـــديمٌ لـــى ، وراو فـــى الـــرواة
ينشـد الشـعـر فـيشـجينى الكلام

* * *

ينشـد الشـعــر جـديداً كـالصّـبـا وأنـا نـاظـمــــــــه مـنـذ سـنـين
بث فـيــه من صـبـاه عـجـبـا فـــإذا قلتَ ارتجـــالٌ لا تمين
هات لـى الحــــسن وهات الأدبا واسـقنى الخـمـر من الثـغـر المبين
ذاك حـسـبى فى زمـانى مطلبـا !

* * *

إعفــاء (*)

أعـــفـــيك من حليـــة الوفـــاءْ إنك أحـلـى مـن الـوفـــــــاء !
خـونى . فـمـا أسـهل التـقـصّى عـندى ومـــا أســـهل الجـزاء
وليس بالســهل فى حـــسـابى فـــقـــدك يـا زينـة النســـاء !

* * *

الحــب الضاحــك (*)

فرغتُ من الحب الذى يُعقب الشكوى فحبى من النُعمى وليس من البلوى
بذلت لـه نارى ثلاثين حــجـــةً فـلا نار بعـد اليـوم . . اليـوم للحلوى

* * *

لو كان إلها (*)

(قال الشاعر الفرنسى «دوجيرل» لحبيبته : «لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدىْ قدرتى وقضائى، ولأعطيتك الهيولى وما فى أحشائها من رحم خصيب . بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين -إبتغاء قبلة واحدة» .

وسئل صاحب هذا الديوان : «وماذا تعطينى أنت لو كنت إلها» فقال :

أعطيك ؟! كيف وما العطاء بخير ما تبـدى القلوب من الغـرام الصـادق
بل لو غدوتُ كما اشتهيت وأشتهى ربا ، أخـــذتك أنت أخـــذ الواثق
فــتـرين أنك حين فــزت بحظوتى أحلى وأجـمل من جـمـيع خـلائقى
وتسيطرين على الصروف ، وفوقَـها نبـضـاتُ قلبى المسـتـهـام الوامق
إن كـــان رب الكون عندك قلبـــه أهونْ لـديك بأنجم وصـــــواعق
وبكل شـمس فى السـمـاء وضيئة وبكل بحــر فى البـســيطة دافق

(*) إعفاء : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) الحب الضاحك : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) لو كان إلها : وحى الأربعين .

ماذا عليه (*)

ماذا عليه إذا استوى ... وإذا التوى ، ماذا عليه ؟
هذا القوام جماله ... مهما تعسّف ، فى يديه !
أنَّى تمايل عطفه ... مالت جوانحنا إليه
أشتاق بعض نفاره ... شغفاً برؤية صفحتيه

* * *

ملتقى الربيع (*)

هات الربيع الغضَّ لى كلَّه ... فى روضة ، بل طلعة ، بل شفهْ
إن فاتنى جمع أزاهيره ... فى قطفة ، فالرأى أن أرشفه

* * *

نبضات جديدة (*)

خفقاتٌ تلك من وزن جديدْ ... أيها القلب ! فأسمعنى صداك
ذلك الوجه ، وما العهد بعيد ! ... أنت تهواه ، فلا تنكر هواك

* * *

أنت تهواه وتسعى بى هنا ... كلَّ يوم بعد يوم كى تراه
لا تراوغنى وقلْ هيَّا بنا ... فى صريح القول ، نستجلى سناه

* * *

(*) ماذا عليه : وحى الأربعين .
(*) ملتقى الربيع : وحى الأربعين .
(*) نبضات جديدة : وحى الأربعين .

نحسب الرقة فيه ألَمًا   فإذا أنت من الوجد تذوبْ
لا يكون الحب إلا هكذا   أنا لا أجهل أسرار القلوب

* * *

كاصفرار الشمس فى ثوب الغروبْ   واصفرار العاج فى ثوب القِدمْ
ذلك اللونُ نسمّيه الشحوب   وهو فى الحسن شفيع للسَّقم

* * *

رحمةٌ للقلب من ذاك الوُجَيهْ   صيغ ذوبَىْ حنان وحنينْ
كلما رفرفت بالعين عليه   شبَّهَ الفرحان عندى بالحزين

* * *

إن أشأ قلتُ خيالٌ فى الكرى   أو أشأ قلت عيان لا خيال
جُمع الأمران لى فيما أرى   حين صحَّ الحُلم فى خير مثال

* * *

جمال يتجدد (*)

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ   قلتُ : حقًا . وزاد عندى جمالا
عجباً لى بل العجيبة عندى   صور الكون كم يسعن كمالا
خلتُنى قد وعيتهن عِياناً   وتتبعت من وَعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئ كتْب   قرأ الكتب دارساً ، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدى   صوراً ما طرقنَ عندىَ بالا
بعداد الأنوار فى أعين الحـ   ـب نعد الأكوان والأجيالا

اليوم الموعود (*)

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى   شوقى إليك ، وما أشاق لمغنم ؟
شوقى إليك يكاد يجذب لى غداً   من وكره ، ويكاد يطفر من دمى

(*) جمال يتجدد : هدية الكروان .   (*) اليوم الموعود : هدية الكروان .

أسرعْ بأجنحة السماء جميعها
إن لم يطعك جناح هذى الأنجم

ودع الشموس تسير فى داراتها
وتخطها قبل الأوان المبرم

ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحد
يا يوم من جيش لديه عرمرم

. . . .

يا يوم موعدها ستبلغنى المنى
وتُتم لى الفردوس خير مُتَمّم

لا غصن رابية تقصَّر راحتى
عنه ، ولا ثمر يعز على فمى

سأظل أخطر كالغريب بجنتى
حتى أثوب على قدومك ، فاقدم؟

فأبيتُ ثم إذا احتوانى أفقها
لم أنه عن أمل ولم أتندم

فرحى بصبحك حين تشرق شمسه
فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

الحب المثال (*)

كأنى مثّال وحسنك تمثالى
عجائبُ حب ما خطرن على بال

فما أتمنى فيك معنى أريده
من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالى

وأحلام قلبٍ تسرى كأنها
خوالق أيدى الفن فى الذهب الغالى

تجول بأشكالٍ الخيال وتنثنى
وقد أسعدت منك العيان بأشكال

إذا ما تمشّت فيك معنىً لمستُها
محاسنَ أعطاف ورقة أوصال

إذا اقترحتْ عينى فأنت مجيبها
فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟

وما اقترحت إلا كما اقترح المنى
غنىٌّ على وفر من الوقت والمال (1)

فما فيك من نقص ولكنما الهوى
نوازعُ شتى لا تقر على حال

فيا قدرة الحب المبارك أبدعى
لكل حبيب فى الصبا ألف سربال

وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دميةٍ
لها زينتاها من حياة وإقبال

(*) الحب المثال : هدية الكروان .

(1) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجة به إليها ، وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

الثوب الأزرق (*)

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةٌ فى البحر والسما
جرّبها «مفصّل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ فى الأزياء
مجوّد الاتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزَّبَد الوضّاء
زيَّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسماء
ولمعة العينين فى استحياء
إن فاتنى تقبيله فى الماء
وفى جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبّلٌ مبتسم الأضواء
مردِّد الأنغام والأصداء
وقبلةٌ منه على رضاء
غنىٌ عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء (1)
وعنك يا دنيا بلا استثناء

(*) الثوب الأزرق : هدية الكروان .

(1) الشابيب أول ما يظهر من الحسن . وشدة اندفاع كل شيء والدأماء البحر .

ضياء على ضياء (*)

على وجنتيه ضياء القمرْ نظيران يستبقان النظر
جمعتما أنا فى لثمة أو البدر قبَّله فابتدر ؟
فما زال يلحظه جهرةً ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلةً من أخ ففيم إذن قطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ـب ولو شئت كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى وسُرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ة ، وأنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا وباسمك يعذرها من عذر

* * *

دنيا مقلوبة (*)

صوت النذير [1] الذى أبقاك خائفةً على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحبُّ والحربُ واوَيْلا قد اجتمعا فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

(*) ضياء على ضياء : هدية الكروان .

(*) دنيا مقلوبة : أعاصير مغرب .

(1) النذير بالغارات .

ساعى البريد (*)

هل ثم من جــديد   يا ســاعى البــريد

* * *

لولـم يكن خطابى   فـى ذلـك الـوطـاب
لـم تـطـوِ كـلَّ بـاب   يا ســاعى البــريد

* * *

مــا ذلك التنســيق   والجـمع والتــفــريق
والقــفــز والتــعــويق   يا ساعى البريد ؟!

* * *

كـسـوتُك الـصـفـراء   والخطوة العــرجــاء
يمشى بهــا الرجــاء   يا مــحنة الجليـــد

* * *

لولـم تكن جـمــالا   فى مِشية العـجالى
صغنا لك التمـثـالا   من جـــوهر فـــريد

* * *

لا أحسب الساعات   فى حــاضــر وآت
إلا على الميـقــات :   مـيـقــاتك الوئيـد

* * *

(*) ساعى البريد : هدية الكروان .

في شـرفـتي أبتكر   غـيـرك لا أنتظر
وإن سعى لي القمر   يا سـاعي البـريد

* * *

كم لهفة نسيتها   أمـاتني ميـتـهـا
لقيـتـها ! لقيـتـها   يا سـاعي البـريد

* * *

جددتَ لي انتظاري   وقلة اصطبـاري
عن طلعـة القطار   وطلعـه النضـيـد

* * *

أكـرم به من ثمـر   منتظرٍ مـدّخـر
في كل يوم مـزهر   مـبـتـدئ مـعـيـد

* * *

يا طائفـاً بالدور   كـالقـدر المقـدور
بالخـيـر والثـبـور   في سـاعـة البـريد

* * *

في لمحـة تنتـشـر   منك المنى والعـبـر
وأنت مـاض تعبـر   كالكوكب البـعيـد

* * *

كن أبًا مـريدي   بالخـبـر السـعـيـد
وبابتـسـام العـيـد   يا سـاعي البـريد

* * *

عجب الساعى (*)

عـجب «الســاعى» الذى كنتُ له | أبداً فى شــــرفـــتى منتظرا
إنَّ من تُحـــضــر لى أخـبــاره | أيهـا الســاعى بخـيــر . حـضــرا
ألق إن شـئت وطاباً حــافــلاً | لا أبالى لحظةً إن صــفــرا
الـطريق الآن لا أرقـــبـــه | لأرى وجـــهك . ولكن لأرى . . .
ولك الشكر ، ولى العــذر ، فـلا | تظهــر الآن . فـهـا قـد ظهـرا
لا تذكـــرْنى نواه بعـــد مـــا | كنت تروى عنه ذكـــرًا عطرا

* * *

تسـلّم (*)

تـسلَّمْ هـذه الـدنيـــا | كـمــا خلَّفـتـهـا عندى
وحـاسـبْـهـا على قـربٍ | بما تجنى على البـــعـــد

* * *

تـسلم هـذه الـشــــمـــ | ـــس التى تؤنس أو تهـدى
لقـــد كـــانت هداها اللـــ | ـــه مكســالا من المهــد
تجـوب الأفق فى جـــهـــد | ومـــا تسـرع بالجــهـــد
وكـــانت تحـجب الأنو | ار أو تُبــدى فــلا تجـدى
وكـــانت شـعلة حــرّى | من اللوعـــة والوجـــد

* * *

(*) عجب الساعى : هدية الكروان .

(*) تسلم : هدية الكروان .

تسلّم هذه الأطيا ... ر واسألها عن العهد
تُغنّى الآن فاسألها ... أغنَّت قط لى وحدى ؟
وإن غنَّت فهل كا ... ن سوى نوح لها مُغْد
وإن أعدَتْ فهل تُعدى ... بغير الشجو والسهد ؟
نعم سلها جزاها اللـ ... ـه : أين تحية الورد
وأين تحية الإلف ... وأين تحية الفرد
لقد كانت لحاها اللـ ... ـه تطويها على عمد
فسلها فيم تطويها ... وفيم تضن أو تسدى

* * *

تسلّم أنجم الليل ... بلا عدٍ ولا حد
تسلمها وكاشفها ... بما تخفى وما تبدى
وسلها كيف ضلَّتنى ... وما ضلت عن القصد
وفيم تغامزٌ منها ... إذا حيَّرنى قيدى
نعم قيدى الذى فى النـ ... ـفس لافى صفحة الجلد
أهزلا تهمس الأنجـ ... ـم أم تهمس عن جد ؟!

* * *

تسلم زهرك المحبو ... ب فى السهل وفى النجد
تراه ضاحك العين ... تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ ... ـس حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يُوصى ... بغير الهم والزهد
فما عن لومه فى ذا ... ك يا مولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيا ... كما خلَّفتها عندى
بحمد الله تلقاها ... كما تلقاك بالحمد
فخذها راضيا عنها ... وعنى وعن الود

وعلمــهــا إذا مــا عــدت لا عـــدتَ إلى البــعـــد
أمـــاناً في مـــغــيب منـــك أو في مــحـضَـر رغـد
فــمـــا تـسـمع لي قـولاً إذا ناجـيتـهـا وحـدى !

* * *

ثـرثـارة (*)

أراك ثرثارة في غــيــر ســابقـــة فـهـات مـا شـئت قـالاً منك أو قِـيلا
مــا أحـسن اللغـو من ثغـر نقـبله إن زاد لغـــواً لما زدناه تقــبــيـــلا

* * *

زمـن محــل (*)

أمـــحــل الـدهر واطَّردْ لا خـــمـــيسٌ ولا أحـــد
لا انـتـظار لموعـــــد أو هيـــــامٌ بمن وعــــد
كـل أيـامـنـا تـســـاً وين فـى الوسم والعـــدد
صـبـحــهـا مـثـل ليلهـا والتــقى أمــسـهـا بغـد
تنقص العـــمـــر كلهــا وبهـــا العــمـــر لم يُزد (١)
لم تزد مـــاضـــيـا وقـــد نقـصـت مـقـبـل الأمـد

* * *

(*) ثرثارة : هدية الكروان .

(*) زمن محل : هدية الكروان .

(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد فى ثروة الماضى . أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماض أو حاضر .

إساءة مشكورة (*)

إليك منى الشكر حتى على إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتنى منك فأنجيتنى من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق تَعرَّضَ العتب له فاصطبر
ما ذاكر اللجة رياً له كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامِئ ترياقها أن ينظر الغصة فيما انتظر

* * *

صنوف حب (*)

عرفت من الحب أشكاله وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحبّ المصور تمثاله عرفتُ ! وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القداسة لم أعده وحب التصوُّف لم يعدُنى
وفى كل حب ورَى زنده سماتُ من المؤمن الديِّن

* * *

. . . .

وحب التى علمتنى الهوى وحب التى أنا علمتها
ومن أستمد لديها القُوى ومن بالقوَى أنا أمددتها

* * *

(*) إساءة مشكورة : هدية الكروان .

(*) صنوف حب : هدية الكروان .

. . . .

صنوف من الحب لا تلتـــــقى وفـيك التـقى لبُّـهـا المحـتـوى
فلولا هـدى نورها الأســـبق لما كنتُ كـفـؤاً لهـذا الهـوى

* * *

هذا هو الحب (*)

غـريرٌ تسـأل : مـا الحب ؟
بنيـــتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أن أُبصــــر مــــا لا يُرى أو أغـمـض العين فـلا أبصــرا
وأن أســبغ الحق مــا ســرّنى فــإن أبى ، فــالكذب المفـتـرى

* * *

الحب أن أســأل : مــا بالهم لم يعـشـقـوا المنظر والمخـبـرا ؟
ويســأل الخــالون مــا باله هام بهــا بُهــرًا ومــا فكّرا ؟

* * *

الحب أن أفــــرق [1] من نملة حـينا وقـد أصـرع ليث الشـرى
وأن أرانى تارةً مـــقــبـــلا وخطوتى تمشى بى القـهـقـرى

* * *

الحب كـالخـمـر فـإن قـيل لى سـكـرت ؟ هـم القـلـب أن ينـكـرا
وكل عــضــو بعــده قــائل نـعـم . ولا أحــفـل أن أسـكـرا

* * *

(*) هذا هو الحب : أعاصير مغرب .

(1) أفرق : أخاف .

الحب أن يفــــرق أعـــمـــارنا عـــهـدان ، والعـــهـد وثيق العـرى
أحـــسبنى الأكـبــر حــتى إذا عـــانقـتنى ألفـيـتنى الأصـغــرا

* * *

الحب أن نصـــعـــد فـــوق الذرى والحب أن نهـــبط تحت الثـــرى
والحـــب أن نـــؤثـــر لــذاتـــنـــا وأن نـــرى آلامـــنـــا آثـــرا

* * *

الحب أن أجـــــمـع فى لحظة جـــهنم الحـــمـــراء والكوثرا
وإننى أخطئ فى لهـــفـــتى من منهـــمـــا روّى ومن سـعّــرا

* * *

الحب أن يمضى عـــــام ومـــا هممت أن أنظم أو أشـــعـــرا
وربما علّقت فى ســـاعـــة حـــواشى الدفـــتـــر والأسطرا

* * *

بنيّـــــتى ، هذا هو الحبُّ
فـهـمـتـه ؟ كـلا . ولا عـتب !
مــسـألةٌ أسـهلهـا صـعـب
لا الناس تدريهـــا ولا الكتب
حسبك منها . لو شفت حسب ،
إشـــارة دقَّ لهــــا القلب

* * *

الحب (*)

مـــا الحب روح واحـــدٌ فى جَـــسـدىْ مـعـتنقين

(*) الحب : أعاصير مغرب .

الحب روحـــان مـــعـــاً كــلاهمــا فى الجــســدين
مــا انتــهــيــا من فــرقــة أو رجــعــة طرفــةَ عين

* * *

الصدار الذى نسجته (*)

هنـا مـكـان صـــــدارك هنا ! هنا ! فى جــــوارك

* * *

هنـا ، هنـا ، عنـد قلبى يكـاد يلمـس حـــــبى
وفـــيـــه منك دليل على المودة حــســـبى

* * *

ألـم أنـل مـنـك فـكـرة فـى كـل شـكّـة إبـرةْ
وكل عـــقـــدة خـــيطٍ وكـل جـــــرة بَكـرة !

* * *

هنـا مـكـان صـــــدارك هنا ، هنا ، فى جــــوارك
والقلب فــيـــه أســيـــرٌ مطوق بحـــصـــارك !

* * *

هذا الصـــدار رقـــيبٌ على الفـــؤاد قـــريبُ
سليـــه : هل مـــر منه إلىّ طيف غـــريب ؟

* * *

نـســجـتــه بـيـديك عــلـى هـدى نـاظـريـك
إذا احـتـــوانى فـإنى مــا زلت فى إصـبـعـيك

* * *

(*) الصدار الذى نسجته : أعاصير مغرب .

ليلة الوداع (*)

أبُعــدًا نُرَجّى أم نرجى تلاقــيــا ... كــلا البـعـدِ والقـربَى يهـيجُ مـابيـا
إذا أنا أحــمـــدتُ اللقـــاءَ فـــإننى ... لأحـمَـدُ حـينا للفـرَاق (النعم)
ألا من لنا فى كلِ يوم بفـــرقـــة ... تُجـددُ ليـلاتِ الوَداعِ كـمَـا هيـا
ليـالٍ يبـيح الدَّلَ فـيَـهـا زمـاهُ ... ويُرخص فيـها الشوقُ ما كان غاليا

* * *

ويـاليلتـى لما أنستُ بقـــربه ... وقـد مـلأ البـدرُ المنيـرُ الأعـاليـا
تَطلَّعَ لا يَثْنِى عن البـدر طرفـه ، ... فـقلت حيـاء مـا أرى أم تغـاضيـا
بـنـا أنـت مـن بـدر وددت لـو أنـه ... على الأفق يبـدو أينمـا كـان ثاويا
غـدا تنظر البـدر المضـوّئَ . فـوقنا ... وحـيـدين من دارين لم تتـلاقـيـا
أشم شـذى الأنفـاس منك وفى غـد ... سـيـرمى بنا البين المشتُّ المرامـيـا
وألثـمـه كـيـمـا أبرد غلتى ... وهيـهـات لا تلقى مع النار راويا [1]
فـقـبّلت كـفـيـه وقبلت ثغـره ... وقـبلت خـديه ومـا زلت صـاديا
كـأنا نذود البين بالقـرب بيننا ... فنشـتـدّ من خـوف الفـراق تدانيـا
كـأن فـؤادى طائر عـاد إلفـه ... إليـه فـأمـسى آخِـرَ الليل شـاديا
إذا مـا تضـامنا ليـسكن خـفـقـه ... تنزّى فـيـزداد الخـفـوق تواليـا
أو شَجٌ فى كلتـا يديه رواجـبى [2] ... وشـيـجـا يظل الدهرَ أخـضـر نامـيا
وتلمس كـفى شـعـره فكأننى ... أعـارض سلسـالا من الماء صـافـيـا
وأشكوه مـا يجنى ، فـينفر غـاضـبـا ... وأعطفـه نحـوى فـيـعطف راضـيـا
أقـول لـه يكفـيك أنك قـادر ... على أمل أعى الزمـان المعـاديا
قـدرت على إسـعـادنا ومنحـتنا ... ليـالِىَ أعـيى منحـهن الليـاليـا
قدرت ، ومن يقدر على السعد لم يكن ... جـمـيـلا به أن يتـرك الخل شـاكـيـا

* * *

(*) ليلة الوداع : الجزء الأول .

(١) راويا : اسم فاعل من روى الماء .

(٢) الرواجب : مفاصل الأصابع .

وناعـيـة صـاحت ولِلَّيل هجـعـة فـقـال : «عـلام البـوم ينعب ناعـيا»
«لقبحتِ منعميـاء تقرأ فى الدجى إذا اسـود أسطار الخـراب الخـوفـيـا»
فقلت :علَى النفس التى سوف تغتدى طلولا بأحناء الضلوع حـوانيا
تجوس أفـاعى الحـزن فى جنبـاتها ويا ربما تأوى الضلوع الأفـاعـيـا
فـلا تحـسبن البـوم تنعى المغـانيا فـقـد تندب البـوم النفوس البواليا
وكم وحشة للنفس يخشى اقتحامها أخـو غـمـرات ليس الفـيـافـيـا

* * *

ولما تـقـضى الـليـل إلا أقلـه وحـان التنائى جشت بالدمع باكـيا
فـأقـبـل يرعـانى ويبكى وربما بكى الطفل للبـاكى وإن كـان لاهيا
وزحـزحنى عنه بكف رفـيـقـة وأسـبل أهداب الجـفـون السواجـيا
يقـول لقـد ران الكرى وتفـرّقت نجوم الدجى والديك أصبح داعـيا
فـقلت وكم من لـيلة إثر لـيله سـهرتُ وقد أمسيت وحدك غافيا
فـهب من رقـادك ليـلة تمرُّ ، فـإنى قـد وهبت حـيـاتيـا
حـرام علىَّ النوم ، مـادام هاتف من الليل لا ينسى إذا بت ناسـيـا
وأسلمت كـفى كـفـهُ فـأعـادها وقلبى ! فـهـلا أرجع القلب ثانيـا
فلم أر ليـلا كـان أبيض مطلعـا وأسـود أعـقـابا وأشجى مـعـانيـا

* * *

الخمر الإلهية (*)

على طريقة ابن الفارض

. . . .

يدور بهـا الساقى علينا كـأنهـا مـبـاسم ثغـر والحـبـاب ثناياه
جـرت فى صـفـاء الدمع وهى دواؤه فـمن ذاتهـا لـم تجـر بالدمع عـيناه
تنيـر فلولا أن تسـيل رحـيـقـهـا لقلت لظى أذكى النسـيم شظاياه

(*) الخمر الإلهية : الجزء الأول . ٧٤ (٦٢(فقرة ٧٤) .

يكاد إذا طاف الغـلام بجـامـهـا ... يرفـرف حـوليـه الفـراش ويغـشـاه

لـهـا فى يمين الشـاربين توهج ... إذا مـا خـبـا قلب من الحـزن أذكـاه

تلوح كـمـاء المُهل [1] أمـا مـذاقـهـا ... فمن سلسبيل الخلد فى طيب سقياه

تشـابه فى عين النديم ومـا انتـشى ... فـوارغُ صف كـالـثـريا ومـلآه

كؤُوس كجام السحر [2] يكشف وحيه ... لعـينيك من سـر العـوالم أخـفـاه

إذا طاب فى الفـردوس رياً نسيـمـهـا ... فـأطيبُ فى دار الشـقـاوة زياه

ولو مـزجـوا بالخـمـر طينة آدم ... لعـاش ولم يدر القطوب مـحـيـاه

* * *

حسناء عمياء (*)

قـرة العين عـزاءً ... لك فى الكون المنيـر

إنّ طرْفـاً يأسـر النا ... س هو الآن أسـيـر

إن سحـرا غاض فى عينـ ... ـيك هيـهـات يحـور [3]

صدت الشـمس ضيـاها ... عنك يا أخت البـدور

غـربت عنك غـروباً ... مـا له الدهر بكور

ليت نور العين مـصـبا ... ح مـعـار فـتـعـيـر

ليس أولى ببكى العـيـ ... ـن من الحسن الضرير

وجـمـالٍ عن جـمـالِ الـ ... ـكون مكفـوف حسـيـر

مطمح الأبصـار بدع ... أن يُرى غـيـر بصـيـر

* * *

---

(١) المهل : شراب أهل جهنم .

(٢) هى الكأس التى يزعم السحرة أن من نظر إليها انكشف عنه الحجاب .

(*) حسناء عمياء : الجزء الأول .

(٣) يحور : يعود .

من تقليد «نشيد الأناشيد» (*)

أجل تلك خـبـايـاها ... وهـاتيـك خـطـايـاهـا
فـهـل تدرين مـاذا ... ك الذى يدعى مـزاياها ؟!

* * *

لما فـيـهـا من العـيـب ... سننسـاه وننسـاهـا
وللحسن الذى فـيـهـا ... سنُحيى الآن ذكـراها

* * *

سأحصى لك ما يعجـ ... ـب منها ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضـ ... ـب بعد السعى والدس

* * *

ثـنـايـاهـا ثـنـايـاهـا ... وهـل ذقت ثـنـايـاهـا ؟!
وعـيـنـاك . ويا للقلـ ... ـب كم تسبيه عيناها ؟!

* * *

وتلك الوجنةُ الخمـر ... يةُ السكران رائيـهـا
أفى الجنة يا رضـوا ... ن تفاحٌ يحاكيـهـا ؟!

* * *

وتلك القامة الهيفـا ... ء زانتـهـا زواياها
إذا ما جار ردفـاها ... أقام الجور نهـداها

* * *

(*) من تقليد نشيد الأناشيد : أعاصير مغرب .

وتلك النسمة الحلوة في ثوب الأناسي
هي الروح الفراشية في النور السماوي !

* * *

دعيها تفسد الخمسين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هي الأكسير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندي من حُميَّا [1] الشعر إكسيري وترياقي
وهل كالشعر في الدنيا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج (*)

ما الحب من محض الصداقة يا بنيّ ، ولا العداء
الحب فيه الخلصتان ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعداوة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء ، والاغتصاب ، وقل على الدنيا العفاء !

* * *

ندم (*)

عشقتك مُكْذبا خلقي ورأيي وعفتك صادقا لهما أمينا
وما أخطأت في لوميك يوما وقد أخطأت في عذرِيك حينا

* * *

(١) الحميا : سورة الخمر .
(*) مزيج : أعاصير مغرب .
(*) ندم : أعاصير مغرب .

تقويم العـام (*)

تقـــويمُ هذا العــــــام من	لحـظــاتـــه الأولـــى لــديــكِ
قـــومى ارفـــعــيـــه وارفــعى	عنه الغطاء براحــتـــيكِ
مـن يوم مـطـلـعـــــه إلـى	رجـــعـــاه مــوقـــوف عليكِ

* * *

وإذا انتـــــهت أيامـــــه	ولكل عـــام منتــهـــاه
فـــعليك أنت وداعـــه ..	وتـرحـــــــبين بما تـلاه
ويْـــــحـــى إذا دار المـــدى	ورعـــيتُ وحـــدى ملتـــقـــاه !

* * *

هى قـــبلة ضــمت غُـــرى	عـــامين فـــاتصـــلا اتصــالا
ومُنى الخـــواطر فى غـــد	عـــام كـــسابقـــه مــآلا
لا تعـــجلنّ به فـــمـــاً	أقسى الحـيـاة على العــجـالى

* * *

لا . لا . فـــهــــذا يومنا	وغـــدٌ ، وبعـد غـد ، خـفـاء
أنا مـــغـــمض عـــينى ومـــســ	ــتمع إلى حــادى الرجـــاء
فـــإذا ســـمـــعت حـــداءه	فـــدعـــيـــه يمضى حـــيث شــاء

* * *

وعام ثان (*)

بشـــراى . مـــا أنا شـــاهدٌ	يا عــــام وحـــدى ملتـــقـــاك

(*) تقويم العام : أعاصير مغرب .	(*) وعام ثان : أعاصير مغرب .

دارتْ بـروجُـك والـهـــــوى يخطو وتتـــبـــعـــه خطاك
وحـــمـــدت وجـــهك مـــقـــبـــلا ومـــضى . فلم أذم قـــفـــاك !

* * *

هذى فـــــتـــــاتى هذه ! هى لا خـــوف ولا اشـــتـــبـــاه
هى فى بديع قـــوامـــهـــا هى فى الصـــبـــا ، هى فى حـــلاه
هى فـى غـــوايتـــهـــا وآ هٍ من غـــوايتـــهـــا ، وآه

* * *

ضُـــمـى ثغـــريْك يا بنيـــ ـــة وابعـــــثـى منـه الأمـل
لا بالعـــهـــود إلى مـــدى عـــام . ولكـن بالقُـــبـل
إن ســـاعـــفـــتنى ليلة فـــدعى العـــهـــود إلى أجل

عـــام تفـــتح بالـرجـــا ء وبالـرجـــاء خـــتـــمـــتـــه
ودعـتِ ذاك الـعـــــام فـى قـــربى كـــمـــا اســـتـــقـبلْتِـــه
قـــولـى ، وقـــد ولّى ، أفى شـــرع الوفـــاء قـــضـــيـــتـــه ؟

* * *

لا تخـــدعـــينى يا بنيـــ ـــة بالوفـــاء من اللســـانْ
خـــنًـــا وخـــنـــت ولا أقـــو ل سلى فـــلانة أو فـــلان
ذهبت خـــيـــانتنا مـــعـــاً والآن نحن البـــاقـــيـــان

* * *

ذهبت خـــيـــانتنا كـــمـــا ذهـب الوفـــاء ومـن يـفـــون
لا ذمـــــةٌ تبـــــقـى ولا يبـــقـى الوفىّ ، ولا الخـــؤُن
كم ذمـــة ضـــيـــعـــتـــهـــا يا عـــام فى تلك الغـــضـــون !

* * *

انظر ألست ترى فـــتــــا   تى حـيث كنتُ ضـمـمـتـهـا
فى جلســـة الأمس التى   حـتى الصـبـاح جلسـتـهـا
فكأنهــا مــا فــارقت   صـدرى ولا فــارقـتـهـا

* * *

وإذا ســـــألـتَ وربما   جـــاء السؤال بلا كــلام
«مــاذا تقـــول مــودعى   والـليـل يـومـئ بالسـلامِ»
حـيـرتنى يا عـام فـاسـتـمـ   ـع الجـواب ولا مــلام

* * *

مــا كنت عندى أيّهــذا   العــام كلك بالسـعـيـد
لكنْ ســويعـاتٌ مـضت   لى فــيك تنسى ألف عـيـد
غـفـرت ذنوبك كلهـا   وطغت على العـام الجديد

* * *

حـسـبى من الدنيـا الذى   أعطت ، ودنيــانا غــرور
حـسـبى قليل عطائهـا   وقليلهـا أبدا كــثـيـر
إن عــاد يومُ غــدٍ كــأمـ   ـس فـدرٌ - زمـانٌ - كـمـا تدور

* * *

أكذبينى (*)

. . . .

أكــذبينى وأكـــذبينى   كلمــا شـئت أكـــذبينى
مـــا غناء اللـب عندى   إن أبـى أن تـخــدعـيـنى
أنـا فـى ثـروة وفــر   منه مـهـمـا تسلبـيـنى
أنقـصـيـهـا . أى ضـيـر ؟   درهـمـا أو درهـمـين !!

* * *

(*) أكذبينى : أعاصير مغرب .

المرأة والخداع (*)

خل الملام فليس يثنيها ، ... حبُّ الخداع طبيعةٌ فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ، ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيها تكيد به من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طُول ذل بات يشقيها
أنت الملوم إذا أردتَ لها ما لم يُرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبداً تخلص إلى أغلى غواليها

* * *

الحب أحمق (*)

لم أدر كيف يُتاح لي نسيانها وخيالها في ناظريّ معلّق
حتى نسيت ، فعدت أذكر أنها كانت هواى ، فلا أكاد أصدق

* * *

مصيبتان (*)

قالوا اسلها ودع البكاء فإنها في حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتي فيها اثنتان لأنني أبكي لمن لا يستحق بكائي
من كل يبكي الأوفياء ففي الأسى لمن استحق أساه بعضُ عزاء

* * *

(*) المرأة والخداع : أعاصير مغرب .
(*) الحب أحمق : بعد الأعاصير .
(*) مصيبتان : أعاصير مغرب .

عجائب القلب (*)

تلك التى كنت أغليـهـا واذكـرها صُبحـا ومُسْيا ، وفى سر وإعلان
قـد كنت أرحم نفـسى من تذكّـرها فاليوم أرحـمـهـا من فـرط نسـيانى
عجائب القلب . ويلى من عجائبه . ! عــزت نظائرها فى العـالم الفـانى

* * *

فراغ . فراغ (*)

فـــراغ بارد شــات .! بـلا مــــاضٍ ولا آت
أأمــوات ؟ نعـم . لـكنْ نحـس فـنـاءَ أمـواتٍ
ويا بؤسَ الفناء نحـسـ ـه فى كل مـيـقـات

* * *

الصحوة الكبرى (*)

مـتـجـردان ويملكان سـعـادة لكليـهـمـا ، لا يحـتـويهـا العـالم
يتـمليـان الصـحـوة الكبـرى وقـد سـعـدا بأسـعـد مـا يراه الحـالم

* * *

(*) عجائب القلب : أعاصير مغرب .

(*) فراغ . فرغ : أعاصير مغرب .

(*) الصحوة الكبرى : بعد الأعاصير .

معجزة وبرهان (*)

أطفـــأت منى الليـــالى شُـــعَـــلا بعـــد شُـــعَلْ
من غـــواياتى وأحـــلا مـــى ، ومـــن بـــرق الأمـــلْ
فلمـــا يُومض فـــيـــهـــا النـــــور من نار القُـــــبل
عـــجـــبـــا ،لكنّه وهــــــو عجيبٌ قد حصل !..

* * *

عـــجـــبـــا والدهر لا يفـــنى أعـــاجـــيبَ الحـــيـــاة
مـــفـــرِقٌ شـــاب يُشـــبّ الحبُّ فى قلب فـــتـــاة
شـــركٌ صـــاد - ولم أنـــصبه - صـــيّـــادَ البُـــزاة
وقـــديماً كـــان إن دار على الصـــيـــد نصل

* * *

لو لـــســـانٌ قـــاله لى لم أصـــدّق مـــا يقـــول
غـــيـــر أنّ الشـــوق فى خـــدِّيك يســـرى ويجـــول
مـــزهـرًا بعـــد ذبول مـــشـــرقـــاً بعـــد أفـــول
قـــسمٌ فـــاه به قلـــبـــكِ ، بـــل وحـــىٌ نـــزل

* * *

أحـــوج الوحى إلى مـــعـــجـــزة وحىٌ عـــجـــاب
عند قلب كـــافـــر بالنـــاس يغلو فى ارتيـــاب
يا رســـول الحب آمنـــتُ وفى كـــفى الكتـــاب
طفلة تهـــفـــو إلى الشـــيب ؟ أجـــل ثم أجـــل !

* * *

(*) معجزة وبرهان : بعد الأعاصير .

حين لمَحت تغـــابيــ ـــتُ ، ولى واللّه عــذرُ
وانثنى التلمــيح كــالتـ ـصـريح والشكُّ مـصـرّ
ثم طاش الســر حــتى كــاد يسـعى وهو جـهــر
وتلاقــينا فــمــاذا كــا ن ؟ بركـــان جــفلْ

* * *

خـــاب شكـى وأنا الآ ن بما خــاب سـعـيـد
وسـعـيـدٌ كلما خـا ب ببــرهان جــديد
بين حـسن فـيك يزدا د وإقــبــال يـزيـد
وســلام شــاع فى نفـ ـسك كــالليل شـملْ

* * *

يا فــتــاتى هو من ربـ ــك واللّه قــــدَرْ
قـــدرٌ أرحم مـــا حمّ علــى قـلـبِ بشــر
أغـمـضنى عينيك وامـضى فــيــه أيّان اسـتــقـر
واطمــأنى . مـا قـضى اللّه قــضــاءً فــارتحلْ !

* * *

صــاغــه اللّه عــجـيـبــاً ومــحـــا عنه عـجــيـبـا
غــيــر بدع أن يهـيج الشـ ـــرر الحى لهــيــبـا
إنما البــدع لـهــيب يبــتــغى منا شــبـوبا
كــلـــه إن جـــل أو قـــ ـــل من الشــمـس وصلْ

* * *

نحن فى الآفــاق قُــربى بعــضنا ينشــد بعــضــا
ربما قـــيــل رمــــاد وهو ملء الأفق رمـــضـــا
إن فى النـور لقــاحـــا صـنـوه بـالـصـنـو يـرضـى
رب نجــم مـــنــك لــو لا شـــرر منـى أفـلْ

* * *

انتقام جيتى (*) (1)

يا صديقى القديمَ «جيتى» اعتذارًا لك من سوء ظنَّتى وملامى
كنت أنعى عليك حبك فى السـ ـتين بنتَ العشرين ، فاغفر ملامى
وأرانى على ملامك من قبلُ لحبٍ دون الثمانين دام
فانتظرنى فقد يجىء اعتذارى لك طوعاً فى مقبل الأيام
إن عشقنا كما عشقت وأوفيـ ـنا عليها انتقمت خير انتقام !

* * *

إلى الشفاه لا إلى الآذان (*)

فيم أروى لك شعرى ؟ أنا أدرى . أنا أدرى

* * *

أنا أدرى . يا فتاتى حيث ألقى بالأغانى
إن شعرى سمعته شفتان . . شفتان !
ها هنا سرب إلى القـ ـلب الذى أعنيه دان

* * *

(*) انتقام جيتى : بعد الأعاصير .

(1) شاعر الألمان الأشهر وله قصة حب فى الستين وأخرى فى الثمانين .

(*) إلى الشفاه لا إلى الآذان : بعد الأعاصير .

* * *

رفَّ شعرى حيث رفّت | بالأمانى قبلاتى
وتصفّحت صداه | قبساً فى الوجنات
هو من ثغر فتاتى | وإلى ثغر فتاتى

* * *

فيم تسعى رحلتى بـ | ـين المعانى وتطول
ها هنا الشعر وموحى الـ | ـشعر يصغى ويقول
كل إصغاءٍ لعمرى | بين هذين فضول

* * *

مزج (*)

سمَّيتنى باسم اللّدات وبيننا | عمرٌ كعمرك أو يزيد قليلا
مزجَ الهوى العمرين فى جيلٍ فلا | تقديم بينهما ولا تأجيلا
ومحا الفوارق كلهن فلم يدع | غير الهوى جيلاً لنا وقبيلا

* * *

لفاع (*) (١)

لفاعك فى عنقى كالوفا | ء يطوّق جيدَ السميع المجيب
مكانُ ذراعيك أولى به | نسيجُ يديك السخى القشيب

* * *

(*) مزج : بعد الأعاصير . (*) لفاع : بعد الأعاصير .
(١) اللفاع : هو ما يعرف بالكوفية ويلف حول العنق فى الشتاء .

إذا فـــاتنى منك طيب العنا ... ق فلســـواى منه بديلٌ قــــريب
فـــلا أُحـــرَم الدفء عند القـــا ... ء ولا أحــرم الدفء عند المغـــيب

* * *

رأيــت (*)

رأيت النهـــر ظمـــآ ... ن إلى البـــيـــداء يرويهـــا
رأيت الزهر مـشـتـــاقـا ... إلى الأطواد يُحليـــهـــا
رأيت الليلة الليـــلا ... ء والكوكب حـــاديهـــا
رأيت الحـــان تنســـاب ... إلى أفـــواه حـــاسيـــهـــا
رأيت العــجب العــاجـ ... ـب فى الدنيا وما فـيـهـا
شـــبـــاباً هام بالهـــا ... مة قد شـابت نواصيـهـا
إخـال الحب يســتـحـد ... ث ترويحـــاً وترفـــيـــهـــا
ألا فليْلهُ مـــا شـــا ... ء فـمـا تفنى مـلاهيـهـا

* * *

من الأستاذ عماد (*)

يا حـــزين النفس أُعطيت مناها ... فـاغنم الفـرصـة حـتى منتـهـاها
لا تنغّـصـهـا اخـتـيـارًا واكـتـناها ... إن مـن خـــــاف مـن الجن يراها

* * *

. . . .
لا تقل يا وردتى شـــوكك أينا ... مـا علينا منه فـيـهـا مـا علينا ؟
إنهـا أخـفـتـه عنا فـانتـهـينا ... حـــسـبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

(*) رأيت : بعد الأعاصير .   (*) من الأستاذ عماد : أعاصير مغرب .

إلى الأستاذ عماد (*)

يا صـديق النفس من عـهـد صبـاها — نصحك الصادق لو تُشفَى ، شفـاها
مــحنةٌ تبلغ فى يومٍ مــداها — مـا ترانى صـانعـاً ، أو مـا تراها ؟

* * *

ناصـحى أنت بزهرى أنتـشيـه — لا أبالى الشـوك والغـصـة فـيـه
كل شـوك يا صـديقى أتقـيـه — يخـرق الدرع وإن دقت عـراها

* * *

وردتى يا صـاحـبى فى الورد بدع ! — بدعـهـا طبع ، وكل الورد طبع
طبـعـهـا كـالفخ ينهـاك ويدعـو — وبـلاء الـنـفـس فـى مسّ جـنـاهـا

* * *

إن تقل فـز بالجنى قلت رويدا — الجنى الكيـد ، فـهل نأمن كـيـدا ؟
الجنى القيـد ، فـهل نحـمد قيـدا ؟ — الجنى ، يا ويحـهـا ، أشـهى أذاها !

* * *

وردتى آفـتـهـا فـرط التـحـدى — جـاوزت فى كل شىء كلّ حـد
حـسنهـا هيـهـات منه حـسن ورد — شـوكـهـا أنفـذ من شـوك سـواها

* * *

أترانى نـافـعى والقـلـب دام — وسـعـار الجـرح يمشى فى عظامى
لـذة الـعـيش بوشـى ونـظـام — وامـتـلاء الأنف من عطر شـذاها

* * *

(*) إلى الأستاذ عماد: أعاصير مغرب .

آه من برئى وآه من ســـــقـــامى	آه من صلحى ، وآه من خـــصــامى
آه من شـــمـــسى وآه من ظلامى	آه من لـذعــــة آهٍ فى جـــــواها

* * *

لذعـــة النيـــران ينفـــثن دخـــانا	ليـــضئ اللهب الخـــافى عـــيـــانا
لهـــبـــاً صـــرفـــا تعـــالى وتدانى	مـــن قـــــــرار الـنـفـس يرتـاد ذراهـا

* * *

آه من آهٍ لحـــــاها اللّه جـــــداً	لا تزل خـــــــالدة فى الـنـار خلداً
من قلوبٍ تلتظى حـــبـــاً وحـــقـــدا	حــــــرقت آهاتهـــــا آها فـــــآها

* * *

أنا لا أطلقــــهــــا حـــتى تذوبا	فى لظاها ، كلمـــا شـــبت شـــبـــوبا
وأرانـى يـا صـــــديـقى لـن أتـوبـا	فـــإذا تابت عـــرفنا منتـــهــــاها

* * *


مترجمات

فينوس على جثة أدونيس [1]

معربة عن شكسبير

رأت شفتيه والبكى يستجيشها ... فما راعها إلاّ اصفرارٌ عليهما
وجست يداً كانت نطاقاً لخصرها ... فلا رمقاً فيها تُحس ولا دما
ومالت على أذنيه حتى كأنهُ ... ليسمع منها شجوها والتندما
وتفتح جفنيه لتبصر فيهما ... سراجين كانا يسطعان فأظلما
سراجين كانا يجلوان لعينها ... جمال محياها فواراهما العمى
وكانا لوجه الحسن أجمل مبصر ... فقد فجع الموت المحاسن فيهما
فقال «برغمى إنك اليوم ميّت ... وإن الضحى لمّا يزل متبسما»

* * *

«ألا أيُّهذا الحب إنك بعدهُ ... ستصبح داء فى الجوانح مسقما
ستصبح أنّى سرت ترعاك غيرة ... بعين تريك الوهم صدقاً مجسما
ستقبل محمود الأوائل سائغاً ... وتدبر مشئوم العواقب مؤلما
وإنك إما عن مرامك قاصرُ ... فتأسف أو مجتازهُ متهجما
عذابك بالصفو الذى فيك راجح ... وماؤك ممزوج به الرى والظما

* * *

«بلى سوف تغدو أيها الحب كاذباً ... لجوجاً ملولاً جافياً متبرما
يطير بعطفيك النسيم إذا سرى ... وترمى بك الأنفاس فى كل مرتمى

(*) فينوس على جثة أدونيس : جزء أول .

(١) فينوس عند الأقدمين هى ربة الحب وأدونيس فتى جميل من أبناء ملوك قبرص كان مولعاً بالصيد والطراد ورأته فينوس طاردًا فهويته ونصحته بالإقلال من الصيد خوفا عليه ولكنه أبى ، وما زال حتى قتله خنزير وحشى فوقفت على جثته حزينة تريق عليها من شراب السلسبيل إلى أن نبتت فى موضعها زهرة نضرة ، والأقدمون يرمزون بهذه القصة إلى تجدد الربيع بعد موته ويقال إن عبارة أدونيس مأخوذة عن الشرق وأن اسمه مأخوذ من أدوناى وهو اسم من أسماء الله بالعبرية .

تطوف وما أحلاك يا حب ساقياً بكأس تغر الحاذق المتوسما
بكأس حوافيها نعيمٌ ولذةٌ وما ضمنت إلا سماماً وعلقما
تهد قوى الثبت المريرة من جوىً فتعرفهُ [1] إلا مشاشاً وأعظما
وتنفخ فى روع العيىّ فينبرى فصيحاً ويغدو مدره القوم [2] أبكما

* * *

«ويا حب تعفو عن كبائرَ جمة وتضطغن الذنب اليسير تجرُّما
ويا حب تضرى من يدب على العصا فيضرى ، وتنهى الضارى المتقحما
وتبتز أموال الغنى وربما منحت كنوز المال من كان معدما
عراقة [3] مجنون ورقة مائق [4] ويا ويح قلب وامق من كليهما
وقد يحلم الفتيان فى ميعة الصبا ويسفه فيك الشيخ إن بات مغرما
هيوباً ولا شىءٌ يهاب لقاؤه عسوفاً إذا ما الخوف قد كان أحزما
وترحم أحياناً وفيك قساوة وأنت بأن تقسو جدير وترحما
وأخدع شىء أنت إن قيل منصف وأصعب شىء أنت إن قيل أسلما
وإن شئت أزجيت الجبانَ فاقدما ووسوست فى قلب الجرىء فأحجما

* * *

«ألا أيها الحب الغوىّ ألا انطلق على الناس سيلاً جارفاً أو جهنما
ألا ولتفرق والداً عن وليده فلا أمّ تحنو إن قسوت ولا ابنما
وكم فتنة يا حب تورى ضرامها وترسلها شعواء فى الأرض والسما
ألا وليكن أشقى الأنام بحبه أحق امرئ فيه بأن يتنعما»
نبوءة ولهى رُوِّعتْ فى حبيبها وجار الردى الباغى عليها فصمما

* * *

---

(١) فتعرقه : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام والثبت المريرة هو الصبور الوثيق الخلق .
(٢) مدره القوم : المتكلم عن القوم . (٣) عرامة : شراسة .
(٤) مائق . أحمق .

العـــرض (*)

معربة عن شكسبير

أرى الذكـر للإنسـان أنفس جـوهر ... تزان به أعـــراضـــه ومناقـــبــه
ومـا سـارقى من يسـرق المال إننى ... أرى المال من يظفر به فهو صاحبه
تَقلّب فى الأيدى فـقـبلك كـاسب ... حواه ، وقـد يحـويه بعـدك كـاسـبه
ولكنّ من يسلب من المرء عـرضـه ... فـذلك فى شـرع الحـقـيـقـة سـالبه
يُضـيع على المثلوب زينة نفـســه ... وليس يفـيـد العـرض من هو ثالبـه

* * *

الـــوداع (*)

معربة عن بيرنز

قــبلة بعـــدها يطول الفـــراق ... وعـنـاق ، وليـس بعـــــدُ عـنـاق
ســوف أبكيك والمحـاجـر شَكْرَى [1] ... بدمــــوع من الـفـــؤاد تـراق
ســـوف أدعـــوك فى الدجى بأنين ... وزفـيـر فى الصدر منه احـتـراق
كـيف يشكو من عـثـرة الجد ظلمـاً ... مَن مـحـيـاك نجـمـه الألاّق
بيـــد إنى درجت فى ظلمـــة اليـــأ ... س فـحَـولْى من الظلام نطاق
لست ألحى على الهـام فـــؤادى ... قــدَرُ الحب دفـعـــه لا يطاق
مـن رآهـا فـكـيـف يـسـلـو هـواهـا ... يعـــشق القلب إذ ترى الأحـــداق
آه لـولا صـبـــابة وغـــرام ... قـــد شـــربناه والكؤس دهاق
مـــا غـــدونا ولى فـــؤاد كـــســير ... وجـــبين ســيـمـــاؤه الإطراق
فـــســلامـــا يا قـــرة العين والقلـ ... ـــب وأحلى من صـــوّر الخــلاق

(*) العرض - معربة عن شكسبير : جزء أول .
(*) الوداع - معربة عن بيرنز : جزء أول .
(1) شكرى : ملأى .

حاطك اللّه بالسعادة والحب وَرواك ماؤه الرقراق
قبلةً بعدها يطول التنائى وعناق ، أواه ! ثم افتراق

* * *

لا طلع الصباح (*)

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجوليت

أمبتعدٌ وما اقترب الصباح ؟ كأنّ الدهر شيمتهُ السماح !
أراعك صائح الطير المغنى فخلت الليل ينعاه الصياح ؟
ترّفقْ لا عدمتك من حبيب فليس عليك من رفق جُناح
فذاك البلبل المسكين يبكى فيطربهُ كما شاء النواح
يرفُّ له وجنح الليل داج على رمان دوحتنا جناح
أكنت حسبتها الورقاء هبّت ؟ لقد واللّه جدَّ بك المزاح
قليلا ما أقمت فقف مَليّاً قُبَيل الفجر ، لا طلع الصباح

* * *

الوردة (*)

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزى وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستندى قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق) :

أتتنى بها مَن خدُّها مثل لونها مبللة الأوراق باكية السن
جنتها لها تِربٌ حَصان تزفها إليها ، وقد يجنى على الورد من يجنى

(*) لا طلع الصباح : الجزء الأول .
(*) الوردة : جزء أول .

كـأنَّ نـدىً الـطـل دمـعُ أطـلـه | فـراق وُرَيدات صـغـار على الغـصـن
فـأمـسكـتـهـا خـجـلى المحـيـا أهزها | لتنشط من خـوف وتبـسم من حـزن
فما كان أقساني ! لقد فاض روحها | وطـتـرت بداداً فى التـراب إلى الدفن
ولو لطفت كـفى لفـاحت وأزهرت | كما شئت من عطر وما شئت من حسن
كـذاك يكون اللوم طعناً وربما | حوى بلسما يشفى الجريح من الطعن
وكم راح تعنيف الشـجى بروحـه | ألا إن بعض العـذل يضنى ولا يثنى
ولو لمتَ فى رفق رأيت ابتـسـامـة | تجـول مكان الدمع من جـانب العين

* * *

القـــدر (*)

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزى

إنما الغـيـب كـتـاب صـانه | عن عـيـون الخلق رب العـالمين
ليس يبـدو منه للناس سـوى | صـفـحـة الحـاضـر حـيناً بعـد حين

* * *

لا مرتين على جبل الكرمل (*)

سقاك الحيا يا حوض أعذب ما سقى | ففـيك قـرأت الحسن سطرا منمّـقـا
حـبـاك الـفـضـاء اللازوردى لونه | فـجـلاك كـالمرآة تلمع أزرقـا
أراك وقـد فـيـأت «ليلى» عـشـيـة | صـموتا كـمن يصغى إليها محدّقا
تمثل منها وجهها - فعلَ عاشق - | يظل إلى مـعـشـوقـه مـتـشـوقـا
فـتطلعـه كـالبـدر يبـدو مـثـاله | بمصطفق الآذىّ أبلجَ مـشـرقـا
فما حفلت عين بما فيك من حصى | حكى الدر أو عـشـبٍ هنالك أورقـا

(*) القدر : جزء ثانى .

(*) لامرتين على جبل الكرمل : الديوان الجزء الأول الطبعة الأولى . (٦٨ فقرة ٦) .

ومـا ينظر الرائى السـمـاء مـصعّـدا إلى الأفق بل يسـتـوضح الماء مطرقـا
لك اللّه كم حـسناً حـويت وورنقـا روى الماء عن ليـلاى فيك فـأصـدقـا
فــعـــينان أبهى زرقـــة ومـــلاحـــة من الزهر ينمـو فى حـوافـيك مـونقـا
وحـــسـبك من در البـــحـار بمبـسم تضــاحك فـــيـــه دره وتألـقـــا
وثغــــر كــــأن الورد باكـــره الندى فـــجــال على أوراقـــه وترقـــرقـــا
وجـيـد كـمـثل العـاج أبلج ناصـعـا على أنه كـالغـصـن مـال على النقى
وفـرع كـخـفق الموج فـيك خـفـوقـه يكلل منه الزهر فـــودا ومـــفــرقـــا
وفـيك من المرجـان يا حـوض دملج تحلى بأحلى مـعـصـم حين أحـدقـا

* * *

رفـعت يدى دون النسـيم وقـد سـرى مـــخـــافـــة ذاك الظل أن يتـــرنقـــا
أحـــدث نفـــسى أننى منك لا قط إذا مـــا مـــددت الكف درا منســـقـــا
وأرشـف من مــــــاءٍ هنـالك ريقٍ جلا الحسن عذبا فى حواشيـه ريقا

* * *

على أن ليلى خلفـــتك وأجـــفلت إلى أمـــهـــا تعطو لديهـــا تأنّقـــا
فـــأنى لأدلى فـــيك طرفى فـــلا أرى سوى الماء أمسى راكـد الحس ضـيـقـا
تذوقـت منـه قـطرة بعـــــد قـطرة فـــألفـــيت مـــا لا يســتطاب تذوقـــا
وكنت أرى حـــسنا فـــمـــالىَ لا أرى ســـوى حـــشـــرات أو نبـــات تفـــرقـــا

* * *

حنانيك يا بنت المشـــارق إن لى فـــؤادا بربات الجــمــــال تعلقـــا
لحـسنك ســر فى الفـؤاد كــســرِّه على الماء أن حكاك فـــدقـــقـــا
فـقـد رسـمت فـيـه لحـاظك صـورة مــدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقـــا
عـــذيرى من تلك اللحـــاظ كـــأنما هى النجم فى عـرض السـمـاء تألقـا
إذا رمـقت فـالصـبح ، أو حـال دونهـا خـمـارٌ ، فـهـذا ليل من قـد تعـشـقـا

* * *

حَديقة الحَيوان

مسودات الحياة (*)

مسوَّدة ! (*)

تأمل ترَ الأحـيـاء عُـجـمًـا كـأنهـا ... مـســـــــوَّدةٌ للخلق لَمّا تُنقَّح
ويارب ســر فى كــلام مــســوَّد ... يعـود فـيـخـفـى فى الكلام المصـحح
أراها كــأخــوان تفــاوت حظهم ... ومــيــراثهم ، من ســابقين ورزَّح
فــمن حــائز نُعـمى أبيــه وأمــه ... ومن خـاسـر رفـديهـمـا أو مطرَّح
ومن يلقـهم يلق الحـيـاة كـأنهـا ... حـبتْ طفلةً من مـهـدها المتـرجّح

* * *

رأى واحد (*)

فى وضعين مختلفين

زعــمــوا الإنســان قــرداً ... قــــد ترقى وتَحـلـى
وأنا س يزعــمــون الــ ... ــقــرد إنســانا تدلى
هـو رأى واحــــدٌ نقلــ ... ــبــه علواً وســفــلا

خنزير أعجف (*)

فــيـــه خنزيرية ظاهرة ... مــا نفــاها عنه ذاك العـجف
هـو خـنـزيـر ولـكـن شـــانـه ... جـسـدٌ فى وضـعـه منحـرف

(*) مسودة : وحى الأربعين . ١٤٠ .

(*) رأى واحد : وحى الأربعين .

(*) خنزير أعجف : هدية الكروان .

خمارويه وحارسه (*)

(كان لخماوريه بن أحمد بن طولون أسد عوّده أن يجلس بين يديه إذا أكل وأن يسهر إذا نام وقدسافر مرة وتركه بمصر فقتل فى دمشق ، فأعجب لرجل حرسته السباع واغتاله الناس! .)

ركنت إلى السباع خمارويه ... ولم تركن إلى أحد سواها
تحوطك نائماً وتبيت تخشى ... قلوب الناس أن يطغى أذاها
أليس من العجائب أن ليثاً ... يذود رعية عمن رعاها ؟
وأن يحمى ابنَ آدم من أخيه ... سباعٌ جَلَّ أن يُدعى أخاها
وثقت بذى حفاظ ليس يُرشى ... ولا ينسى الحقوق لمن حباها
وهم قتلوك حين وثقت منهم ... وكم حفظ العهود فما اعتداها
ولو شهد اغتيالك فى دمشق ... لضرَّج بالجناية من جناها

* * *

العقاب الهرم (*)

يهم ويعيبه النهوض فيجثم ... ويعزم ، إلا ريشه ، ليس يعزم
لقدرنّق [1] الصرصور وهو على الثرى ... مُكبٌّ ، وقد صاح القطا وهو أبكم
يُلملم [2] حدباء القدامى كأنها ... أضالع فى أرماسها تتهشم
ويثقله حمل الجناحين بعد ما ... أقلاه وهو الكاسر المتقحم

(*) خمارويه وحارسه : الجزء الأول .

(*) العقاب الهرم : جزء أول . ٣٠ (١٢ (فقرة ٤٥) .

(١) رنق : طار طيرانا خفيفا .

(٢) يلملم : يضم .

جناحين لو طارا لنصت فـــدوّمت شـمـاريخُ رضوى واستـقل يلملم [١]
ويلحظ أقطار الســمــاء كـأنه رجيم على عـهـد السـمـوات يندم
ويغـمض أحـيـاناً فـهل أبصـر الردى مـقـضـا عليـه أم بماضـيـه يحلم
إذا أدفـأته الشـمـس أغـفى وربما توهمـهـا صـيـداً له وهو هيـثم [٢]
لعـينيك يا شـيخ الطيـور مـهـابةٌ يفـر بغـاث الطيـر عنهـا ويهـزم
ومـا عـجـزت عنك الغـادة وإنما لكل شـبـاب هيـبـة حين يهـرم

* * *

عيش العصفور (*)

حطَّ على الغـصن وانحـدر أقلَّ من لمحـة البـصـر
مـغـرداً قط مـا توانى مـرفـرفاً قط مـا استـقـر
يلمس أيكاً بُعَـيْـد أيك كـأنهـمـا يلمس الإبر
مـطـارداً لا إلـى طـريـدٍ مـسـابقـاً لا إلى وطر
كـخـفـة الطفل فى صبـاه لكنهـا خـفـة العُـمـر
وروده نغـبـة فـأخـرى من خـوّف الطائرَ الصـدَر ؟
يقـارب السـحب ثم يهـوى يبـشـر الروض بالمطر
أصـدق من سـار فى سـرار بين الحيا [٣] العذب والشجر
ويسـتـحث الرياح ضـرباً بخـافـقـيـه فـتـبـتـدر
للّه مـا أهول المطايا وأضـعف الراكب الأشِـر [٤]
طار وليـداً شـيـخـاً بين البـسـاتين والغُـدُر

* * *

(١) التدويم : تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا هما والجبال سواء . ورضوى ويلملم اسما جبلين .

(٢) الهيثم : العقاب الصغير .

(*) عيش العصفور : جزء أول .

(٣) الحيا : المطر .

(٤) الأشر : المرح .

لا أعين الماء ناضبـــاتٌ ولا خـــلا الروض من ثمـــر
أخـبـرُ بالنضج مـقلتـاه ممن ســـقى الحب أو بذر
سلة عن الجند والزمـــر سله عن الملك والسُـــرر
لـم يـأتـه عـنـهـمُ بـلاغ ولا دليل ولا خـــبـــر
هذا هو العـيش فـاغـبطوه عليــه يا أيهــا البـشـــر

❊ ❊ ❊

هذا هو العـيش فـارحـموه عليه واسـتـخـبـروا الغِيَر
فـإن ســألـتم فـسـائلوه عن صولة الصقر إن كسر [1]
وحـيلة الدّبقْ [2] فى ثراه وغـيلة الحـيـة الذكـر
هـنـاك يـنزو لـه فــؤاد لا يجـهـل الريب والحـذر
لـم يخف عن أعين الليـالى ولا توارى من الصــغـــر
حـبـائل الدهر قـانصـات من طار أو غــاص أو خطر
من عـاش يومـاً أو بعض يوم يعلم مـا ضـربه القـدر
أليس هذى الحـيـاة ذخـراً وحـارس الذخـر فى خطر ؟؟

❊ ❊ ❊

الـكروان (*)

هل يـسـمـعـون صدى الكروان صـوتا يرفـرف فى الهـزيع الثـانى
من كـل ســار فى الظلام كـأنهُ بعض الظلام تَضله العـيـنان
يدعـو ، إذا مـا الليل أطبق فـوقـهُ مـوجَ الدياجـر ، دعـوة الغـرقـان
ويشبّ فى الجـو السـحـيق كـأنهُ يبـغى النجـاة إلى حـمى كـيوان [3]

---

(١) كسر : الطائر الكاسر هو المتهيئ للانقضاض على الفريسة .

(٢) الدبق : الشرك .

(*) الكروان : الجزء الأول .

(٣) كيوان : عطارد إله الغناء والفنون عند اليونان .

عاف التجمل فهو فى جلبابه
فان يرتل كالأبيل الفانى [1]
ما ضرَّ من غنى بمثل غنائه
أن ليس يبطش بطشة العقبان
إن المزايا فى الحياة كثيرة
الخوف فيها والسُّطا سيان [2]

* * *

يا محيىَ الليل البهيم تهجّداً
والطير آوية إلى الأوكان
يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً
من نابغ فى غمرة النسيان
قل يا شبيه النابغين إذا دعوا
والجهل يضرب حولهم بجران [3]
كم صيحة لك فى الظلام كأنها
دقات صدر للدجنّة حان
هن اللغات ولا لغات سوى التى
رفعت بهنّ عقيرة الوجدان
إن لم تقيدها الحروف فإنها
كالوحى ناطقة بكل لسان
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى [4]
بث الحزين وفرحة الجذلان

. . . .

ما أحب الكروان (*)

ما أحب الكروان !

هل سمعت الكروان !

موعدى يا صاحبى يوم افترقنا
حيث كانت جيرةٌ أو حيث كنا
عاتفٌ يهتف بالأسماء وهنا [5]
هو ذاك الكروان ، وهو هذا الكروان !

* * *

الكراوين كثير أو قليلْ
عندنا أو عندكم بين النخيلْ
ثَم صوتٌ عابرٌ كلَّ سبيلْ
هو صوت الكروان ، فى سبيل الكروان

* * *

(*) ما أحب الكروان : هدية الكروان .

(١) الأبيل الفانى : الراهب .
(٢) سطا : جمع سطوة .

(٣) الجران : هو العنق .
(٤) واللغى : جمع لغة .

(٥) وهنا : الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

لى صـــدى منه فــلا تنس صـــداك هــو شـــــاديك بــلا ريــب هـنــاك
فــإذا مــا عـــســعس الليل دعــاك ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكّروان ؟

* * *

مـــــفــــــردٌ لكـنه يـؤنسنا ســـــاهرٌ لكـنه ينعـــــسنا
صــدحت فى نفـــســه أنفـــسنا فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان ؟

* * *

واحـــــدٌ أو مـــــائة تـرجـــعــــه عندنا أو عـندكم مطلعـــــه
ذاك شىءٌ واحـــــد نســــمـــعــــه فى أوان وبيــان ، هو صـوت الكروان

* * *

واحـــدٌ بين عـــصـــور وعـــصـــور نحن نســتـحـيى به تلك الدهور
لم يفـــتـنا غـــابر الدنيـــا الغـــرور فى أوان الكروان ، مـا أحب الكروان

* * *

على الجناح الصاعد (*)

حـــادى الظلام على جناح صـــاعـــدِ يا أرض أصغى ، يا كواكب شاهدى !
يا آنسين بصــحـــبــة من وجــدهم نُصــوا المســامعِ للأنيس الواجـــد
يا ســاهدين على انفـراد فى الدجى ردوا التــحــيـــة للفـريد الســاهد
المســـتـــعـــزّ بعـــرســـه وكـــأنه منهـــا نجىٌّ مـــغـــاور وفـــراقـــد
لهـجت طيـورٌ بالضحى وتكفّلتْ بالليل حنجـــرة المغنى الخـــالد
يحـدو ويشـدو لا مـــســاعـــد حـوله أبداً ، ومـــا هو آمنٌ لمســـاعـــد
أنا صـــائد لصـــداك ، لستُ بصـــائد لك أنت يا كــروان ، فـأمن صـائدى
بينـا أقـــول هنـا إذا بك من هنا فى جنح هذا الليل أبعـــد بـاعـــد

(*) على الجناح الصاعد : هدية الكروان .

ووددت يا كـــروان لو ألقــيتَ لى صـــوتين منك على مكان واحـــد
إن كنت تشــفق أن أراك فـــلا تَزلْ فى مسـمعى وخواطرى وقصائدى
عــاهدت هذا الصــيف لست بواهب سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كـان قـد أغنى الطبـيعـة كلها مُـــغنِىٍّ عن شـــاد ســـواه وشـــائد

* * *

شـــدو لا نـــوح (*)

شــدوُ القــمــارىّ لا نوح القــمــارىِّ هل يعبر الحزن بالشادى الصباحىِّ ؟
أو الربيـــــعىِّ فى أنس وفى أمل وفى غـــرام على الإلفين مطوىِّ ؟
يا حسنها من بشيرات على دعة كـــأنهـــا أمنت فـــوت الأمـــانىِّ
مــحبَّبــات إلى الإنســان تألفــه وتعـــتــلى من ذراه كلِّ علوىِّ
تهوى الديار ، وفى الآفاق مطلعها ، ما بالها ؟ هل سباها حسن إنسى ؟
ولأنـاسىّ حـــســنٌ لا أبوح بـه ! هل تعرف الطير ما حسن الأناسى ؟
غَنّتْ لزهر وسلســال ولو رشــفت زهر المبـــاسم جُنَّت بالأغـــانىّ
أوْلى لقُــمـــريّنا أن لا يحــوم على يأس الهــوى بين إنسى و «طَيْــرىِّ»
غـرد على الدور يا قــمـرىُّ فى دعة واسلم هنالك من باك ومـــبكىِّ
واتلُ الرجـــاء على هذا وذاك ولا تسألهما عن جوى فى القلب مخفىِّ
حسب المغانى التى يبكى الحزين بها من سلوة ، أن فـيـهـا شـدو قـمـرىِّ

* * *

شفاعة الغراب (*)

حيىَّ الغراب الفجرَ بالنعيب تحـيـة التـهليل والتـرحـيب
وافـتـرَّ نور الفـجـر كـالمجـيب فى غـيـر مـا لوم ولا تثـريب
لهـــاتف ناداه من قـــريب

* * *

(*) شدو لا نوح : هدية الكروان .

(*) شفاعة الغراب : هدية الكروان .

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيىَّ النور باليقين
تحية العصفور والشاهين ؟ ألا تدين كلها بدين ؟
فماله يعذل كالرقيب ؟!

* * *

شفاعةَ الأنوار والأحباب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصَّدحُ الهاتف بالعجاب أصدق حباً لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعُه والطير في أوان وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجاني
صوت حبيبي باديَ الحنان لذلك الموعود بالحرمان
وماله في الحسن من نصيب !

* * *

أمنتُ منه لوعة الفراق وكلٌّ (غاق) عنده وفاق
فلا يزل ينعم بالاشفاق من الرياض الفِيح والآفاق
ومنك يا فجر ، ومن حبيبي

* * *

(*) الحب : أعاصير مغرب .

أسبوع فلورة (*)
أو تكريم الكلاب

(لا أعنى تكريم كلاب المجاز ، فليس تكريم هذه الكلاب بالأمر الطارئ أو البدع الغريب . وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تتزلف إليه الأسود وتمشى بين يديه السباع ، فإن المرء ليجد كيف صار إنساناً له خسة الكلب ونذالته وليست له نظرته وإهانته ، والناس تظلم الكلاب بحشره فى زمرتها ، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفتها . وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه . . ولكنى عنيت الكلاب ذات الأذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها ، والاحتفال بولادتها وتسميتها ، وأن حقاً على الناس أن يمجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت ، فهل نلام إذا نحن مجدناها فى مخلوق من مخلوقات الله ؟

اجتمعنا فى رهط من الأدباء ليلة من الليالى ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضى أسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا ، فقلت أبارك للنفساء وأحيى المولود ! :)

أعلنى «يا فلورة» الأفراحا ... واملأ الأرض والسماء نباحا

ما حبا الدهر بنت كلب بأعلى ... من ذراريك عنصراً ولقاحا

أبشرى ، دولةَ الكلاب ، بجروٍ ... سوف ينفى عن جيله الاتراحا

ما تقضّى الأسبوع إلا تمشى ... يذرع الدار جيئة ورواحا

خلع الليل والنهار عليه ... فتوارى عن العيون ولاحا

حرّك الدهر ذيله حين وافى ... وعوى الكون بهجة وانشراحا !

سوف يدعى على الكلاب أميراً ... يفزع الأسد وثبةً وصياحا

يلبس الطوق من نضار ودر ... ويحوك الخز الثمين وشاحا

* * *

(١) أسبوع فلورة أو تكريم الكلاب : جزء أول .

واراه يعـــيـــد ســيـــرة قطمــ ـــيــر [1] وقـــاراً وفطنة وصـــلاحـــا

لا أصـــابت عــصـــا لئيم قــفـــاه أو ثوى فى الطريق ليلَ صــبـــاحـــا

لا ولا عـــضــــه من الجــــوع ناب يُثــخن الناس والسبـــاع جـراحـــا

أو ترامــى عـلـى الموائد يومـــــاً يرقب العظم ســـائلاً ملحـــاحـــا

أو بـراه داء الـكـلاب فـــأخـــــفـى بين جــفـنيـه عــســجـداً لماحـــا

كـــان إيواؤها حـرامـاً فـاضـحـى اليـو م إيواؤها حـــلالاً مــبـــاحـــا

قـــد فـــرحنا فى عــيـــده وطربنا وشـــربنا فى نخـبـــه الأقـــداحـــا

يا كليـــبـــاً أزرى بـذكـــر «كليب» لا تظنن مـــا نقـــول مـــزاحـــا

مـــا مـــدحت الأنام يومـــاً وإنى لست آلوك يا كليب امـــتـــداحـــا

أعـــجـم الناس فى الوداد ومـــازا ل بنو الكلب فى الودادِ فـصـاحـــا

إن عىّ اللســـان خـيـــر من النطــ ـــق إذا كـــان للأذاة ســـلاحـــا

وســـعـــار الكلاب أهون شـــرا من ســـعـــار يمرق الأرواحـــا

* * *

أبو العيـــــد (*)

طائر يأكل دود القطن

أبا العـــيـــد لو جــئت بين الأول لصلى إليك عـــبـــاد الجُـــعـل

ولاتخــــذوك إلهـــا لـهـم لـــه مـــلـــة بـين تـلـك الملـــل

وقـــالـوا إلهٌ رحـــيـمٌ بـنـا فـــمن يدنُ منه بســـوء قـــتـل

وأبدلت من شَـــركٍ بيـــعـــة على الأرض شـــاهقـــة كـــالجـبل

وكـــان لعـــيـــدك فى أرضـــهم أبا العـــيـــد يومٌ عـــمـــيم الجـــذل

* * *

---

(1) قطمير : كلب أهل الكهف .

(*) أبو العيد – طائر يأكل دود القطن : جزء أول .

وعل كردفان (*)
بحديقة الحيوانات

يا وعلَ القفر كيف أسرَى ... إلى حماك العزيز أسر

ساقُك يثنينها العوادى ... والضأن عدّاءة تكرّ

سهوت عنا وعن أناس ... يعجبهم سجنك الأمر

تذكر داراً نأيت عنها ... والعمر غض الأهاب نضر

والأرض قد ملّكتك فيها ... ساقٌ لها كالرياح مر

ترود منها سهلا ووعراً ... يرضيك مرج منها وقفر

لو فرّ من حتفه وليد ... لكنت فى رحبها تفر

هذى ديار وتلك أخرى ... هيهات من كردفان مصر !

وربما خلتَها قريباً ... لها وراء الحديد عبر

لو زحزحوا بابه قليلا ... حواك من كردفان عُقر ! (1)

تبلغها طفرة فأخرى ... ولا يؤد الوعول طفر

وكل ذى حاجة جهول ... وكل راجى الخلاص غر

***

قضاؤك الحتم فاحتمله ... واصبر وإن لم يفدك صبر

نت بحسن العزاء أحجى ... وبعض حسن العزاء كبر

تربك (2) تسليك والروابى ... حولك رفّافة تسر

ألفتَ زأر الأسود فيها ... وكان للسمع منه وقر

وكنت إن همهمت تَمشّى ... قلبٌ بجنبيك مقشعر

أمّنك الذل وهو خوف ... وحاطك الأسر وهو شر

***

(*) وعل كردفان – بحديقة الحيوانات : جزء ثالث . ٢١٦ (١٩ .فقرة ١٤٦) .

(١) عقر : الدار وسطها .

(٢) تربك : الترب الند والمقصود به هنا أنثى الوعل .

عش مـفـرد القيـد ، إن أصـلا نماك بين الأصـول حـر
ومـا وجـدنا الإنسـان إلا مـضـاعف القيـد لا يقـر
للضـيم فـيـه وفى ذويه حـزٌّ بفـوديه مـسـتـسر
نـحـن بنـى آدم أسـارى لنا بوشم الإسـار فـخـر

* * *

الطـير المهاجر (*)

علمـتنى مـواسم الروض أنّ الطـ ـير شتى : مهـاجر ومـقـيم
أترانى لا أسـمـع الطيـر إلا فى رياضى مـعـشـشـاً لا يريم (١) ؟
رب شـاد فى هجـرة يتـغـنى وعليـه السـلام والتـسليم
من جنوب إلى شـمـال ، وحـيناً من شـمـال إلى جنوب يحـوم
فله حين يسـتـقـلّ (٢) وداع وله حين يقـبـل التكـريم
خـذ من الطيـر كلّ يوم جـديداً فـسـواء جـديده والقـديم
كم مُـوَلٍ وصـفـوه لا يولى ومـقـيم وصـفـوه لا يقـيم

* * *

حديقة حيوانات آدمية (*)

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون ، سمى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فى اختياره اتفاق الشبه فى الملامح والعادات . وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف فى أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغنى ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهى لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان :)

أورفـيـوس الفن سـوّى بينهـا فـتـلاقى الذّبّ فـيـهـا والقـرودْ

(*) الطير المهاجر : أعاصير مغرب .
(٢) يستقل : حين يبرح ويسافر .
(١) يريم : يفارق .
(*) حديقة حيوانات آدمية : وحى الأربعين .

وتغَنّى فـــرَسُ البـــحـــر بهـــا | ياله من فـــرس طَلْقِ النشـــيـــد !
ومـــشى الأرنب والحـــوت لهـــا | صـــاحـــبـــا القـــاعينَ من لُج وبيـــد
وتآخَى الجِـــديُ والضـــبْع ومـــا | بين هذين ســـوى الثـــأر اللدود
وجـــرى «السيسيُّ» فـيـهـا شـوطه | وهو ناهيك بســيــســى عنيـــد
ولغـــا «البطريق[1]» فـــيــهـــا لغـوه | وهو من قطب جنوبىٍّ بعـــيـــد
وكـــأنى بالزرافَى [2] اجـــتـــمـعتْ | وحـمـيـر الوحشْ منها فى صعيد
وأوى الســنُّور والجـــــــرو إلى | غرفـيــهـــا ، على غـيـر الوصـيـد [3]
والسُّلَحـــفـــاةُ تجـــارى عندها | أرنب البـــيـــداء والكلب الصَّـــيـــود
فُـتـحتْ أقـفـاصـهـا واخـتـلطتْ | لا ســدود ، لا قـــيـــود ، لا حـــدود
حـــيـــوانـاتٌ نماها آدم | وهـى مـن أبنـائـه نَـسـلٌ فـــريـد
حـــيـــوانـاتٌ ولكن بينهـــا | كلٌّ ذى لب ســمـــاوى رشـــيـــد
أورفـــيـــوس الفن ســوّى بينهـــا | فـــاســتـوى المنشـد فـيـهـا والمعـيـد

* * *

رثاء كلب (*)

حـــــزناً على كلب طاهرٍ [4] | فـــــإنه طاهـر الكـلاب !
تشـــابهـــا فى خليـــقـــةٍ | واتفـقـــا - شـيـمـةَ الصحـــاب
وربمـــا عَـــىّ طـــاهـــرٌ | وكلبـــه حـــاضـــر الجـــواب
فليس يُوفـــيـــه حـــقـــه | من اكـــتـــئـــاب أو انتـــحـــاب
إلا إذا بـات نـابـحـــاً | نبح المســـاعـــيـر فى الخـــراب
عـــوْعـــوْ ، عَـــوَوْوَوْ ، بلا وبىً | ولا انقطاع ولا اقـــتـــضـــاب

* * *

(١) البطريق : هو الطير المعروف فى اللغات الأفرنجية بالبنجوين .
(٢) بالزرافى : جمع زرافة .
(٣) الوصيد : العتبة ، وفى البيت إشارة إلى الآية «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .
(*) رثاء كلب : وحى الأربعين .
(٤) طاهر : هو الأديب طاهر الجبلاوى .

لا تسألوا رحمة له ... قد رحم اللّه واستجاب
لعله مات قانطاً ... من «أزمة» الأكل والشراب
منتحراً فى شبابه ... وهكذا يفعل الشباب
أراحه اللّه من ضنىً ... أنقذه القبر من عذاب
فليحمد اللّه ربه ! ... من جاع فليرضَ بالتراب

* * *

كلب ضائع (*)

أوديوجين الكلبى (*)

أمست كلابك شتى ... وأنت يا صاح أنتا
كلبٌ نجا وهو حيٌّ ... وآخرٌ فرَّ ميتا
ما بين تاركِ دنيا ... وتارك لك بيتا
قل لى بربك ماذا ... على الكلاب جنيتا
حتى «ديوجين[1]» ؟ قل لى ... يا شيخُ ماذا صنعتا
واللّه ما كان يأبى ... لو صادف الخبز بحتا
أو جَدتَ يوماً عليه ... فصادف الأدْمَ زيتا
زعمتَه راح يهوى ... من قومه الغرِّ بنتا
لا تلزم الحب ذنباً ... من الصيام تأتى
فاحمل رغيفاً تجده ... فى أى صوب نظرتا
مصباحه [2] ليس يجدى ... فلا تُضع فيه وقتا
أنعمْ به من حكيم ... إلى ديوجين متَّا
رأى السلامة حقا ... ومن رأى الحق أفتى

* * *

(*) كلب ضائع – أوديوجين الكلبى : وحى الأربعين .

(١) ديوجين : الكلبى فيلسوف يونانى . قد سمى الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية .

(٢) مصباحه : كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً فى النهار يفتش به عن رجل فلا يجده .

أمام قفص الجيبون (*)

فى حديقة الحيوان

(القرود العليا هى الشمبانزى و «الأرانغ أتانغ» و الغورلا» و«الجيبون» وهو فرع وحده فى رأى كثير من النشو ئيين ، لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف .

ومن هذه القرود العليا ما يصلح - من الوجهة الشعرية - أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزى» لتأمله وسكونه وإشمئزازه من الحياة !

ومنها ما يصلح أبا لرجال المطامع والوقائع وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله .

ولكن «الجيبون» وحده هو الذى يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين لأنه لعوب طروب ، رشيق الحركة خفيف الوثوب يقضى الكثير من أوقاته فى الرقص والمناوشة ، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبرواته ، وإذا صعد أو هبط فى مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط فى حركات موزونة متعادلة كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ فى مساواة الوقت ولا فى مضاهاة المسافة ، فإذا شهدته فاسأل نفسك :

ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو فى «سلم الرقى» ولم يأت على درجات السلم كلها صعودا ووثبا فى بضعة ملايين من السنين ! هذا سؤال ، وسؤال آخر تعود فتسأله : ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد ؟ الطعام المطبوخ ؟ هو يأكل طعامه الآن نيئا وذلك أنفع ، أو يأكله مطبوخا على يد غيره وذلك أدنى إلى الراحة !!

أو يفيد العلم ؟ قصاراه إذن أن يقول «لست أدرى» كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود .

أو يفيد وزن الشعر ؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض . وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعانى ، وهو قاعد حسير ! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات :)

(*) أمام قفص الجيبون : عابر سبيل .

أيهذا الجيبون أنعم سلاما ... يا أبا العبقرىّ والبهلوان
كيف يرضى لك البنون مقاما ... مُزريا ، فى حديقة الحيوان ؟

* * *

إلعبْ الآن وانتظر بعدُ حقْبا ... ترقَ فى «سلم الرقى» وتعلُ
كيف لم تصعد السلالم وثبا ... أيها الصاعد الذى لا يمل

* * *

يا عميد الفنون صبراً ، ومهلا ... وارض حظ الهتاف والتهليل
مرحبا مرحبا ، وأهلا وسهلا ... والهدايا ما بين لب وفول

* * *

انتظر يا صديق شيئاً فشيئاً ... تطبخ القوت كله بيديكا
غير أنى أخال ما كان نيئاً ... منه أجدى فى الحالتين عليكا

* * *

انتظر يا صديق مليون عام ... أو ملايين ، لست واللّه أدرى !
إن تدانيت بعدها من مقامى ... فقصارى المطاف أن لست تدرى

* * *

واصطبر إن عناك نثر ونظم ... سوف تتلوا نثرا وتنظم شعرا
وغدًا يطفر الخيال ويسمو ... والذراعان لا تطيقان طفرا

* * *

وجمال الوجوه سوف تراه ... فى المرايا ، بعد الطواف الطويل
سوف تحلو فى ناظريك حلاه ... فتهيأ للضم والتقبيل !

* * *

وإذا مـــــا درست أوزان رقـص بعـد لأى ، فـالرقص فيك انطبـاع
هل تنال الكمـال من بعـد نقص إن أقـلـتّـك فـكـرة ، لا ذراع ؟

* * *

قـفص أنت فـيـه أرحب جـدا من فـضـاء ، نقـيم فـيـه أسـارى
قـد ضللنا فـيـه وهيـهـات نهـدى ونجـوم السـمـاء فـيـه حـيـارى

* * *

انتظر ! سـوف تفـهم الشىء باسم بعـد رسم ، وغـابر بعـد حـال
فـإذا مـا طلبت باطن فـهـم يا صـديقى ، طلبت أى مـحـال

* * *

أين بالأمس كنت يوم ابتـدأنا والتـقـينا بآدم فى الطريق
قـد بلغنا . فـأين تبلغ أينا حين تمضى وراءنا يا صـديقى ؟

* * *

إلهُ والعب واضحك كـما شئت منا أنت طفل الزمـان ، والطفل غـر
سوف تبكى حزنا وتضحك حزنا حين يمضى دهرٌ ويقـبل دهر

* * *

عتب على الجيبون (*)

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة ، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو فى تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب ، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة ، كأنه هو الذى يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه ، وفى الأبيات التالية رجاء كذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء فى مدحه وتقريظه :)

أيها الجيبون لا تفـ ... ـضح تقاريظى وشكرى

أنت بعد اليوم محسو ... ب على نقدى وشعرى

أنت إن لم تحسن الرقـ ... ـص فمن يحسن عذرى ؟

أنت إن قصرت قالوا ... شاعر بالزور يطرى

ما لذا العقاد والتقر ... يد و «التقريظ» يغرى

أنه يهرف بالمد ... ح ولكن ليس يدرى

فاملأ الأقفاص يا جيـ ... ـبون طفرا أى طفر

وقل العقاد لا يخطـ ... ـئ فى تعريف قدر

* * *

(*) عتب على الجيبون : عابر سبيل .

بيجـــو (*)

رثـــاء

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حـزناً على بيـجـو تثـور الضلوع
حزناً عليـه جـهـدَ مـا أسـتطيع
وإن حـــزناً بعـــد ذاك الولوع
واللّهِ - يابيـجـو - لحـزنٌ وجيع

* * *

حـــزناً عليــه كلمـــا لاح لى
بالليل فى ناحـــيـــة المنزل
مُـسـامرى حينا ومـسـتـقـبلى
وسـابقى حـيناً إلى مـدخلى
كـــأنه يعلم وقت الرجـــوع

* * *

وكلمـا داريت إحـدى التـحفْ
أخـشى عليـهـا من يديه التلف
ثم تنبـــهـت وبى من أسـف
ألا يصيب اليوم منها الهدف . .
ذلك خـيـر من فـؤاد صـديع

* * *

(*) بيجو : أعاصير مغرب .

حـزنى عليـه كلمـا عـزنى
صـدق ذوى الألبـاب والألسن
وكلمـا فـوجـئت فى مـأمنى
وكلمـا اطمـأننت فى مـسكنى
مـسـتـغنيـاً . أو غـانيـاً بالقنوع

* * *

وكلمـا ناديتـه ناسـيـاً :
بيـجـو ! ولم أبصـر به آتيـا
مداعبا مبتـهجاً صاغياً . . .
قـد أصـبح البـيت إذن خـاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحـسبنى ذاكـره مـا حـييت
لو جاءنى نسـيانه مـا رضـيت
بيـجـو مـعـزىً إذ مـا أسـيت
بيـجـو مناجىً الأمين الوديع

* * *

بيـجو الذى أسمع قبل الصباح
بيـجـو الذى أرقب عند الرواح
بيـجو الذى يزعـجنى بالصـياح
لو نبـحـةٌ منه ، وأين النبـاح ؟
ضيّعتُ فيها اليوم ما لا يضيع

* * *

خطوته . . . يا برحـهـا من ألم
يخـدش بابى وهو ذاوى القـدم
مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بـنـظـرة أنـطـق مـن كـل فـم
يا طول مـا ينظر ! هذا فظيع !

* * *

ثم لا أرى النوم لعـينى يطيب
أنتم خـبـيـرون بنهش القلوب
يا آل قطمـيـر هواكم عـجـيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . ولا من طلوع

* * *

ثم واترك الأفـواج يوم الأحـد
والبـحـر طاغ والمدى لا يُحـد
عـيناى فى ذاك وهذا الجـسـد
بوحـشـة القلب الحـزين انفـرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجـزاء
يا واهب الود بمحض السـخـاء
يكذب من قـال طعـامٍ ومـاء
لو صح هذا ما مـحـضتَ الوفـاء
لغـائب عنك . وطفل رضـيع

* * *

قصص وَأماثِيل

سباق الشياطين (*)

يا شـيـاطين الدجى حيّ هلا [1] وتغنّى الآن بالفـعل الذمـيم
أيّكم فى الناس أعلى منزلاً فله عندى مقاليد الجحيم

* * *

رنّ فى الندوة صوت الكبرياءْ رائعَ الصيحة مرهوبَ الصدى
قال إنى أنا داء الأعلياء أنا داءٌ لهُم فيه الردى
مالئٌ بالغيظ قلب الضعفاء تارك النابهِ [2] فيهم أوحدا
رُب خير بت أجريه على منهج الفتنة والشر العميم
ووضيع رحت أذروه إلى مطلع النجم كما يُذرى الهشيم

* * *

ومشى الشيطان شيطان الحسد مشية الأفعى إلى وكر القطا
شاحبَ السحنة مهضوم الجسد خائفاً فى جبنه قد أفرطا
قال : لو شئت لما حاز أحدْ منكم السبق وإن جدّ الخطأ
بذوى القربى ولُوعى والأولى بينهم قربَى سهيم من سهيم [3]
أجدر الناس بأن يتصلا حائل بينهما كيدى العظيم

* * *

ونبرى للقول يأسٌ معضلُ كلما هم تولاّهُ الضجر
قال ما لليأس فيكم مأملُ لا ولا يرجو مقاليد سقر
بيد إنى قاتل لا يَعقل ومن القتل حياة للبشر

(*) سباق الشياطين : جزء أول . ٥٠ (٣٥ فقرة ٥٦) .

(١) هلا : أى أقبلى وتعالى .

(٢) النابه : المشهور .

(٣) السهيم : الشريك والحسد موكل بالنظراء من الناس وهم أحق الناس بالمؤاخاة .

أنا إنْ أيأست من وِرد حـــــلا فكمـــا ييـــأس من ثدى فطيم
فـــذرونى ! كـيف أبغى مــؤئلاً بين خنَّاس ووســـواس رجـيم ؟

* * *

ثم أبدى الليل شـــيطانَ الندمْ ضــارعــاً يفـرق من خـفق الهـواءْ
اخـــرس المِقـــوَل من غــيـــر بكم ولقـــد ينطق حـــيناً بالبكاء
يمقت الإثم ويغـــــرى من أثم بذنوب مـــاله منهـــا وقـــاء [١]
يمقت الإثم ويغـــــرى بالطلا [٢] وهو بالشـــارب ينبـــو والنديم
يغـــفـــر الموتور للجـــانى ولا يرحم الجـــانىَ من وخـــز أليم

* * *

ومـــشى من جـــانب الحب أنينْ كـــشـــواظ النار يرمى بالشـــرار
لفح القـــومَ فـــهـــبوا صـارخين وهُم فى الخلق من مـــارج نار
أنا شيطان الهـوى أفرى الوتين [٣] كل من أغـشـاه مـسلوب القـرار
أنا لـلبـــغض ســبـيل والقلى وســبـــيل للرزايا والهـــمـــوم
ليس فى الكون مكان قـــد خـــلا من صـــراعٍ أنا مـــوحـــيــه القـــديم

* * *

ودعـــا الداعى بشـــيطان الكسلْ فـــتـــمطى ســـاعـــةً لا ينطق
قـــال لو راودت نجـــمـــاً لأفل وثوى في أفـــقــــه لا يشـــرق
آفـة القــول جـمـيـعـاً والعـمل وبلاء اللّه فـــيـــمـــا يخلق
ورأى وجـــه الرياء المقـــبـــلا فـــتنحى خلفـــه وهو كظيم
مـــذ رأوه هتـــفـــوا مـــا أجـــمـــلا وهو يزوى عنهـمو الوجه الدميم [٤]

* * *

(١) وقاء : كم أدى ندم المجرم على جريمة إلى اقتراف جريمة أخرى !! .

(٢) بالطلا الخمر .

(٣) الوتين : عرق بالقلب .

(٤) الدميم : للرياء وجهان : وجه جميل يظهر به للناظرين ووجه يستره عنهم .

قـــال : إنى أنا شـــيطان الرياء — صـــاحب الوجـــهين أملود [1] اليـــد

ألبس الأعـــداء جلبـــاب الإخـــاء — وأعـــيـر العـــبـد وجـــهَ السـيّـــد

وأمـــيت النفس فى طى الخـــفـــاء — فـــهى تحـــيـا كـــالرفـــات الملحـــد

أنا فـــيـــمـــا ابتلى صنو البلى — أبدل الأحـــيـــاء إبدال الرمـــيم

مـــيتٌ من عـــاش يومـــاً مـــبـدّلا — ومـــسـيخٌ وجـهـــه وهو وسـيم [2]

* * *

أنصت الجـــمع ولم يبق ســـوى — حكم إبليس بســـبق الســـابق

رجع الأمـــر إليـــه فـــاســـتـــوى — يلحظ الرّهط بعـــيـنى حـــاذق

ثم نـادى بالرياء المجـتـــوى [3] — فـــأبى الخـب إباء الماذق [4]

قـــال تـأباها ولولاك انجلـى — غـيـهب الأرض فكانت كـالنعـيم

دونك الدنيـــا اتخـــذها منزلاً — وتولَّ اليـــوم أبواب الجـــحـــيم

* * *

كولمب فى الأقيانوس [*]

من لـكولمب والمخـــاوف تـثنيـــ — ـه وتزجـيـــه خـادعـات الغـرور

هام بالعـــالم الجـديد كـــمـــا هـا — م تقى بالعـــالم المســـتـــور

مـــا ابتـــغى جـيـــرةً هناك ولا أهـــ — ـلاً ولا عـــاذ عنده بنصـيـــر

أى أهل وجـــيـــرة لـهـــمـــام — أوْحَـــدىّ المنى قليل النظيـــر

من له فـــاتحـــاً . ومـــا فـــاتح المجـ — ـهـــول يومـــاً كـــفـــاتح المنظور

ضـاربًا فى حـشـا خـضـارة [5] تعلو — ه ســـمـــاءٌ عـمـيـقـه التـدوير

(١) أملود : ناعم .

(٢) وسيم : من أظهر شعوراً غير شعوره فكأنه ميت حرم الحياة لأن الحياة هى الشعور .

(٣) المجتوى : المكروه . (٤) الماذق : المتلون .

(*) كولمب فى الأوقيانوس : جزء أول .

(٥) خضارة : من أسماء البحر والمحيط الأطلسى كما لا يخفى لم يذلل للركوب قبل سفر كولمب فكأن ظهره ظهر الأوابد أى الوحوش والحيوانات التى يسلسها الركوب .

يعتلى صهوة الخِضَمّ خضمًّا ... لم يوطَّأ ، كالآبد المذعور
بين سخطين من صحاب غضاب ... أين يمضى ؟؟ وعيلم تيهور
يذرع الليلَ والفضاءَ بطرف ... شاخص لحظه ووجه وقور
ويضل الفجاج فى الصبح حتى ... يسبلَ الليلُ خيمةَ الديجور
فإذا النجم كالسفينة ركبٌ ... ليس يدرى هناك عقبى المسير

من لكولمب لا السماوات تهديه ولا النور فى دجاه بنور
يسأل السحب أين مسراك غرباً ... أين ترمين بالحيا المسجور [1]
أمعادٌ به إلى البحر أم تُحيين منه الثرى بصوب غزير
إنما يزجرُ السحاب وما كان سحاب بالطائر المزجور [2]
لو نعيبَ الغراب [3] يسمع لاعتدَّ ... نعيب الغراب صوت بشير
فى سماءٍ ما قط حوّم فيها ... غير غادى سحابها من طيور
كلَّ يوم يرى بساطاً من المو ... ج شبيهَ المطوى بالمنشور
فيرى الراكبوه أن لن يزالوا ... راسياً فلكهم رسو ثبير [4]
تظهر الشمس كل يوم ولا يأذن للأرض حاجب بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راحاً ... مدها الله من وراء البحور [5]

* * *

غرضٌ كان لم يصب منه خيراً ... وتولى وليس بالمشكور
ذلكم آدم الذى أورث الناس كميراث آدم المعمور !

* * *

لا تلوموا الكبير يركب هولاً ... إنما الهول من مطايا الكبير
إن قلب العظيم بحر زخور ... فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلال فى اليمّ أرهب منه ... صراعاتُ الضلال فى التفكير

---

(١) الحيا المسجور : أى المطر المخزون .

(٢) زجر الطير : صناعة كانوا يزعمون فى الجاهلية أنها تكشف الغيب .

(٣) الغراب : الناس تتشاءم بنعيب الغراب ولكن كولمب لو رآه قبل وصوله إلى أميركا لعلم أنه طار عن البر الذى كان ينشده فكان له بشيراً .

(٤) رسو ثبير : المناظر متشابهة فى عرض البحر الفسيح فإذا أصبح السفر فرأوا السماء فوقهم والماء تحتهم كما كانوا أمس حسبوا أنهم أصبحوا بحيث أمسوا وإن فلكهم كالجبل الراسى الذى لا يتحرك .

(٥) الراح : جمع راحة اليد .

الأثواب الثلاثة (*)

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك ، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك بل هو فى الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصبو إليه وهو صعلوك حقير . فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأى نفس أخرى . فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمنى والعمل وهذا مثل تقسيم الأثواب فى القصيدة التالية فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحدا منها ، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه . فكيف كان الإنسان إذن يرضى عن نصيبه ؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط أو إذا تساوى الناس فى كل شيء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر .

ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطاع إرضاء الناس جميعا إلا بما فيه خراب الكون .)

ليلة العيد أقبلت بالسعود ... فاكتسى بالجديد كل وليد

واكتست بالجديد كل فتاة ... لبست جدةَ الجمال الفريد

وتواصت على الثياب أخيّا ... ت ثلاث فتنَّ بالتقليد

يتسترن بالإخاء وتُزهى ... كل أخت بحسن وجه وجيد

لا تجل (العذراء) إن لم تجدها ... فى كساء من الطراز الجديد

قمن يقسمن بينهن شفوفاً ... غاليات من زاهيات البرود

لاحقاتِ الأثمان بعضاً ببعض ... واختلاف الألوان جِدّ شديد

فتنازعنها مليًّا وولت ... كل أخت بريبة المزؤد [1]

تنتقى الثوب ثم تزهد فيه ... ثم تُغرى بثوبها المردود

لم يكن غيره بأخلب وشياً ... لا ولا كان همها فى المزيد

(*) الأثواب الثلاثة : جزء أول .

(١) زأده : أفزعه .

حسداً والضئيل يبدو جليلا   إن رآه الفتى بعين حسود

* * *

هكذا الخلق فى الحياة تعادوْا   فى حظوظ مقدورة وجدود
ظلموا دهرهم ولو بلغوا السؤ   ل لما كان عندهم بسديد
لا تظنوا الشريد يرضى بأن يُبْـ   ـد من همه بهم العميد
لو تمنى العروش لم يرض أن يخلـ   ـع فوق العروش نفس الشريد
وأحب النفوس نفسك لكـ   ـنّ أحب الحظوظ حظ البعيد

* * *

غادة أثينا (*)

حدثى عن دولة الإسكندر   يا عروس الشعر واروى واذكرى [1]

* * *

كاعب كالظبى إلا أنها   دون نهديها جنان القسوَر [2]
علّمتها أمٌّ علمت   صِنوها البأس وقور الضُّمّر [3]
رضعت ثدى أثينا حرةً   ونمت فى أمة لم تقهر
أمة حسب بنيها سودداً   أنهم رهطٌ عزيز العنصر
وغزاها فاتح الأرض كما   تحدق النار بوكر الأنسُر
وابتلته بحنان صابر   وابتلاها بالعديد الأكثر
وسطا الجند عليها كالدّبا [4]   بين ألفاف النبات المثمر

* * *

(*) غادة أثينا : جزء أول .

(١) هذه الحكاية مأخوذة من سيرة اسكندر فى تراجم فلو طرحش بتصرف كثير .

(٢) القسور : الأسد .

(٣) الضمر : المعنى أن الأمة التى تعلم بناتها العفة هى الأمة التى تعلم أبناءها الشجاعة وركوب الجياد .

(٤) كالدّبا : الجراد .

راود الغـــادة منهم قـــائد ... سـيئ الخِـيم غَـرِىّ المَنْظر [1]

أيهـا الفـاتك بالعـرض الذى ... صـانه الطهـر ترفق واحـذر

أغـمـد السـيف فـهـذى وقـعـة ... لم تصب فـيـهـا ، لَمَّا تظفـر

خـضت حـربـاً ليس من آلاتهـا ... منصل العـضب وسَـرْد المغـفـر [2]

دون ذاك النصل سـيف لهـذَم ... من شبـا اللحظ وقـد سـمـهرى [3]

دون ذاك السـور سـد مـحكم ... من عـفـاف واضح للمـبـصـر

دون ذاك الحـصن قلب مـضـمـر ... كـيف يُرمى حسن قلب مـضمـر ؟

تبّت الحـرب فـمـا فى غـيـرها ... حل للجـيش حـرام المِنْسَـر [4]

* * *

أيأسـتـه من رضـاها فـارتضى ... من حلى الغـيـد بخط المشـتـرى

قـال أين المال ؟؟ قـالت هاكـه ... يمم البـسـتـان وابحث وانظر

دونك البـسـتـان فـانزل بئـره ... والتـمس فـيـهـا نفـيس الجـوهر

إننى أحـرزت فـيـهـا لؤلؤا ... ليس يُلفى مـثله فى الأبحـر

وأتى البـئـر فـزجـتـه يد ... بضـة بيـضـاء مـثل المرمـر

فـتـردَّى ، فـارعـوت تقـذفـهُ ... برجـوم كـالغـمـام الممطر

واحـتـوته البـئـر فى أعـمـاقـهـا ... كـاحـتـواء النفس سـر المنكر

إن من كـانت حـضيـضـاً نفسـه ... لحـقـيقٌ بالحـضـيض الأكـدر

* * *

ورآها الجند فـاجـتـازوا بهـا ... عند ذى القـرنين هوْلَ المحـشـر

لابس الغـار عليـه أخـضـرا ... وهو مـفـنى كل زرع أخـضـر

وقـفت وقـفـة لا مـسـتـعظم ... عـزةَ الملك ولا مـسـتـغـفـر

قـال من أنت ؟ فـقـالت «إننى ... أخت (ثيـجين) الأبىّ الشّـمـرى

---

(١) المنظر : الخيم الطبع وغرى أى يغرى بجماله .

(٢) المغفر : منصل العضب أى حديد السيف وسرد المغفر أى نسج الدرع .

(٣) سمهرى : اللهذم القاطع والشبا الحد .

(٤) المنسر أن ما يحرمه الناس على مناسر اللصوص يحللونه فى الحرب .

أخت (ثيجين) فسل مِن قومكم ... عنه مَن لاقاه تحت العِثْيَرَ [1]
مات فى الحرب التى أرَّثها [2] ... بغى فيليب أبيكَ الغَمشر
ذاد عن أوطانه ثم افتدى ... دوحة المجد بغصن «مزهر»

* * *

قال ذو القرنين إنى باسط ... لك فيْأ [3] فاسكنى أو فاهجرى
وخذى مما وهبنا أو دعى ... لن تُنالى بالأذى فى عسكرى

* * *

أورمزد واهرما (*) (٤)

أورمزد يا مخلفَ آمالى ... آمالى يا مخلقاً جدَّة سربالى
إذا تجهمت لأهل الثرى ... مزقت بالأضواء أوصالى [5]
وتمسح الأدمع من عينها ... حتى يبيت الصب كالسالى
الآن فلأحجبك عن أعين ... أحييتَها فى الزمن الخالى

* * *

مقالة فاه بها أهرما ... ثم مشى مشية مختال
لاقى بها الشمس وقد صدها ... بالغيم عن سهل وأجبال
يضحك بالرعد ويبدى لها ... بالبرق عن أنياب أغوال
فالتفتت فى برجها لفتة ... وابتسمت هادئة البال
قالت وهل يحجبنى شانئ ... لولاى لم يلحق بأذيالى ؟

---

(١) العثير : غبار الوقائع .

(٢) أرثها : أوقدها .

(٣) فيأ : ظلا .

(*) أورمزد واهرما : جزء أول .

(٤) هما إلها الخير والشر عند قدماء الفرس وقد مثلت لأولهما بالشمس وللثانى الغمام .

(٥) الأوصال : هى الأعضاء .

تحـــجـــبنى حـــيناً ولكننى أزجـــيك للخـــيـــرات والنـال [1]
لو علم الناس مـــصـــيـــر الأذى لـنافـــســـوا فى الشـــر بالمال

* * *

عند حـــلاق [*]

مـــا بالهـــا تطفـــر كـــالغـــزال ســـاحـــرةً بالتـــيـــه والجـــمـــال
هيـــفـــاء من أوانس الأندلس ذات جـــبين كـــالنـهـــار المشـــمس
قـــد أســـفـــرت حـــاليـــةً بالنّور فـى وجنة ومـــقـــلة وثغـــر
من كـلِّ زهـر نـاضـــر الـرواء والزهر لا ينضـــر فـى الشـــتـــاء
ثم اســـتـــوت فى مـــجلس هناكـــا تمد للخـــلائق الشـــبـــاكـــا
أمـــامـــهـــا المرآة فـــيـــهـــا يظهـــر مـا ليس فى غـيـر المرائى تبـصرُ [2]
تمثـــالهـــا فى صـــفـــحـــة البلور مـــرتســـمـــا بريشـــة من نور

* * *

وكـــان يرعـــاها أريب كـــيِّس فـــقـــرَّ فى مـــوضـــعـــه لا ينبس
وصـــوّب الطرف إلى الرذيلة يرمق تلك الصـــورة الجـــمـــيلة
كـمن يهـاب الشـمس فى السـمـاء فـــيـــرتضى بقـــرصـــهـــا فى الماء
وســاءها حـــتى إلى الطيف النظر ! أهكذا تبـــخل ربات الخـــفـــر ؟
الحـــســـن إن ضـن بـه المليح كـــالمال إذ يدفنه الشـــحـــيح
والزهر إذ يزكـــو لغـــيـــر ناشق والبـــدر إذ يبـــدو لغـــيـــر رامق
فـأقـبلت غـضـبى إلى قـرينهـا وأومـأت سـخـراً إلى مـجنونهـا !
قـــالت ألا تنظر للمـــغـــرور حـــدّق فى المرآة كـــالمســـحـــور
مـــازال يرنو نحـــوها بالطرف حـــتى لقـد أخـجل فـيـهـا طيـفى

---

(١) النال والنوال : بمعنى واحد .

(*) عند حلاق : جزء أول .

(٢) تبصر : المعنى أنها ترى أمامها فى المرآة ما لا تبصره هى إلا فى المرايا لندرة من يماثلها من الحسان .

فـــأومـــأ القـــرين للحـــلاق يبــتـــسم ابتـــســامـــة الإشـــفـــاق
وقـــال : قل للصـــاحب الصـــديق لا يكســــر المرآة بالتـــحـــديق
من يكْثـــر اللمح لهـــا بالليـل قـــد يعـــتـــريه خـــبل فى العـــقل

* * *

فــأطرق الأديب كــالمســتــعــتب وقـــال «عـــفـــوًا» يا قـــرين الكوكب
مـــا فى المرايا ثَمّ من شـــيطان يُخـــاف منه المسّ للإنســـان
لكنّ فـــيـــهـــا ملكاً مكمّـــلا يوحى لنا الحــسن كـــمـــا تنزلا
ملكتَ منه الذات واســتـــأثرتا فـــفـــز بهـــا مـــغـــتـــبطاً ، هنئـــتـــا
ودع لنا هذا الخـــيـــال مـــغنمـــا ! ليس الخـــيـــال حـــرمـــاً أو مـــحـــرمـــا

* * *

أمنـــا الأرض (*)

(مـغـزى هذه القـصـيـدة أن الخـوالج التى تحـرك الأطفـال هى الخـوالج التى تتـصـرف بالرجـال ، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادّون بالحيل التى تخدع بها الأطفـال وهم لاعبون ، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون) .

أســـائلُ أمنـا الأرضـــا ســـــؤال الـطـفـل لـلأم
فـــتـــخـــبـــرنى بما أفـضـى إلـى إدراكـــــــه عـلـمـى

* * *

جـــــزاها الـلّـه مـن أمّ إذا مـــا أنجـــبت تئـــدُ [1]
تُغـــذّى الجـــسم بالجـــسم وتـأكـل لحـم مـــــا تـلـد

* * *

(*) أمنا الأرض : جزء ثانى .

(١) تئد : تدفن أولادها .

ألا يا أمّ كم طلعا ... عليك الشمس والقمرُ
وكم أسنى وكم وضعا ... على أرجائك القدر

* * *

أقاموا أمسِ وانصرفوا ... فليس لفَلّهِم [1] شملُ
فأين نفس من سلفوا ... وأين يكون من يتلو

* * *

فقالت فى ملامحكم ... يبين الجدّ والخلَف
فجوسوا فى جوانحكم ... فثمَّ يجوس من سلفوا

* * *

وأين عظام من نبها [2] ... من الماضين فى السّير
فقالت قد صنعت بها ... لكم حلوى من الثمر !

* * *

وما المجد الذى أضرى ... قلوب بنيك فاشتجروا ؟
فقالت حلة كبرى ... يراها القلب لا البصر

* * *

فقلت لها : فما العمل ؟ ... فقالت خادم الحُلْم
وما الأحلام والأمل ؟ ... فقالت حيلة الأم

* * *

وقد يُحتال للطفل ... على خير له مُجد
ألا ينبو عن الأكل ... إذا لم يُغرَّ بالوعد [3]

* * *

(١) فل الجيش : هو ما تبدد منه . (٢) نبه : اشتهر .

(٣) بالوعد : الأمل كاللعبة التى توضع أمام الصبى ليمشى إليها حتى إذا بلغها أبعدت عنه وهكذا إلى أن يقوى على المشى وكذلك الأمل كلما بلغنا منه منزلة لاحت لنا منزلة أعلى فيبعثنا على العمل الذى يقدمنا ولولاه لما عملنا .

فـقلت لهـا مـا السُّـقمُ ومــــا الآلام والبـلوى
ومــا الآفــات تخــتــرم شـبـابَ الأحـور الأحـوى ؟

* * *

فـــقـــالت إنما البلوى عـــقـــاب الطيش والنَّهم
فـــإن جـــرتم على الحلوى هزرت لكم عـــصـــا الألم

* * *

وقلت لهــا فــمــا الذهبُ وفـــيمَ طويتـــــه عنا
فــمـــاج الناس واضطربوا فـــلا عطفـــاً ولا أمنا

* * *

فـقــالت لست أحـسـبـه سـوى ضـرب من الحـجـر
وإن الطـفـل مطـلبُـــه أشـــد لكل مـــســـتـــتـر

* * *

يجـد الطفل مـفـتـتنًا بما لـم يُبـــده العلَنُ
ويحـــسب جـــهـــده ثمنًا لشـيء مـــا لـه ثـمـن !

* * *

لَزدت بقـــولهـــا خُـــبْـــرًا وزدت بقـــولهـــا جـــهـــلا
فـــمـــا ألفـيتـــه وعـــرًا ومـــا ألفـــتـــيــه ســهــلا

* * *

وصـــحت بهـــا إلى أينا إلي أين المصـــيـــر بنا ؟؟
فـغـضّت عـينُهـا الجـفنا وصـــــدت عنّـىَ الأذُنا

* * *

بنى الدنيا لعابِ بها   ففى الأبواب قصّاد
لكم يوم بملعبها   وتحت الأرض آباد

لها ملهىً تكرره   إذا ما انفضَّ لم يُعقدْ
نغادية فننظره   ويوصَدُ بابُه السرمد

سيان (*)

ياشمس ما ضرّك لو لم تشرقى   يا روض ما ضرك لو لم تعبق
يا قلب ما ضرك لو لم تخفق   سيان فى هذا الوجود الأحمق

من كان مخلوقًا ومن لم يخلق

المعرى وابنه (*)

قال المعرى :

وإذا أردتم بالبنين كرامة
فالحزم أجمع تركهم فى الأظهر

(فهو والدرؤف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم ! فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه ! ومتى كان الأبناء يعرفون البر للآباء؟ والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم العدم) .

يا أبى ! طال فى الظلام قعودى   فمتىَ أنت مخرجى للوجود ؟
طال شوقى إليك فاحلل قيودى

(*) سيان : جزء رابع .

(*) المعرى وابنه : جزء ثانى .

يا أبى عـالمُ الظلام مـخيف　　ليس يقوى عليه طفل ضعيف
فاجزنى من ظله المسدود

حَدَّثونا عن الحياة العجاب　　فلهجنا بحسنها الخلاَّب
وظَمئنا لحوضها المورود

حدثونا عن الدجى كيف يسطو　　وعن الصبح بعده كيف يعطو
وعن النحس فيهما والسعود

حدثونا عن دارها وبنيها　　وجهادٍ يُمنى[1] به القوم فيها
وعن الموت بعدها والخلود

أرنى الجهر يا أبى والخفاءَ　　أى شىء ذاك المسمَّى شقاءَ ؟
أى سر يُراد بالمولود ؟

ما الوجوه الحسان ؟ وما النَّوار ؟　　ما الدرارىّ ؟ ما الفلا ؟ ما البحار ؟
إن دأب الوليد حبُّ الجديد

لى جدود وليس لى أبوان　　ولئن شئت أن فيكم أوانى
وتملَّيت قسمتى فى الوجود

* * *

ولدى ! إننى أبوك الرحيم　　أنا بالعيش يابنى عليم
لا تصدق مقالةً من بعيد

ما حياةٌ تشقى وتسعد فيها　　تتعنَّى لكن بما يعنيها
فى عظيم تُبلى به أو زهيد

(١) يمنى : أى يبتلى .

يحسب الحى جهده لهواه جهل الحىُّ جهدهُ لسواه
إنما المرء آلة للجدود[1]

إنّ غُنم الحياة من لم يجده لم يُمتّع به ، ولم يفتقده
فاغتنم ربح شرها المفقود

شرها يا بنىَّ شرٌّ ثقيل خيرها يا بنىَّ خيرٌ قليل
أهلها يا بنىَّ أهل حقود

زعموها إلى الخلود تؤدى ما رأينا سوى فناء ولحد
فيه مُوْد على تجاليد مُودى

قف بباب الحياة لا تدخلنها واعتصم يا بنىَّ ما اسطعتَ منها
سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد

* * *

هكذا أقنع المعرى الوليدا فتنحى عن الحياة بعيدا
والتفى الشيخ وابنه فى اللحود

* * *

بين الشاعر[*]
وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالى وكذَّبت أحلامى ، وأشمتِّ عذالى
إذا ما وعدت أخلفت فى غد وهيهات لا تبقين يوما على حال
يظل غريرا من أعارك سمعهُ وإن عاش أجيالا عفتْ بعد أجيال

* * *

كفى يا صديق العهد هيجتَ بلبالى وما أنت بالسالى هواى ولا القالى
ملامك فيه الحق ، أو فيه بعضه وما غاب عن ظنى ولا بان عن بالى
إذا قلتُ زورا فهو من صدق شيمتى ومن يصف الدنيا يصف خيمَ[2] ختَّال
إذا هزلت أمى الحياة فهل ترى من الصدق ألا يطرق الهزَل أقوالى ؟
بحسبك من عذرى إذا ما عذلتنى أمانة تمثيل ، وروعة تمثال !

---

(١) للجدود : الحظوظ . والمعنى أن الإنسان مسخر فى الحياة وهو يحسب أنه خلق لنفسه وأن الحياة نعمة تعنيه هو وما تصيبه منها إلا أقل من نصيب الأقدار التى تسخره لغاياتها .

(*) بين الشاعر وعروس شعره : وحى الأربعين .

(٢) الخيم : الطبع والعادة .

حانوت القيود(*)

(الحياة كالمرأة إذا أحبت امرءاً قيدنه بأحابيلها وعلّقته بهواها ، فمن كان حى النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو مقيد بالغرائز والأهواء ، ولا تضعف هذه الغزائز والأهوواء فى الإنسان حتى يكون منبوذًا من الحياة كأنه عاشق لها مملول لا تبالى هى أن تطلق له القيد وترسله حرا متى شاء ، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود . ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها ، لأن قيودها تلك هى الأزمة التى تقودنا بها إلى حيث تريد) .

جزى الله حانوت القيود فإنه ... مناط الأمانى من بعيد ومُكثِب(1)

تزوّد منه الناس فى كل حقبة ... وحجوا إليه موكبًا بعد موكب

يصيحون فيه بالقيون(2) كأنهم ... سراحين(3) فى واد من الأرض مجدب

فمن قائل عجل بقيدى فأننى ... طليق ، ومن عان كثير التقلب

إذا أخطأ الأغلالَ قطّب وجهه ... كئيبًا ، وإن أثقلته لم يقطب

يطوفون بالمغلول طوفة عاطل ... فقير بموشِىِّ الطيالس معجَب

فهذا إلى قيد من العقل ناظر ... وما العقل إلا من عقال مؤرّب(4)

يخفّض من أهوائه كل ناهض ... ويغلب من آماله كل أغلب

يمشى بأغلال التجارب معجبًا ... على غبطة منه لمن لم يجرب

وهذا إلى قيد من الحب شاخص ... وفى الحب قيد الجامح المتوثب

ينادى : أنلنى القيد يا من تصوغه ... ففى القيد من سجن الطلاقة مهربى

أدره على قلبى وعقلى ومهجتى ... وطوّق به كفى وجيدى ومنكبى

ورصّعه بالحسن المسوَّم وأجلُه ... بكل سعيد فى المناظر طيِّب

(*) حانوت القيود : جزء ثالث . ٢٠٤ (٥ فقرة ١٤٤) .

(١) المكثب : القريب . (٢) بالقيون : جمع قين وهو الحداد .

(٣) سراحين : ذئاب . (٤) مؤرب معقد .

عـزيز علينا اليش حـرا وحـولنا ... أسارى الهوى من فـائز ومـخـيّب
ورب رخـيّ البـال تمت حظوظه ... يقـيـد دنيـاه بعنقـاء مـغـرب
أمـانيّ يقـفـوها فـتـربط خطوَه ... رباطَ الدياجى خطوة المتـشكب
وآخـر أضنتـه الملالة باسط ... يديه إلى الأعمال فى غير مأرب
إذا مـا رأى المكدود يمقت عيشه ... تمنى على الأيام شقـوة متـعب
وكم طامع فى الجاه والجاه عصمة ... ولكنه كـالمعـقل المتـأشب
يصد العـدى عن ربه ويصده ... عن الناس صد المحجم المترقِّب
ورب عـقـيم حطم العـقم قيده ... يحن إلى القيد الثقيل على الأب
إذا منّت الدنيـا عليـه أجـابهـا ... بلعنة مـوتور وعـولة مـتـرب[1]
يرى أن حـال المفـتـدى من إساره ... لديهـا كـحـال المجتـوَى المتجنّب
ومن لم تعلّقـه الحـيـاة بقـيـدها ... فيا سوء ما اختارت له من تقرّب

* * *

بنى آدم لا تنكروها فـإنهـا ... مـياسم من أرواحكم لم تُغـيّب
فـمـا تكرهون القـيـد إلا لأنكم ... تنـوءون منه بالثـقـيل المشـعَّب
أعـزكم من لا مـزيد لوقـره ... ولا فـضل[2] فى أغـلاله لمعـقّب
وقـد زعـمـوا أن القـيـاد قـيـادة ... لمن كـان يمشى فى مجاهل غيـهب

* * *

---

(١) مترب : فقير .

(٢) فضل : بقية .

أكاروس(*)

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة فى الأساطير اليونانية القديمة . وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية ، وهذه هى خلاصتها : ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة فى الصناعة وحسن الحيلة فى تذليل المصاعب والخروج من المآزق ، وزعموا أنه غار من ابنه أخته الذى كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته ، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب فى البلاد برا وبحرًا حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقى عنده كرامة وحسن وفادة . وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته فى تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام .

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورا مشهورًا فى الأساطير «منوطور» . فولدت منه طفلا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان ، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه فى غفلة من زوجها المخدوع ، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبنى لذلك الطفل سردابا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة . فتردد الصانع أولا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسيسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب ، ولكن الملك علم به فصارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربا من عقابه ، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة ، ونصح الحكيم الصناع ولده ألا يعلو فى السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبللهما الرشاش الكثير . ولكن الولد نسى النصيحة وهو فى نشوة الطيران والوثوب ، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه ، إذ سقط هالكا على صخرة فى البحر يبكيه من حولها بنات الماء ، فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح) .

(*) أكاروس : وحى الأربعين .

«أكاروس هذا مسبح الطير فاركب
وتلك المهاوى من خُضارةَ[1] فاجنب

زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه وظن
ونادى ، فنحّى جنده كلَّ مركب ؟

بنا عجزًا ، فيا سوءَ رأيه !
متى حيل ما بين السماء وكوكب

أدر مركب الريش الذى ما استقله
أنيسٌ ولا جنٌ ولا ذات مخلب

وطر نلتمس عِبْرَ[2] الشمال ونرتحل
على سنة الطير التى لم تُهذَّب

تراها إذا ضاقت بلاد بسربها
على أهبةٍ فى جوها المتقلب»

«ألا وادّخر عزمًا يقودك شرخه
إلى الأوج ، فاحفظه لشوط مغيّب

وسر قدُمًا . إن المطار لواحدُ
ولكنْ سبيل الأوج ليس بمقرب[3]

أكاروس ! إنا هاربان من الردى
فلا تجعل العقبى إلى شر مهرب

توسّط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدا
ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلب

فإنك أن تغترّ بالشمس ينخذلْ
جناحاك ، أو تبتلّ بالماء ترسب

هنا لافح يوْهى اللحام ، وها هنا
لريشك وهيٌ من رشاش مرطّب

أكاروس ، إنى باذل لك من يدى
ومن خبرتى ذخرَ الصُّنَّاع المجرب

تذكر عظاتى واعلم اليوم أنه
صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبى

ولا تتخذ ريشى وتنس نصيحتى
يخنْك جناحُ الرأى يوما فتعطب

جناحك من ريش إذا لم يُعنهما
عديلان من رأى ، كأغلال مُتعَب

أقلُّ من الصخر امرؤٌ ضم جسمهُ
أمانة روح لم يصنها المأرب

ولى فيك أعمارٌ طوال واللذُنى
فأسند إلى عزّم الصبا حزم أشيب

حياتك من بعدى معادى ، ولن ترى
فتى صالحا يجنى الفناء على أب

وللأمس شوقٌ أنْ يرى الغد طالعا
فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب[4]

بُنَىّ استمع قولى فما بعد نَسْيه
سبيلٌ إلى تكراره لمعقب

إلى الجو ! هذا يا بنى وداعنا
وللأرض منا لهفة المتغرّب

فإما لقاءٌ بعد فوق صعيدها
وإما فراقٌ شاعبٌ كل مشعب

---

(١) خضارة : اسم معرفة للبحر . (٢) العبر : الشاطئ .

(٣) بمقرب : أى إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام .

(٤) لا يحب الأب أن يموت ابنه قبله فيكون كالغد الذى غرب قبل أمسه .

وصاةً لديدالوس وصَّى بها ابنه ... ونعم الموصَّى من حكيم مدرَّبِ
صناعٌ له كف كأنّ أكفّنا ... من العجز - إن قيست بها - لم تُركّبِ
عليمٌ بأسرار الفنون ، وإنها ... لتقبس من سر الحياة المحجَّبِ
ومن يُؤتَ تصريف الجماد يُصب به ... أكفًا وأعضادًا إلى كلّ منكبِ
وناهيك ديدالوس من ذى حصافة ... قدير على فعل الأعاجيب معجبِ
يعيرك من يمناه صولة قشعم[1] ... وخلسة ثعبان وحيلة ثعلبِ
ويبنى فمبناه عمادٌ لأمةٍ ... وبيتٌ لأجيال وزينٌ لمنصبِ
ولكنه بئس الغيور على اسمه ... وقد يحمل الغيرانُ أوزار مذنبِ
تغيَّظ لما بزه فرع صنوه ... ولم يرع حق الأخت فى ابن محبَّبِ
فأصماه ، لم يشفق عليه من الردى ... وواراه ، لم يندم ولم يتحوَّبِ[2]
وما كان إلا أن نبا بكليهما ... فضاء أثينا من مقيم ومُعزبِ
فهذا مسجًى فى ثراها مترّبٌ ... وهذا مُزجى دونها كالمتربِ
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره ... ذكاءً يريك النجم فى جنح غيهبِ
ووارته من عين الغريم فنونهُ ... وكانت منارًا بين شرق ومغربِ
وما زال يَعْرَورِى البلاد ويتقى ... تصعدَ أثناء الذرى بالتصوُّبِ
إلى أن تلقَّته «كريت» وربها ... على خير أهل فى حماها ومرحبِ
وأمّل «مينو» منه حصنًا لملكه ... فحصنه «مينو» بملك مؤشَّبِ[3]
وما مَلِكٌ إلا له من صناعةٍ ... معاقلُ يبنيها ليوم عَصَبْصَبِ

* * *

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤٌ ... يُخاف ويرجى للمخُوف المؤرّبِ
تحيَّر ديدالوس ما بين مُنكر ... وشكر ، وغِبٌّ اثنيهما غير طيّبِ
أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه ... وأنجاهما فى طيّه سمٌّ عقربِ
غوتْ عرس مينوواشتهت ، ساء ما اشتهت ... من الناس ، لا بل من بهيم مذنَّبِ
تحنٌّ إلى ثور وتهوى اقترابه ... وليس ولىّ العهد منه بمعجبِ !
فأولدها طفلا له مثل ظلفه ... إلى شر وجه آدمىّ ومنكبِ
ويا رُبَّ أنثى تعشق الثور كلما ... سباها فتى بالجسم لّا الروح يستبى

---

(١) القشعم : المسن من النسور ومن كل شيء . (٢) تحوب : أى تجنب الحوب وهو الذنب .

(١) مؤشب : متشابك ملتف .

فَمَنْ غير ديدالوس يخفى شنارها ... ويرعى مهاد الطفل رعىَ المؤدِّب ؟!
أهابت به أمًّا وأنثى حريصةً ... ومالكة حيرى ، فلم يتهيب
بنى لسليل الثور حرزا ، وليته ... تلمّس حرزًا من غوائل مُغضَب
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه ... وضاجع أشجانَ المعنَّى المعذَّب
وأقسم لا واق من الموت عنده ... ولا وائلٌ من سخطه المتلهِّب
وأهولُ من هول الخضَارم فى الدُّجى ... ضراوة مهتوك وغيظ مخيِّب

* * *

فلمَّا تنادى الجند وارتجَّت القرى ... وخيف الأذى من حاضرين وغُيَّب
وقالوا : أمَنْ ربُّ الجزيرة حربه ... يوقيه عرض البحر أو طول سبسب
أهاب الصَّناع العبقرى بفنه ... فلباه ، فاستعلى به متن أشهب[1]
تسربل من ريش وسربل نجله ... خوافق لوَّى بينها ألف لولب
فحلّق مزهوا وفرّ مظفّرا ... وأغرى لسان السخر بالمتعقِّب

* * *

مضى ناجيًا من بأس «مينو» فهل نجا ... فتاه من البأس الذى فيه يختبئ ؟
بلى ! قد نجا لولا طماحٌ سما به ... إلى الشمس فى ثوب من النار مُذهَب
تعشّقها مفتونةً فتقلبتْ ... هواه بوجه صادق النور خلَّب
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى ... لنصح نصيحٍ أو لزجر مؤنّب
وما هى إلا وثبة بعد وثبة ... إلى الشمس حتى عزّه كل موثب
تعشّقها نارًا ، فإن جاءه الأذى ... من النار ، فليعتب . فلا حين معتب

* * *

علا بدم حىّ وخرّ مضخمًا ... به فى جناحى أرجوانٍ مخضَّب
طريحًا على صخر تُغشّيه رغوةٌ ... من العيلم[2] الغضبان فى غير مَغْضب
وراحت بنات الماء يندبن حوله ، ... ومن يرَ أنقاض الصبا الغض يندب
وما من عزاءٍ للشباب علمتُه ... سوى مدمع من أعين الحسن صيّب
إذا جال فى حسبانه هان عنده ... دموع ذراها[3] الحزن من طرف أشيب

* * *

(١) الأشهب : الأمر الصعب وقد يطلق على الطير الجارح الأشهب .

(٢) العليم : البحر . (٣) ذرا : الشىء فرقه وبعثره .

كعبة الأصنام(*)

بعد الزلزال

كـانت الكعـبـة والأصنام فـيـهـا ... زينةٌ تأخـذ قلب الصبِّ تيـهـا
حـلفـتْ فـى كـل ركـن بـالـدُّمى ... والدمى مـسـتـعـبـداتٌ صـائغيـها
هى أصنـامٌ لمن يـعـبـدها ... أو تماثيلُ تناجى عـاشـقـيـهـا
عظمتْ حـينا فلمـا زُلزلت ... كـاد من صلى إليـهـا يزدريهـا
كـان فـيـهـا صنم الحق نبيـ ... ـها[1] تداعى ، فبدا مِسْخا كـريها
نزع الزلزال عـينى رأسـه ... فـاحـتـوته ظلمـاتٌ غـاب فـيـهـا
وارتمت سـاقـاه فى جـانبـه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهًـا ؟!

* * *

كـانت النخـوة فـيـهـا صنمـا ... صاغىَ السمع ، كمـا شئت نزيها
يخلب الطَّرف بحـسن واضح ... وسـمـات تزدهى من يجـتليـهـا
فـارتمت أذناه فى الأرض لَقىً ... ومـضت كَفٌ بال كف تليـهـا
يطلب الغـوث ولا غـوث له ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟!

* * *

والإخـاء المحض كم أبصـرته ... حيـث لم أبصـر له قط شـبـيـهـا
قـائمًـا يفـتـرُّ عن مـبـسـمـه ... واسع الصـدر ، يحـيـيك وجـيـهـا
شـقـه الزلزال فـانجـاب لنا ... عن حنايا صـدره لا قلب فـيـهـا
خـيـر مـا فى وجـهـه ظاهرُه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟
وتراءى الحب فـيـهـا فـتنةً ... مـا اجـتـواها زائرٌ من زائريهـا
ضـرب الزلـزال فى أصنامـه ... فـهـوت أشـلاؤها تنعى زويهـا
مـا الذى أبقـاه من أشـلائهـا ؟ ... سـوأة يعـرض عنهـا مـشـتـهـيـهـا

* * *

(*) كعبة الأصنام بعد الزلزال : وحى الأربعين .

(١) النبيه من النباهة وهى الظهور والشهرة .

وهوى تمثـــال مـــجـــد لامع | يخطف العين بنور يعـــتليـــهـــا
مـــلأ الدار علينا جـــوهـرًا | زائفًـــا ينطق بالزيف بديهـــا
وقـــشـــورًا لا تـســاوى وزنهـــا | من تراب ،لن ترى من يشـتـريها
هى إن قـــامت جـــمـــالٌ فـــإذا | ســقطت ،لم تكد العين تعـيـهـا

* * *

هكذا أقـــوت زوايا كـــعـــبـــتى | وثوت خـــاويةً من ســـاكنيـــهـــا
غـــيـــر أنى طائفٌ من حـــولهـــا | لم أشـــأ أهجـــرها أو أبتنيـــهـــا
لا طوف المتـــملّى[1] حـــسنهـــا | أو طواف المهـــتـــدى من عـــابديها
بل كـــمن نقب فى جـــوف الثـــرى | يجـــمع الآثار فى شـــتّى سنيـــهـــا
من فـــراغ لا من الرغـــبـــة فى | تلكم الآثار ،أمـــسى يقـــتنيـــهـــا
أو هى العـــادة كـــالطيف إذا | هام بالأجـــداث يبكى نازليـــهـــا

* * *

(١) تملى الحسن : نظر فيه واستمتع برؤيته .

إبليس ينتحر (*)

(الاستعباد هو الجو الذى تعيش فيه الشياطين لأنه و الخوف والإغراء ، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء) .

هاتو لى الخير والهدى جُرَعا ... أبخع نفسى حزنا كمن بخعا

حريةُ القوم أفسدت خُدَعى ! ... لم تبقِ لى فى الأنيس منخدعا

إن مُنعتْ لذةٌ حفزتُ لها ... فكيف حفزى من لم يكن مُنِعا ؟

لو حُجبتْ شهوة أُزيّنُها ... فكيف تزيين ظاهرٍ سطعًا ؟

وإن طغى ظالم له خنعوا ... فكيف يطغى إن عَزّ من خنعا

لو دام هذا البلاءُ واتسعتْ ... حريةُ القوم ضاق ما اتسعا

واستغنتْ الأرض والسماء معًا ... عن الشياطين فانطووا جزعا

ما حاجة الأرض للأبالس فى ... عهد نضا الخوف عنه والجشعا ؟

وكيف تغذوهُم بلا عمل ... وهى على السعى شأنها اجتمعا ؟

وأين يأوونها إذا قشعتْ ... عنها ظلام الدهور فانقشعا

أتى زمانٌ أموت فيه أنا ... إبليس يأسًا ، وفى يدى صُنعا

ودعتُ ملكَ الدنيا وودعنى ... ملكٌ إذا همّ قلما رجعا

هاتوا لى الخير جرعة فإذا ... ضعفتُ عنه شربته جُرَعا

سأسبق الموت حين يتبعنى ... فإنه لاحقٌ إذا تبعا

* * *

(*) إبليس ينتحر : وحى الأربعين .

بيت يتكلم(*)

(كل بيت من البيوت التى تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طلسم الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان ، ولسمعت عجبا لا تسمع الآذان أعجب منه ، وليس الذى يتحدث به «البيت» فى القصيدة التالية إلا قليلا من كثيره) .

جـمـيـع الناس سكانى — فــهـل تدرون عنوانى ؟
ومـــا للناس من ســر — عــدا آذان حــيطانى
حــديثى عــجب فــيــه — خــفــايا الإنس والجــان
فكم قــضــيت أيامى — بـأفــــراح وأحـــزان !
وكــم آويــت مــن بــر — وكـم آويت مـن جـــان !
فــإن أرضــاكم ســرى — فــهــا كم بعض إعــلانى

* * *

بنى الإنســان لن أحــفــ — ـل فى دهرى بإنســـان
ألـم أعــــرفكم طرا — فلم أسـعـد بعـرفـانى
أتــانــى أول الــسـكْــن(1) — ومــا استــوفـيت بنيـانى
ومــــا أرهـفت آذانا — ولــم آنــس بــقــطــان
وأصــغـيت على مــهل — فــطــاشــت كــل آذانــى
همـــا زوجـــان ، أو شـيطا — نـة لاذت بشــيطان
وقـــد عـــاشـا وفـيين — بتــقــدير وحـســبـان
وراحـــا - هـكذا يحكو — ن - فى روح وريحـــان
ومـــا أبصـــرت من هذا — ولا مـــن تـلـك فــى آن

(*) بيت يتكلم : عابر سبيل .

(1) السكان .

سوى خوانة خر قاء تفرى عرض خوان
إذا ما ضحكا يوما على غش وبهتان
حسدت البيد والأطلا ل فى غيظى وكتمانى
وأشفقت من النقـ ـمة أن تهتز أركانى

* * *

وجاء الساكن الثانى وبئس الساكن الثانى
يراه الناس ذا مال وأفراس وغيطان
وقد شوهنى بخلا وأعرانى وأعيانى
وقد صيرنى سجنا ومنه كان سجانى
فلما طال بى عهدا ولم أسعد بهجران
وددت لو أن لى فى كل جحر ألف ثعبان
بديلا منه أرضاه وأحبوه بغفرانى
وأنفث سمها أو يتـ ـقى شرى ويخشانى
إلى أن آده[1] أجرى ولم يظفر بنقصان
فأخلانى ولن أنسـ ـى سرورى يوم أخلانى

* * *

وكان الساكن الثا لث ذا عز وسلطان
فما ارتبت بأن العـ ـز والذلة سيان
وما ألفيته إلا لئيما جد غفلان
ضعيفًا يستر الضعـ ـف بطغيان وعدوان
وكم أذعن للطاغى عليه شر إذعان
إذا ما لقى النا س بكبر منه طنان
فما أصغر ما ألقـ ـاه منه بين جدرانى

* * *

وأما رابع القوم فذو علم وتبيان
حشا بالورق اليا بس والأخضر حيشانى

---

(١) آده : أثقله .

فـمـا لى مـوضـع فى الأرض رض أو من فــوق عـــمـــدان
ومـــالى مطبخ أو مـــخـــد ع أو بـهـــو ضـــيـــفـــان
ولا زاويـــــــــــــــة إلا وفـــيـــهـــا الكتب تلقـــانى
أبـى لـلـنـفـس دعـــــواهـا لـم يـسـمـع لجـثـمـــان
فـــلا ســـهـــرة أحـــبـــاب ولا جلســــــة ندمــــــان
فـــــمـــــا أجـــهـله بـالحق ذاك الـعــــالـم العـــانى !
أبين الـنـاس يحــتـــــا ج إلـــى عــلــم وبــرهـــان ؟
وهم عـــمـــيـــان ظلمـــاء ســــروا فى أثر عـــمـــيــــان ؟
كــثـــيـــرٌ لك يا إنســـا ن فى دنيـــاك عـــينان !!

* * *

وأمـــا الخـــامس الجـــانى فناهيك بشـــــهـــوان
فـــــمـــــا زودنـى إلا بـــــإثـــداء وأعـــكـــان
وهُـتَّـــــــاف بـألحـــــان وسُـــمـــار على ألحـــان
إذا أمـــســيـت مـــســـانى بـــأشـــكـــال وألـــوان
على الأبـواب مــــا يرضـ ـيك من حــسن وإحـــســان
ومن صـــون لأســـمــــاع ومن غض لأجـــفـــــان
فــــلا تنظرهم ثمـــــة وانظر بين أحـــضـــانى
فـــيـــا اللّه كم فى الأ رض من غـى وغـــيـــان
وكم فى القـــوم من مـــخـــد وع آبـاء وإخــــــوان
وأزواج وأصـــــهــــــار وخـــــلان وأخـــــدان
لـو أنى قـلـت مــــا أدرى لـهــــدوا كل أركـــــانى
فنعم الصـــمت والحكمـ ـة يا صـخـــرى وصـــوانى !

* * *

وكم صـــاحـــبـت من أصـ ـحـــــاب آداب وأديـان
تجـافــوا وصــمــة العـاصى وعـــافـــوا شـــهـــوة الزانى
وبـاتـو بـيـن قــــربـان وتـرتـيـل لـقــــــرآن
ولـم يـأســــوا مـن الـد نيـــا على غبن وحـــرمـــان
إذا مـــا شـــرفـــتنى زمـــر ة منهم بصـــحـــبـــان

حسبت الأرض تجفونى ... فأنساها وتنسانى
وقالوا الجان لا تقر ... ب من مجلس فرقان
فقد ألفيت بعض الأنـ ... ـس فى العنصر كالجان

* * *

ولكن شر ما آو ... يت فى لؤم وعصيان
رياء الخائن العادى ... على أهل وأوطان
تلقّاهم بتمويه ... ولا قوه بإيمان
وفى حجرة أسرارى ... وفى ظلمة أوكانى
يبيع الحوزة الكبرى ... بربع أو ببستان
ويعطى الحق والذمـ ... ـة والفتيا بأثمان
ويُفنى أمة تحيـ ... ـيه وهو الزائل الفانى
ويمشى بين قتلاه ... رفيع الذكر والشأن

* * *

ولم أحمد من الضيـ ... ـفان ضيفا مثل فنان
تولانى بإبداع ... من الفن وإتقان
وغطى كل جدرانى ... بمنضور ومزدان
وأوحى الحسن واستو ... حاه من جنات رضوان
فحينا حسن مكسوٌّ ... وحينا حسن عريان
بريئا فى سماء الفـ ... ـن من عبث وأدران
وفتانا على الحا ... لين لكن أى فتان
كما تفتنك الزهـ ... ـرة فى أعطاف أغصان

* * *

جموع لست أحصيها ... لو دونت ديوانى
ومثل كل جاراتى ... ومثلى كل جيرانى
عرفت الناس أشتاتا ... بلا عد وحسبان
فلم أعرف أأعداء ... هم أم جمع أقران ؟
إذا ما اختلفوا فى ... سيمة تبدو وشغلان
فهم فى الموت أشباه ... وفى سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا ... بكى حينا وأبكانى

مســاكين فــلا تحــفل … من الـنـاس بإنســـان
ولا تحســد فــتى منهم … عــلــى بــأس وإمــكــان
فـــأعـــلاهم وأدناهم … أمـــام الـغـــيـب صنوان

* * *

نـزيـل المـنـزل الخـــالى … ألا تـعــــرف عنوانى ؟
إذا مــا طفت حــوليــه … فــثق أنك تـلـقـــانى
فــمـــا من منزل إلا … وفـــيـــه بعض ألوانى
تأمـل فـى نـواحــيـــه … وراقـــبــه بإمـــعـــان
ولا يخـدعك صـمت فيـ … ـه أو تفـتـيح بيـبـان
ولا تحــسـبـه خلوا من … مــغـــاليق وأكنـان
إذا مـا كنت مـسـتـحـضـر … أرواح وحـــــدثـان
فــقف فى المنزل الخــالى … وأرهف ســمع يـقظان
وأغــمض فــيــه أجــفـا … نك وانظر غــيــر وسنان
تر الأطيــاف أفــواجــا … وتســمع مــوج طوفــان
وتجــمع كل مــا يُجــمع … من ربح وخــســـرن
ولا يـخــطـئـك تـاريـخ … ولا دارس أزمـــان

* * *

بعد صلاة الجمعة(*)

على الوجــوه ســيـمــة القلوب … فــانظر إلى المســجـد من قــرب
وقف لـديه وقـــفـــة اللبــيـب … فى ظهـر يوم الجـمـعـة المحـبـوب
إنك فى حــشــد هنا عــجــيب

* * *

(*) بعد صلاة الجمعة : عابر سبيل .

هـذا الـذى يمشى ألا تـراه كـأنما قـد حـملت يداه
سفتجةً[1] صاحبها الإله ذاك هو الدَّين ، وقد وفاه

فليس للدائن بالمطلوب

* * *

وذلك المبتسم الرصين كـأنه بسره ضنين
أصغى إليه سامع أمين فهو إذا صلى كمن يكون

فى خلوة النجوى مع الحبيب

* * *

وانظر إلى صاحبنا المختال فى حلة ضافية الأذيال
أكان فى حضرة ذى الجلال أم كان فى عرض أو احتفال

يُزهى على المحروم والمسلوب

* * *

وكم مصلّ خافت الدعاء كـأنما نصٌّ إلى السماء
رسالة فى عالم الخفاء فلا يني يبدو لعين الرائى

كالمترجّى أوبة المكتوب

* * *

ورب شيخ من ذوى الخلاّق[2] فرحان بالجمع وبالتلاقى
كـأنه التلميذ فى انطلاق بين تلاميذ له رفاق

عادوا إليه عودة الغريب

* * *

تجمعوا فى بيته تعالى وافترقوا فى جمعهم أحوالا
وهل نسوا فى أرضه النضالا فيحتويهم بيته أمثالا

على اختلاف السَّمت والنصيب ؟

* * *

---

(١) السفتجة : هى ورقة التحويل المالى . (٢) الخلاق : الخير الوافر .

لعلهم صلوا له ارتجالا فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا صب على رءوسهم وبالا

وألحق المخطئ بالمصيب

* * *

الدينار (*)
فى طريقه المرسوم

لما بدا الدينار من باب الخزانة فى السماء
نادى الموكَّل ثم بالأ رزاق : أين ترى الثواء ؟
قال انطلق فى الخافقـ ـين إلى فتى جم الشقاء
قد بات ممنوع الغذا ء وراح مقطوع الكساء
فاذهب إليه ومنّه بعض السعادة والرجاء

* * *

فأجابه الدينار وهـ ـو يكاد يجهش بالبكاء
أنا لست أعرفه فدعـ ـنى استطيب هنا البقاء
سيطول بحثى عنه فى وادى الخمول ، ولا لقاء

* * *

قال الموكَّل ثم بالأر زاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقـ ـيرَ ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامـ ـض كما تشاء لمن تشاء

* * *

فاستقبل الدينارُ وجهـ ـته وهمّ بلا وناء
ومضى إلى حيث المعا لم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوا بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحا م كالطريق على اهتداء

(*) الدينار فى طريقه المرسوم : عابر سبيل .

نداء طفل(*)

أرسلت إلى عروسين :

سـرى إلى الآذان	فى غفوة الوسنان
نداء طفل جرىء	مستعجل لهفان
عجبت منه صغيرا	يقول طلق اللسان :
«أبى كريم وأمى	كريمة فى الحسان
كلاهما فى رواء	من الصبا وازديان
كلاهما ذو فؤاد	مجمَّل بالحنان
كلاهما يتمنى	بين الصغار مكانى
فلى أحق رجاء	فى عالم الإنسان
وفى ولادة يمن	تزف بالمهرجان
وفى احتفال ختان	وفى احتفال قران
وفى احتفال نجاح	ويجوز كل امتحان
هيا ادعوانى سريعا	إليكما واهديانى
وقربا لى ضياء الشمو	س والأكوان

* * *

قالوا : انتظر ! قال لا لا	هيهات لست بوان
قالوا تعقل قليلا	يا أعقل الفتيان
فكل شىء لدينا	موكلٌ بأوان
أتحسب العيش رهنا	بما قضى الأبوان
فصاح صيحة سخط	وقال فى عنفوان
مالى أنا ؟ أنا مالى ؟	هيا ادعوانى ادعوانى
أتأبيان لقائى	ما أنتما منصفان

* * *

(*) نداء طفل : عابر سبيل .

لا تعــــذلوه إذا مـــا أطال فى الهـــذيان
فــالطفل غـيــر صــبــور على الحــجى والبــيــان
والطفل هيــهــات يدرى يومــــا بحكم الزمـــان
فـــاســتــمــهــلاه برفق وحــيلة وافــتــنان
ولا تطيــــلا عليــــه فى الغــيب عــد الثــوانى
فكلنا نتـــــرجى قــدومــه فى أمـــان

* * *

جواب جميل(*)

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيهــا النوام ويحكم هبــو أســائلكم هل يقــتل الرجل الحب

وأجيبَ بلسان أحد النوام :

بــربك دعنا راقـــدين فلو درى بنا الحب لم يرقــد لنا أبدًا جنب
وسل راقدى الأجداث عنهم فإنهم مجيبوك عن علم بمن قتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيهــا الأمــوات ويحكم هبــوا أسائلكم هل يقـتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مــزعجَ الموتى فلو كنت قــادرًا على أن تهب اليوم من صرعة هبوا
ولستَ إلى أن يُسمع الصور سامعًا هنا سر مـقـتـول يبـوح به صب !

(*) جواب جميل : أعاصير مغرب .

جنة الخيام(*)

رغيف خبز ووجهٌ حلو ، وكأس مدام
وتلك جنة عدن في مذاهب الخيّام(1)

* * *

قالوا : ونُودِيَ يوما : ما تشتهي في يديكا
دع مطلبًا منه فردا والباقيان لديكا

* * *

فحار بين رغيفٍ إنْ فاته مات جوعا
وبين وجهٍ منيرٍ إن غاب غابت جميعًا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداعُ مناهاً أفاق وهو غبين

* * *

طال التردّد فيها فمال عنها كظيما :
سألت جنةَ خلد وما سألت جحيما

* * *

قالوا : فناداه صوتٌ يقول في غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فَرط صدق

* * *

«أتلك جنة خلد تهذي بها يا حكيم
بمطلبٍ إن عداهاً ترتدّ وهي جحيم ؟»

* * *

(*) جنة الخيام : أعاصير مغرب .

(1) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسي وله رباعية بهذا المعنى .

مادى يعلل الربيع (*)

رفيق أول : إن الربيـــع جـــميـل
رفيق ثان : صــه ! ذاك قولٌ دخـــيلُ

ألــست تـعـلـم أن الـر بيع شـــيىء ثقـــيل
وأنـــه مـــن صـــنـيـعٍ للغش فـــيـــه أصـــولُ

رفيق أول : مــن غــشه يا صـــديقى ؟
رفيق ثان : حـــقا لأنــت جـــهول

قــد غـشــه الأغنيـاء المـ ـســـتـــأثرون القليـل
أليس فـــيـــه مـــتـــاع لــهـم وظـل ظـلـيـل ؟

رفيق أول : لكنْ بعــيــشك قل لى وذاك منى فـــضـــول
بـأى بـرهانِ صـــدقٍ وأى شـــــرح يـطـول
قــد أقنعـوا الأرض حتى باتت إليـــهم تميل ؟

رفيق ثان : حــقــا لأنت عــجـيبٌ فــيــمـــا أراك تقــول !
بـرشـــوة دفنتـــهـــا فى جــوفـــهـا يا زمــيل
ألا ترى التـبـر فـيـهـا منهـــا إلـيـــهـا يؤول ؟
فـافـهـم إذن يا صـديقى فـــقـــد أتاك الـدلـيل
وأيـدتـه شـــهـــود وأكـــدتـه عـــقـــول
الأرض والـشـــمـس والنا س والـدعـــاة الـعـــدول
لـهـم ضـــمـــائـر ســوء مـــرضـى ، وطبع وبيل
بذاك «مـــاركس» أفـــتـى ونـقـضـه مـسـتـحـيـل !

(*) مادى يعلل الربيع : عابر سبيل .

عيد ميلاد فى الجحيم(*)

(دخل شقى الجحيم فحسبوه مولودًا جديدًا فى ذلك العالم القديم . ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده :)

صُـفّـوا الموائد وامـلأوا الأكـوابا — وادعوا الصحاب ، وبشروا الأحبابا
قـولوا مـضى عـامٌ ليـوم هبـوطه — هذا الجـحـيم ، فـقـرّ فـيـه وطابا
وبلا المقـامَ فـراح يحـمـد شـرَّ مـا — فـيـه ، وآدب باسـمـه إيدابا
هذا الجـحـيم أحبُّ لى من عـالم — مـا كـان لى إلا رجـاءً خـابا
الشـر ثمـة كـان شرا كـاسمـه — والخيـر كـان كـمـا علمت سـرابا
يشـقى بنوه ليـعـمروه ويجـشـموا — فـيـه الشـقـاء ليـرجـعـوه خـرابا
لا يعـرفـون الحق إن سـمـعـوا به — إلا ليلقـوا فى الحـقـوق عـذابا
أهونْ بصـاب فى الجـحـيم أذوقـه — قـد كـان ثمـة كلُّ شىء صـابا
صـابًا إذا ارتوت الشـفـاه شـربتـه — بالنـاظرين ، وسـاء ذاك شـرابا
ولربَّ وجـه يومـذاك شـهـدته — فكأن سـمًا فى العـيـون انسـابا
وجـه اللئـيم إذا اسـتـهلْ ومـثله — وجـه الكريم إذا اضـمـحـل وذابا
ورضى الظلوم وحـيـرة المظلوم فى — بـلـواه يـطـرق كـل يـوم بـابـا

* * *

يا صـحب حـيـوا النار فى ويلاتهـا — واحـثـوا على ذاك التـراب ترابا
مـا كـان فى حُسنٍ هناك فـجـهـده — أن يخـدع الأبصـار والألبـابا
أو كـان من فـضل هناك فـحـسـبـه — أن يملأ الدنيـا عليك صـعـابا
ياصـحب هاتوا من عـلاقـمـهـا لنا — وادعـوا الأحبـة واشـربوا الأنخـابا
من عاش عاما فى الجحيم فلا اشتهى — أبدًا إلى ذاك الجـوار مـآبا

(*) عيد ميلاد فى الجحيم : وحى الأربعين .

ترجمة شيطان

ترجمة شيطان[*]

(نظمت هذه القصيدة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وهى تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق . وإن شيطانا يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير . لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى فى هذه التجربة ، ولكن الشيطان الذى يزيف الحق بيديه ، ثم يكفر بالشر يخبط فى حياة ليس لها معنى على الحالين ، ويمضى غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين ، وغير مكترث لهم ولا لنفسه فى هداية ولا ضلالة) .

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم	غسقَ الظلماء فى قاع سقر
ورمى الأرض به رمْى الرجيم	عبرة . فاسمع أعاجيب العبر

* * *

خلقة شاء لها اللّه الكنود	وأبى منها وفاءَ الشاكر
قدرَ السوء لها قبل الوجود	وتعالى من عليم قادر

* * *

قال كونى محنة للأبرياء	فأطاعت ، يا لها من فاجرة !
ولو استطاعت خلافا للقضاء	لاستحقت منه لعن الآخرة

* * *

سُنةُ للّه فاقفوا إثرها	عصبة السواس وامضوا راشدين
علّم الأقيالَ قدمًا سرها	فأقاموا دينه فى العالمين[1]

* * *

(*) ترجمة شيطان : الجزء الثالث .

(1) إشارة إلى كلف أكثر الملوك ببناء المعابد تعزيزا لقوتهم بقوة العقائد .

سنة اللّه ومـــا أوســـعــــهــــا ... رحـــمـــة منه بجـــبـــارى الأمم
ويحــــهم ! لو لم يكن أبدعـــهــــا ... كـــيف يدرون بأســـرار النقم ؟؟[1]

❊ ❊ ❊

فله الحـــمـــد على مـــا فـــقـــهـــوا ... من دهاء الملك والكيـــد الحـــذر
فـــإذا رامـــوا نكالا شـــبـــهـــوا ... من أرادوه بشـــيـــطان قـــذر

❊ ❊ ❊

قـــال : كـــونى مـــحنة للأبرياء ... واخـــسـأى أيتـهـا النفس العـقـيم
أيهـا الشـيطان اضلل من تشـاء ... ســـوف تأويك وتأويه الجـــحـــيم

❊ ❊ ❊

فـهـوى الشـيطان صـفـر الراحـتين ... خـــاوىَ الزاد ويا بئس الســـفـــر
أين يمضى ؟ أين أفق الأرض أين ؟ ... فـــرحـــاب الكون مـــلأى بالأكـــر

❊ ❊ ❊

بيـــد أن الشـــر مـــا زال أريبـــا ... وســـبـــيل الغى ممهـــود الجناب
لن تراه حـــيث تلقـــاه غـــريبـــا ... أبد الدهر ولا نزر الصـــحـــاب

❊ ❊ ❊

هبط الشـــيطان فى وادى القـــرود ... أوْهمُ الزنج كـــمـــا قـــد خُلقـــوا
أمـــة من صنعـــة الخـــلائق ســـود ... أخطأوا الصـــبـغـــة أو قـــد حـرقـوا

❊ ❊ ❊

أرضـــــهم أنجب من أبنائهـــــا ... وحـــصـــاد الزرع فـــيـــهـــا دائم
لا ينام الظل فى أرجـــائهـــا ... وهُم ظلٌ عليـــهـــا قـــائم

❊ ❊ ❊

واســـتـــوى بين رباها والحـــوافى ... فـإذا السـمت بهـا سـمت السبـاع
سـيـد القوم كـسِيد[2] القـفـر حـاف ... وهمـــا بعـــد ســـواء فى المتـــاع

❊ ❊ ❊

(١) أى أن الأقيال إذا أرادوا أحد أتباعهم بنقمة أخرجوه حتى يزل أو تمحلوا له العلة ليأخذوه بها .
(٢) السيد بكسر السين هو الذئب .

وإذا الكعبة فى الأرض الشّرى ورسول العلم ضاريها الشروط
بين قنص أو هراش أو كرى يذهب التاريخ فيها ويعود[1]

* * *

ولقد همّ وما أعجله يسأل الإنس بها لو يفقهون
أو ينادى الوحش لو أصغى له ألكم فى القوم صهر وبنون ؟؟[2]

* * *

سخر الشيطان من قسمته ومن الأرض وما فوق السماء
ومضى يهجس فى محنته : «ألهذا تُستذَل الكبرياء ؟»

* * *

أن يكن أغوائىَ الزنج لزاما فمن العُجم الضوارى عجبى
ماله يأنف إن يغْوىَ حامًا ذلك الغوى ذوات الذنب[3]

* * *

ومشى ينغم فى غير طربْ نغم الغبطة باليوم العبوس
نغما يرصد من خلف الحقب يومَ تندك على الأرض الشموس

* * *

لا نطيل القول فالخطب يسير وحياة الإنس والجن هدرْ
خرج الشيطان فى الأرض يسير ومن اللّه إلى اللّه الصدَرْ

* * *

لمحة جازت به مشرقها ثم ردته حيال المغرب
ويشاء الله أن يوبقها فاشتهاها شهوة المغتصب

* * *

وارتضى منها مقامًا رغَدا حول بحر الروم أو بحر العجمْ
يتلهّى فى مغانيها سدى أو لأمر خفيت فيه الحكمْ

---

(١) الشرى مأسدة أو مسبعة المعنى أن آداب المعيشة والأزياء فى ذلك الوادى الذى نزل به الشيطان من مجاهل إفريقية هى آداب السباع وأزياؤها فأقدس مكان هناك هو أوجرة الوحش ومكامنها وكل ما يعرفه أهلها من العلم هو ما يصدر من شهوات الحيوانات وحركاتها من عفو الطبيعة فكأنما هى القائمة هنالك برسالة العلم وفريضة المعرفة .

(٢) هم الشيطان المتهم أن يسأل الوحش أى قرابة لكم بأهل ذلك الوادى لأنه رآهم جميعا متشابهين .

(٣) يقول الشيطان : إذا كانت الضوارى لا تحتاج إلى من يغويها فما حاجة أبناء حام إلى شيطان لإغوائهم .

ورمى أول فخ فأصابا ... ودعاه الحق واستلقى فنام
وأناب الحق عنه فاستجابا ... فإذا الحق لجاج واختصام[1]

* * *

وإذا الحق طلاء الخبثاء ، ... رسن الواهن ، سيف المعتدى ،
ضلة الجهال ، لغز الحكماء ، ... ذلة العبد ، غُرام السيد

* * *

وإذا الحق طعام ووكون ... وإذا الحق بريق الذهبِ
لو يموت الناس أو لو يشبعون ... ذهب الحق ذهاب السغبِ

* * *

يا لها من لفظة زوّقها ... آض فرضًا بعدها الفعل الذميم
ويحه ! فى نأمة أطلقها ... غلب النحسُ ولم يُغن النعيم

* * *

نام لما صنع الحق وأغضى ... ولو اختار لأغضى أبدا
غير أن الشر لا يألف غمضا ... ربحت صفقته أو قد فقدا

* * *

فأطارت سنةً فى هدبه ... بهجة الزرع الذى كان بذر[2]
كان أن يشكر نعمى ربه ... لو يسيغ الشكر شيطان كفر !

* * *

وتمادى بعدُ فى شرّته ... كلما أنبت زرعا ينعا
فرأى الشوكة فى دولته ... وجنى الوفرة مما زرعا

* * *

ألفُ جيل بعد ألف غيرت ... صاحبَ الأباءَ فيها والبنين
ورأى منها فنونًا ورأت ... منه فى صحبته أى فنون

* * *

---

(١) معنى هذا أن الشيطان صنع للناس شيئا دعاه الحق فكان علة خصامهم وإنقسامهم فأغناه عن السعاية بينهم وأغوائهم بالمنكرات وفى الأبيات التالية وصف ذلك الحق الذى صنعه الشيطان .

(٢) المقصود بالزرع هو ذلك الحق المصنوع .

أتلفـــتــه مــثلمــا أتلفــهـــا   عــجـبًـا ! لا بل عــلام العــجب ؟
أترى الشــيطان يدرى ضــعــفــهـا   وهــو مــن ذاك بــرىء أجـنــب ؟[1]

* * *

فــاشــتى الخــمـر ورنات المثــانى   وأحب الغــيــد عــذرىٌّ الهــوى !
لعــبًــا ينهل آنًا بعـــد آن   نُهَـــلا منهن ينعــشن القــوى

* * *

لا نطيل القـــول فـــالقـــول هذرْ   وحـــيـــاة الإنس والجن هبـــاءْ
إن يدمْ لـلناس سلطان الـقـــدرْ   فـعليـهم بل على الكون العـفـاءْ !

* * *

أنف الشـــيْطان من فـــتنتـــه   أنما يأنف من إهلاكـــهـــا
ورأى الـفـــاجـــر من زمـــرته   كـعــفــيف الذيل من نُســاكــهـا

* * *

مــا له يفـــســد خلقًــا عــدمــوا   آية الرشـــد ، وهبـــهم رشـــدوا
وعـــلام السلب مما غنمـــوا   وهُمُ لو غنمـــوا لم يُحـــســدوا

* * *

كلهم طالبُ قـــوت ، والثـــرى   ذل قـــوم أو تعـــالوا ، مــخــصب
وقـــصـــارى الأمـــر فى هذا الورى   راسبٌ يطـفـــــو وطافٍ يرسب

* * *

مــذ رأى الشــيطان عــقـبى شره   كــفــر المسكين بالشــر العــقـيم
وأراها بـدعـــة من كـــفـــره   دونهـا الكفـران بالخيـر العـمـيم[2]

* * *

يا إلـه الكـون يا خـــيـــر إله   أين من قـــدرك أصنام القـــدم
من كـــربّ الكون لا بل من ســـواه   عـــــادلٌ فى الخلق بر بـالأمم

* * *

أنتَ يا رب لطيف فى القـــضـــاء   فــاصــعق اللهم من يجـحـد لطفك
قــسـمًـا باســمك يا رب الســمــاء   مــا رأى فى الناس من يدرك وصـفك

---

(١) لا عجب فى أن يكون الشيطان عرضة للتلف فإنه لما كان يداخل الناس من جهات الضعف فى نفوسهم فلابد أن يكون فى نفسه شبيه تلك المواطن الضعيفة وإلا لما عرفها .
(٢) أى أن كفر الشيطان بالشر إنما هو ضرب من الكفر أسوأ من الكفر بالخير لأنه يرى الخير أهون من أن يستحق العناية بإزالته ورصد المكائد له ، فالراشد والغاوى عنده سيان .

يكفر الشيطان بالشر العقام ... فتعد الكفر منه ندمًا
وتنجيه إلى دار السلام ... وقديمًا قلت لا يغشى الحمى[1]

* * *

فضلك اللهم من غير حساب ... وكذا اللهم آلاء[2] العليم
فاعجبوا من نعمة الله العجاب ... وانظروا كيف تلقاها الرجيم

* * *

نزل الشيطان من جنته ... منزلا يرضى به الفن الجميل
ومشى فاختار فى مشيته ... هضبةً عند مصب السلسبيل

* * *

هضبة فيها نخيلٌ وثمر ... وبراكين خبا منها الضرام !
وحلاها دون أنماط الصوَر ... قالب الحسن كما شاء التمام[3]

* * *

قالب الصنع الذى ينقل عنه ... كلُّ ذى فن أعاجيبَ الفنون
شركٌ لا تفلت الألباب منه ... حفظته روضةٌ تسبى العيون

* * *

كملت زينتها من كل فن ... وكساها الزهو ولدان وحور
وعلى أحواضها الطير تغنى ... يا كريمُ ، ياحليمُ ، يا غفور

* * *

وحواليها على رحب المدى ... زُمَر الأملاك من خلف زمر
كلما راح عليها أو غدا ... شيّعته بنشيد مبتكر

* * *

ونُفيض الوصف لولا أننا ... نصف الدار لكم يا داخليها[4]
فاصبروا فالصبر مفتاح المنى ... واسمعوا كيف غوى الشيطان فيها

---

(١) يؤخذ من هذا البيت إن هذا الشيطان لما كفر بالشر نقله الله إلى دار السلام أى النعيم وعد ذلك الكفر منه ندما لعله يكون سبيل الهداية والإيمان من جهة أخرى .

(٢) الأفضال .

(٣) للجمال مثل أعلى ينقل الشعراء أخيلتهم والمصورون صورهم فتلك البقعة التى اختارها الشيطان من دار النعيم كانت مزدانة بقالب المثل الأعلى نفسه لا بالصور والأخيلة المنقولة عنه كما هو الشأن فى قصور الدنيا وبقاعها .

(٤) لا حاجة إلى الإطالة فى الوصف فإننا نرجو أن يكون القارئ من أهل الجنة فيراها بعينه .

أزفت ســاعــتـــه ذات شـــتـــاء أو على قـــول مـــضت حين مـــضى
وإذا حـــدثتْ فى أمـــر الـســمـــاء فـــاترك التـــاريخ سطرًا أبيـــضـــا

* * *

وقُـــبـيل الصـــبح أو نحـــو الأصـيل عند باب القـــدس أو باب الحـــرم !
ركب الشـــيطان فـوق السلسبـيل مـــركـبًـــا يزجـيـــه سلســال النغم

* * *

وفـــشت حـــوليـــه أرواح الســـلام كـلُّ زهـر باعثٌ مـنـه شــــــــذاه
ســـاريات مـــثلمـــا تســـرى المدام أو كـــمـــا رقّت على الخـد الشـفـاه

* * *

وهو مـــــا بين وصـــــيف وملكْ فى رواق من رضى لو كـــان يرضى
ســبّـــحـــوا اللّه وقـــالوا الملك لكْ وهو يزداد على التـسـبـيح قـبـضـا

* * *

نظرت صـحـبتُـه الوجـهَ العـبوس فـرأوا فى الخلد شـيـئًـا عـجـبـا
مـــا رأوا من قـــبل مـــا لون النحـوس لا ولا يـــدرون إلا الـــطـــربـــا

* * *

والتـــقت أعـــينهم فـــابتـــســـمـــوا كـــابتـــســام الطفل فى مـهـد الرخـاء
وتمادى الأمـــر حـــتى ســئـــمـــوا فـــتـــمـــشت فى الخليط الثـؤباء

* * *

قـــال أدناهم إلى مـــجلســـه وهـو لا يـعـلـم أنْ قـــــد أغـلـظـا
مـــا لمولاى أرى فى نفـــســـه بعضَ مـــا خُـبِّـرت عن وادى اللظى

* * *

أترى الـويـل إذن والـشـــجـنـا فـــتـــرةٌ تُطبقُ أهدابَ الرقـــود[1]
أكــــذا الوادى الذى قـــيل لنا فى صـبـانا أنه مـرعى الجـحـود ؟

* * *

فـــانثنى العـــابس وقـــادَ الجـبين صـارخًـا صـرخـة مـقـضىِّ الهلاك :
أى واد ؟؟ قـــال وادى الكافـــرين ، قـــال دع هذا فـــمـــا أنت وذاك

---

(١) سئم الملائكة منظر انقباض الشيطان فناموا كما ينام الأطفال إذا غلبت عليهم السآمة ولهذا يتساءل الملائكة لطهارة قلوبهم : هل الويل والشجن الذى يصيب أهل جهنم هو هذه الفترة التى تجلب النعاس للعيون .

قل لنا كـيف ترانا ها هنا ؟ قـال : مـاذا ؟؟ إننا لَلْفَـائزون
قـال لكنى أرانا كلنا وأراكم قـبلُ أشـقى مـا يكون

أيهـا القـارئ وُقّـيتَ العـثـار وبلغت الخلد مـوفـور القـدم
هل شـهدت الجيش فى هول الفرار أو رأيت الطيـر راعـتـهـا الديَم[1]

إن تكن لم ترها فـارصـد لهـا تدر مـا فـزعـة أمـلاك السـمـاء
فـزعـةٌ للّه مـا أجـملهـا صانهـا الرحـمن عن سفك الدماء

سـاءهم فى الخلد ألاّ يُحسـدوا وم الحـسّـاد من تطلبـه
راعـهم فى الخلد أن لا يسـعـدوا منكر السـعـد كـمن يسلبـه[2]

ولقـد علّمـهم شـيطانه علم مـا لم يعلمـوا من غـضب
مـا لهم قـد فـاتهم شكرانه أو ليس الغـيظ بالمكتـسب ؟؟

لو تراخى خطبـهم لاحـتملوا عُـدد الرجم لذاك المعـتـرك
لطف اللّه فلو قـد عـجلوا لخـلا من نجـمـه هذا الفلك[3]

منَنٌ للّه لا يحـصـرها صـيـرفىّ رُوّضت أعـداده
خـفـراتٌ لم يزل يظهـرها كلمـا هام بهـا عـبـاده

هو أوحى الوحى فى جنتـه فـسـرى فى الملأ الأعلى الصـدى
حين نادى قـرّ فى وقـفـتـه كلٌّ غـضـبـان ولبى واهتـدى

(١) الأمطار .
(٢) إذا أريت سعيدا من الناس أنه لا يستحق أن يحسد فكأنما جعلته كمن لا يتمتع بنعمة من النعم المرموقة فسلبته تلك السعادة التى أنكرتها ، وكذلك الملائكة فى النعيم ساءهم من الشيطان أن ينكر عليهم ما يعرفونه لأنفسهم من النعمة ورأوا أن إنكار السعادة وسلبها على حد سواء .
(٣) المعروف أن النجوم هى رجوم الشياطين يرجمهم بها الملائكة فلو أن أملاك النعيم اقتصوا من ذلك الشيطان برجمه لخلت الأفلاك من كواكبها لعظم جريرته عندهم .

فـــــــإذا الجـنـة أمـنٌ وسـكـون كـسكون الليل فى ضـوء القـمـر
خشعت حتى الشوادى فى الغضون وصـغـت حـتـى وريقـات الشـجـر

* * *

سـاعـةٌ ثم انجلى مـوقـفـهـا عن جـلال اللّه فـردًا فى عـلاه
غـابت الأمـلاك لا تعـرفـهـا وبدا الشـيطان مـعـروفـا تراه

* * *

وبدا الشـيطان مـعـروفـا ترى كـبـرياء الكفـر فى وقـفـتـه
عـالىَ الجـبـهـة يأبى القـهـقـرى وتـوّج الـنـار مـن نـظـرتـه

* * *

وتَنحّى كلُّ مـشـهـود فـمـا ثَـم إلا اللّـه والـطـاغـى المريـد
ويكاد الكون مـا بينهـمـا يغلب الشك عليـه فـيـبـيـد

* * *

سـاعـةٌ أخـرى وقـد حُم القـضـاء وانقـضى العـفـو وحق الغـضـبُ
سـاعـة للنحس حلت والبـلاء ومـتـى حلت فـأين المهـربُ ؟؟

* * *

حـاقت اللعنة . حـاقت كلهـا وقـضـاها المنعم المنتـقـم
وجناها وهو لا يجـهـلـهـا ذلـك الجـانـى الـذى لا يـنـدم

* * *

هاتفٌ فى الخلد لما هتـفـا نفـذ السـهم فـمن ذا الهـاتف ؟
إهو الرحـمـن ؟؟ لا وا أسـفـا بل هو الروح العـصىّ العـاصف

* * *

هو روح يحـسـد اللّه ومـا أعـجب الحـاسـد للّه الصـمـد
كلمـا أبصـره مـحـتـكمًـا أصـغـر الكون وأزرى بالأبد

* * *

هو ناع سـمـجت فى عـينه نعمُ اللّه فـأمـسى يجـتـويهـا
حـبـة يزرعـهـا فى كـونه تلكم النعمى ، فأين الجود فيها ؟؟[1]

---

(١) يجحد الشيطان جود اللّه وكرمه ويقول : إذا كان تنعم اللّه إنما هى كالحبة التى يزرعها الزارع فى أرضه فأين الجود فيها ؟؟

هو طاغ يأنف الصـــغـــو إلى ... ســـائل يســـأله عـــمـــا جنى
يحسب الصغو عقابا قد غلا ... كـــيف لو أعـــذر أولو أذعنا ؟؟[1]

* * *

فـــرمى بالهُـــجـــر لا يحـــفله ... حـــيث لا يبـــدأ خلق بالكلام
ويجـــدّ القـــولَ أو يهـــزله ... ولعـــينيـــه ومـــيضٌ وابتـــســـام

* * *

قـال : سـبحـانك يا مـولى الموالى ... وتعـــاليت ولسنا نعـــتلى !!
لا سـلامَ اليـوم يقـريه مـقـالى ... أيهـا المولى فـهل تغـفـر لى ؟؟

* * *

أيهـــا المولى ونوليك العـــزاءْ ... ويُعـزّى سـيـدٌ يفـقـد عـبـدا
فـــاقـــد العـــبـــدان أولى بالرثاء ... مِن فـــتى يألم للأرباب فـــقـــدا

* * *

أيهـــا المولى ولا تغـــضب على ... عـــبـدك العـاصى إذا لم تُرضـه
عـــبـــد ســـوء رفض الخلد فـــلا ... تَبلُ بالجـود قـصـارى رفـضـه !!

* * *

لا تعـــــالجنى بلـوم إننـى ... قـــائم عنك بلومى وانتـــقـــادى
أنا من ينصـف من يقـــرفنى ... ونَجىْ بالذم منى لا يُصـــادى[2]

* * *

لائمى أنت على كـــفـــر النعم ... وكـــذا يبـــدأ باللوم الكريم
لـيـــتنى ذاك الكفـــور المتـــهم ... إنما الكفـر أخـو الخـيـر القـديم[3]

* * *

آخـــذى أنت بقـــوم شكروا ... بعضَ مـــا قـــيـــضتَ لى من نعم
كـــذف لا يشكر قـــوم ذكـــروا ... لك بالحـــمـــد حلول النقم

* * *

(١) إن الشيطان لتجبره يرى أن إصغاءه إلى من يلومه هو العقاب أشد العقاب فكيف به لو قبل ذلك اللوم أو أذعن له ؟؟

(٢) يصف الشيطان نفسه بأنه لا يصادى أى لا يجامل فى ذم نفسه لأنه يرى أقصى الذم كالثناء .

(٣) ينكر الشيطان إنه أصاب أى خير فهو لذلك ينكر أنه كفر لأن الكفر لا يكون إلا مع الخير .

تهب العشب لآساد الشرى ... وتعد الجوع منهن كنودا

فازت الشاء فلا غرو ترى ... أنها تبلغ بالأكل الخلودا

* * *

كم عهدنا عاهلاً فى ملكه ... يحكم الناس بما لا يفقهون

يوبق السائلَ عن مسلكه ... ويبيح الأمن من لا يسألون

* * *

هكذا ملكك يا رب القضاء ... دولةٌ تحمى على الطرف النظر

حظ من يدنو من الستر الشقاء ... وسعيدٌ من لها عما استتر(١)

* * *

فاغن بالراضينَ عن أقدارها ... أنهم نعم عتاد المالكين

واجعل الفردوس من أقطارها ... حيث يرضون ، وما هم ساخطين

* * *

وإذا مارئم(٢) الضب الكدى ... فقل الكدية فردوس السماء

أو ليس الخلد يا رب الهدى ... منزلا لا يتخطاه الرجاء ؟؟(٣)

* * *

لا تعاجلنى فقد لا يتقى ... سيد الكون لسنا يكذب

أن يكن وزر ضلالى مزهقى ... آخر الأمر ، فحتفى مكثب

* * *

لا لعمرى بل هو الصدق وما ... أجمل الصدق بشيطان غوى

إنما الصدق نبات ما نما ... قط بالخير ، وقد ينمو الهوى

* * *

---

(١) يقول الشيطان أن الشقاء نصيب كل من يحاول الكشف عن حكمة الإقدار كما أن التنكيل نصيب من يحاول إزاحة الستر عن سياسة الدول الخفية .

(٢) ألِفَ .

(٣) يستصغر الشيطان الفردوس التى وهبها لأنه له رجاء فوقها ولذلك لا يسميه فردوسا ولا يعد الرضى به نهاية السعادة كما أن الضب يرضى بكديته أو جحره وليس جحره بأقصى ما ترتقى إليه الآمال .

إنما الصـــدق وبال يُفـــتـــرى — وأحق الحق مـــا يوحى الرجـــيم
أبطل البـــاطل لا يؤذى الورى — وأحق الحق يودى بالصـــميم[1]

أمـجـيـبى أنت أم عند الصدى — أبدا الدهر ســؤالى والجـــواب
أهى الراحـــة فى الخلد ســدى — ثمـر الكون جـمـيـعًـا واللبـاب ؟؟

كـيف يرضى خـــالدٌ يفـصله — أمـــدٌ بينكمـــا لا يُعـبـــر
ايعـــاف الشـــأوَ أم يجـــهله — أم يرجـــيـــه فـــلا يقـــتـــدر

عــــفـــوك اللهم لا خلد هنا — ومـــتى كـــان خلود فى قـــيـــود ؟؟
ســـيظل الخلد وســـواس المنى — وصـــدى الليـل وأحــلام الرقـــود

وســـيـــبـــقى الكون فى جـوهره — أبدًا شـيـئين مـهـمـا اقـتـربا
خـــالقٌ قـــام على عنصـــره — ومـــخـــاليق رأوه احـــتـــجـــبا

صـــانع يحـيى البـــرايا منعـــما — وبـرايا صـنعـــا منٌ وجـــود
وكـــلا هذين مـــوجـــود فـــمـــا — أبعـد البـون لعـمرى فى الوجـود !![2]

أيهـــا الفـــانون فى هذى الدنى — خلدكم يا قـــوم آجـــال تَوالى[3]
تحـــســـبـــون الخلد فى نيل المنى — قـد خُـدعـتم ! فـاشكروا اللّه تعالى

---

(١) من رأى هذا الشيطان أن الناس إذا وصلوا إلى الصدق قد تجردوا عن الأهواء ونزعات الطبائع ومطالب اللحم والدم وهذا نذير الهلاك فى عزمه .

(٢) تطمح كبرياء الشيطان إلى أعلى منزلة فيرى وراءها منزلة أعلى منها وهى منزلة الإلهية فيسخط على قسمته ويقول كيف يرضى بهذه القسمة الخالدون ؟؟ أيعافون ذلك الشأو الذى فوقهم وهو لا يعاف أو يجهلونه والجهل نقص فى مرتبة الخلود أو يطلبونه فلا ينالونه فيكونون من المحرومين ؟؟ - وفى هذه الحجة موضع ضعف لأنها تفترض التماثل التام بين حالة الخلود وحالة الفناء فى هذه الدنيا المحدودة .

(٣) المعنى أن خلود الفانين فى رأى الشيطان إنما هو آجال محدودة متعاقبة ليس إلا فكأنهم لا يزالون فانين مع خلودهم وهو إنما يريد الخلود المطلق الذى لا تحده الآجال .

قـد خُـدعـتـم فـاسـألوا الدود أمـا | يبلغ المأمـــول من شـــهـــوتـه
واغــبطوه فــهــو أرقى سلمـــا ، | أو مـــا يوغل فى حــمـــأته ؟؟

* * *

اســألوا يا قـــوم أن لا تسـألوا | وتمنوا للأمــــانى الكمــــالا
وإذا أعـــجـــزكم أن تفـــعلوا | فـاشكروا من يحرم الخلق السؤالا[1]

* * *

عــفــوك اللهم أو لا عــفــو لى | طال بى حلمك فـابعث وجلك
أنـت لا تـخـطـر لـى فـى أملـى | لا تـكـن توبة نـفـــسى أملك

* * *

وادع فى خلقك يسـجـد من رجـا | خلدَك الأعلى فـمـا نحن سـجـود
لـنكونـنَّ إذا صح الحـــجى ، | حـجـرًا صلدًا ولا هذا الوجـود

* * *

لا نطيل القـــول . أمـــا المنتـهى | فـقـريب ، وجرى مـا قـد جرى
السنى أظلم والنجم ســـهــــا | ولهـيب النار أمـسى حـجـرا

* * *

لا انتـقـامًـا حـبطت فـتنتـه | حــاشَ للّه ولا الحلم نفــد
إن تكن قـد خـمـدت جـذوته | فـمن الرحـمـة بالخلق خـمـد

* * *

حين جـارت فـتنة الغـاوى على | عـصـمـة الأمـلاك فى غـرتهـا
عـــجَل اللّه به مـــا أجَـــلا | وحـمى الدولة فى بيـضـتـهـا

* * *

قـال كن عــبـدى فلمـا أن أبى | قـال كن صـخـرًا كـمـا شئتَ فكان
لـهبٌ طار فلولا أن خـــبـــا | لتـــغـــشَّى الكونَ نار ودخـان

* * *

ولقـــد قـــال أناس شـــهـــدوا | مـصـرع الشيطان هل طبع يزول ؟؟
ناره تخـــبــو فـــلا تتـــقـــد | وهو فى الصخرة يستهوى العقول

---

(١) يقول الشيطان إذا طلبتم أمنية تستحق الطلب فلتكن أمنيتكم أن تصبحوا من الكمال بحيث لا تطلبون شيئًا ، وهذه أمنية لا يقل الله منكم أن تطلبوها فاشكروه لأنه يحرمكم السؤال .

فـــإذا أبصـــرت من صـــخـــرته ... دُمـــيـــةً ســـاحـــرة أو صنمـــا
فـــابتـــعـــد منه ومن رقـــيـــتـــه ... واتق اللّه وحـــوقل نـدمـــا

وتعـــجَّـــبْ من شـــواظ[1] رده ... طارقُ اليـــأس صـــفـــاة جلمـــدا
وتدبَّر كـــيـــف أبقى كـــيـــده ... ومـــحى روحًـــا وأفنى جـــســـدا

ولقـــد أســـمع فـــيـــمـــا زعـــمـــوا ... نبـــأً من نحـــو إبليس أتى
قـــال لا تأســـوا ولا تنتـــقـــمـــوا ... مـــعـــشـــر الجن فـــمـــا برّ الفـــتى

مـــا أرى هذا الفـــتـــى من دمنا ... ومتى استـغـوى الشـيـاطين الشـرك ؟
أترى شـــيـــطانـه من قـــومنا ... أغـــوت الأمـــلاك فـــهـــو ابن ملك !

ذاك أو كـــيـــف أطاشت فـــمـــه ... غـــيـــرةٌ منه على القـــول الصـــراح
أكـــبـــا الثـــرثار أم أســـقـــمـــه ... أرجُ الجنـة أم مـل الكـفـــاح ؟؟)

فتـلاحَى القـوم[2] ثم اسـتـضـحـكوا ... ودعـــا مـــازحـــهم شـــر دعـــاء
قـــال فلتـــسلكه فـــيـــمن سلكوا ... أيهـــا المولى ســـبـــيل الشـــهـــداء !

وتقـــضتْ بينهم ســـيـــرته ... ومـــضى كـــالطيف أو رجع الصـــدى
باءَ بالســـخط فـــلا شـــيـــعـــتـــه ... رضـــيـــت عنه ولا أرضى العـــدى

وكـذا العـهـد بمشـبـوب[3] القلى[4] ... عـــارم[5] الفطنة جـــيـــاش الفـــؤاد
أبدًا يـهـــتـــف بالقـــول فـــلا ... يعـــجب الغىّ ولا يرضى الرشـــاد

---

(١) شواظ النار اللهيب . (٢) تلاحى القوم : أى تنازعوا .
(٣) المشبوب المتقد .
(٤) القلى : الكراهية .
(٥) العارم الذى اشتد وجاوز حده .



قوميات

هيكل إدفو(*)

. . . .

يا دار بطليموس حسبك رفعةً ... وصيانة بين البِنَى وجمالا بالشامخات

حرصُ الزمان عليك وهو موكّل ... يحيلها أطلالا

أبقاك فى فك الزمان مصونةً ... جيلان يبنيك الملوك وِصالا[1]

لم يبصروا بك موضعًا لزيادة ... إلا استزادوه علاً وكَمالا

غدروا ذوى القربى ودكوا دورهم ... وتلاحقوا عمًّا إليك وخالا

واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا ... بين العباد ثوابًا ونزالا !

وضعوك أم رفعوك لما صوروا ... فيك السلاح أسنة ونبالا !

وتقحّموا الحرم الجليل أم ابتغوا ... زلفى لديه وقوة ونوالا ؟

ضلَّ الذين تطاولوا فتوهموا ... أن الأوائل دونهم أفعالا

حسبوا المعابد أرضَها وسماءها ... كونين من حكم الطبيعة حالا[2]

هبطتْ من الملأ العلىّ فأصبحت ... فيها الذئاب الضاريات سخالا

ننسى العداوة والصداقة والهوى ... فيها وننسى الخوف والآمالا

كذبوا فما تغنى الأنام عبادةً ... تذر القلوب فوارغا أغفالا

لا ربَّ إلا من يمالئ شعبه ... عند الكريهة إن جفا أو مالا

لا تعبدنَّ إذا أردت سيادةً ... ربًّا يُعين الصيد والأنذالا

واعبد إلهًا يصطفيك بعونه ... ويذيق خصمك ذلةً ونكالا[3]

من ظنَّ أن ولاته كعداته ... عند الإله . فكيف يسعد حالا ؟؟

***

الناس يغتال القوىّ ضعيفهم ... والدهر يغتال الفتى المغتالا

قهار كل القاهرين تقاصرت ... عند مكائد من طغى واحتالا

(*) هيكل إدفوا : جزء ثانى .

(١) وصالا : أى متواصلين .

(٢) حال : أى اختلفت .

(٣) هو الإله العادل الذى يعين الأخيار ولا يسوى بينهم وبين الأشرار .

ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم ... أسفًا وما نقص الثرى مثقالا

مَلكَ الفراعنة الحماة وخلّفوا ... للملك أعلامًا بمصر طوالا

وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم ... عبروا بمدرجة الزمان رمالا

ومضى البطالسة الكماة وهذه ... مصر يزيد شبابها إقبالا

تتقوض الأوطان وهى كدأبها ... من عهد نوح تربة ورجالا

عهدٌ على اللّه القدير وذمة ... ألا تضيم لها الكوارث آلا

فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا ... قسط البنين معارفًا وخصالا

إنا لنرجوها ونوقن أنه ... ما كان يومًا لا يكون محالا

وستستقل فلا تقولوا إنها ... صمد الهوان بها فلا استقلالا

* * *

تمثال رمسيس(*)(١)

رمسيسُ أين جنودك البُسَلاء ... ومواكبٌ لك فى البلاد وُضاء

وبشائر بك كلما طال المدى ... وتقدمتْ بإيابك الأنباء

والجيش حولك كالغمائم فوقهم ... للمُلْك والفتح المبين لواء

متهللين غداةَ أطفأ شوقهم ... نيلٌ أتوه وهم إليك ظماء

فنىَ الجنود فهمْ عِثيرٌ(٢) ... سافٍ وأنت جلامدٌ صماء

مُتخيَّرَ الصحراء دار إقامة ... إن الليوث ديارُها الصحراء

وتكنّفتك(٣) من الخلود مسافةٌ ... لا يستبيح ذمارها الأحياء

. . . .

رمسيس أيةُ صخرةٍ بين الصفا(٤) ... قد شرّفتها هذه السيماء

رجحتْ بها التبر السبيك نفاسة ... ما التبر والذكر المقيم سواء

حفظت سماتك بيننا وتطلعت ... تبغى علاك فعازها الأجواء

وشكت مواقفة الزمان ولم يكن ... يعروك أنت بموقفٍ إعياء

(*) تمثال رمسيس : جزء ثانى .

(١) لرمسيس الثانى : أكبر فراعنة مصر تمثال ضخم على مقربة من البدرشين وهو التمثال الذى كانت الحكومة قد عزمت على نقله إلى القاهرة ونصبه فى ميدان باب الحديد .

(٢) العثير : التراب الثائر . (٣) وتكنفتك : أحاطت بك . (٤) الصفا : الحجارة .

إلى متطوعى مشروع القرش (*)

. . . .

يا فـتـيـة القـرش وروّاده ... على سواء المنهج الواضح

خذوا هبات الجود حتى إذا ... فرغتم من فيضها النافح

طوفوا على الدور ولا تتركوا ... بابا قد استعصى على فاتح

وحاصروا الراكب فى ركبه ... واسطوا على السانح والبارح

وراقبوا الجو ولا تتقوا ... غوصًا وراء الغائص السابح

وعلّموا من ضن بالقرش أن ... يخجل من عدوانه الفاضح

فمن أبى قرشًا على أمة ... فذاك كالجانى وكالجارح

* * *

عيد الاستقلال السورى (*)

(ألقيت هذه القصيدة فى احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال فى سنة ١٩٣٠) .

ربعَ الشآم أعامرٌ أم خال ... اليوم عيدك عيد الاستقلال

إنى لأرجع بالسؤال أطيله ... لو يملك الشهداءُ رجع سؤالى

سكتوا وأقفرت المنازل منهمُ ... إلا منازل من صُوى(١) ورمال

بوركت من وطنٍ يُجلُّ شهيده ... فى حيثما ألقى عصا الترحالِ

وطنٍ تضيقُ الأرض عن أبنائه ... وإليه مَوْئلهم مع الآمال

يستبدلون الخافقين ببضعة ... منه ، وما قنعوا بالاستبدال

ذهبوا بأفئدة تفرّق شملُها ... شيعًا ، وما فيهم فؤادٌ سال

* * *

(*) إلى متطوعى مشروع القرش : عابر سبيل .

(*) عيد الاستقلال السورى : وحى الأربعين .

(١) الصوى : القبور والحجارة التى تتخذ دليلا على الطريق .

يرتاد راحلُهم وخلف ركابه ... حُلُمٌ يبيت به مع الحُلاّل
يصحوا على «الشاغور» من لبنانه ... وينام من «بَرَدَى» على السلسال
وتهزه من «عشتروت»[1] خميلةٌ ... تلتفُّ بين جداول ودوال
وتليه من وادى العرائش نسمةٌ ... سكرى الضُّحى رفّافة الآصال
أنّى استقرّ وحيث سار هفا به ... همسٌ من الجبل الأشمّ العالى
أين السلوّ ؟ ولا سلو لعابرٍ ... فيه ، فكيف بمولد وفصال
هذى مواطنكم وتلك قلوبكم ... وشُجِتْ[2] على الأهواء والأهوال
ما فى المدامع من شعار كنيسةٍ ... يوم الحنين ، ولا شعار هلال
فيمَ اختلافُ مصفَّدين تضمهم ... - قبل الوفاء - سلاسلُ الأغلال
أمنازعون على السماء وأرضُكم ... نهبٌ لكل منازع ومُوال ؟
كونوا - ولا نصحٌ لجيل نبوة - ... فى العالمين هدايةَ الأجيال
من بعلبكَّ خذوا المثال لرأيكم ... يوم الخلاف ، وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمدٍ ... أثرٌ وللوثن القديم البالى

* * *

أنتم بنو ماض على أحزانه ... نعْمَ البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل ... ومن التجارب حكمة الأمثال

* * *

النشيد القومى(*)

قد رفعنا العلمْ ... للعلا والفدى
فى ضمان السماء

* * *

حىّ أرض الهرم ... حىّ مهد الهدى
حىّ أم البقاء

* * *

---

(١) عشتروت : هى قرية شتورة الحديثة فما يقال .

(٢) وشجت : اشتبكت .

(*) النشيد القومى : عابر سبيل .

كـم بـنـت لـلـبـنـين مـصـر أم البناة

من عـريق الجـدود

❊ ❊ ❊

أمـة الخـالـدين من يهـبـهـا الحـيـاة

وهبـتـه الخلود

❊ ❊ ❊

تحت أصـفى سـمـاء فـوق أغنى صـعـيـد

شـعب مـصـر مـقـيم

❊ ❊ ❊

قـد حـوى مـا يشـاء من زمـان مـجـيـد

ومـكـان كـريم

❊ ❊ ❊

نيلنا خـيـر مـاء كـوثرٌ من نـعـيـم

فـاض بالسلسبيل

❊ ❊ ❊

فى العـروق الدمـاء شـعلة من حـمـيم

للعـدو الدخـيل

❊ ❊ ❊

إن يكـن أمـسنا فـى حـمى الأولـين

فلنعش للغـد

❊ ❊ ❊

لا ترى شـمـسنا غـيـر فـتح مـبين

مـا يـدمْ يـزدد

❊ ❊ ❊

فـارخـصى يا نفـوس كـل غـال يـهـون

كـل شـىء حـسـن

❊ ❊ ❊

إن رفـعـنا الـرؤس فـليكـن مـا يـكـون

ولـتـعش يا وطن

❊ ❊ ❊

يوم الجهاد(*)

أجل هو يوم الفـــدى والذمْ ... ويوم الجـــهـــاد ، ويوم القـــسَمْ
ويوم الذين دعَـــوا أمـــةً ... ونادوا بدعـــوتهـــا فى الأمم
ويومٌ لـه غـــــده المرتجى ... ويومٌ له ســـرّه فى القـــدم
هنا حـــرمٌ فى جـــوار الزمـا ... ن فحيوا الزمان وحيوا الحرم
هنا فليـــقم عـــهـده من أقـا ... م ، ويعـــزمْ على أمـــره من عـــزم
ويستـــقـبل الهـول من راضـه ... ويرتد من خـــافـه فـانهـزم
تعـز الصـفـوف بنبـذ الجـبـا ... ن كـعـزتهـا بشـجـاع هجم
وتُحمى الحـقـوق بدفع الضـعـيـ ... ـف كدفعك عن حوضها من ظلم
فليـست تصـان الحـقـوق التى ... حمى جانبيها ضعاف الهمم
وهيـــهـــات تعلو لنا شـوكـة ... بشكوى الذليل ، ونجوى السأم
إذا كـــرمتْ أمـــة لم تكن ... كـرامـتـهـا من هبات الكرم
إذا استـرحـمت أمة خـصـمـهـا ... فـلا رحـمـتـهـا عـوادى النقم

❋ ❋ ❋

. . . .

كـفى لعـبـا أيهـا الهـازلو ... ن ، فـقـد مـلأ الخطب مصـرًا وطمْ
لئن أسـأمـتـكم كـبـار الأمـو ... ر لقـد أسـأتنا صـغـار اللمم
وقـد أسـأمـتـنا رعـاة تسـا ... ق ، فـأين الرعـاة وأين الغنم ؟
أأصنام باغين تبـغـونهـا ... وأنتم تذلون ذل الخـــدم ؟

❋ ❋ ❋

أأطلب حـرية للعـبـيـد ... وألقى بحـريتى عن رغم ؟!
فـمـاذا أقـول لهـذا الجـبين ... ومـا عـابه عـائب أو وصم
ومـاذا أقـول لهـذى اليـمـ ... ـين . وإنى بها قـد صنعت الصنم
مـعـاذ الفـتـوة . أنى لكم ... على رصـد سـاهر لم ينم
هو الحق مـا دام قلبى مـعى ... ومـا دام فى اليـد هذا القلم

(*) يوم الجهاد : عابر سبيل .

عيد بنك مصر (*)

ألقيت فى الاحتفال بمضى خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر

بلغتَ الشباب ، فعش وازدد ... وأوح التهانىءَ للمنشد
نما بك جَدُّك فى المعجزا ... ت ، فيالك من معجز مفرد
أفى السن كاليافع المرتجى ... وفى المجد كالهرم المخلَد ؟
وما هرم الصخر فى مجده ... نظيرك يا هرم العسجد
وما بنيةٌ حرةٌ فى الرضى ... تقام ، كبنية مستعبد
بنو مصر فى كل عهد لهم ... بناء على سُنَّة الموعد
فحينًا معابدُ فوق الذرى ... وحينًا مصارف كالمعبد
بهذا وهذا نجارى الزما ... ن ، ونسبق فى شوطه الأبعد
وندرك فى يومنا أمسنا ... ونرفع شأويهما فى الغد

* * *

. . . .

فيا قائمين على (حصن مـ ... صر) سعدتم برضوانها الأسعد
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصـ ... ـن ، نجا بالعتاد والمُعتَد
ومَن قال يا أمتى وفرى ... فقد قال يا أمتى جنَّدى
هنيئًا لكم قادة ذادةً ... يصولون صولة مستشهد
هنيئًا لكم (حربكم) أنه ... من الحرب فى وصفها الأحمد
لكم راية النصر مرفوعة ... على ساحة الزمن السرمد
تعود لكم كل أعيادكم ... بأجمل مما به تبتدى

* * *

دار العمال (*)

ألقيت فى دار العمال عند افتتاحها فى صيف سنة ١٩٣٥ .

حىِّ «دار العمال» بالإقبال ... وترقَّبْ لها بلوغ الكمال
وانتظر رافعى الدعائم حتى ... يرفعوا بينهم عزيز المثال

(*) عيد بنك مصر : عابر سبيل .

(*) دار العمال : عابر سبيل .

رفعوا أمس ما علا من صروحٍ ... ولهم فى غد صروحٌ عوالى

ولهم فى غد من الأمر قسطٌ ... من يكن مؤمنا به لا يغالى

أيها العاملون لبيكم اليو ... م ، ولبيكم غدا فى المجال

نعم جيش السلام أنتم إذا ما ... جرّد البغى جيشه لاغتيال

لَكُم العدة التى ما استطاعت ... أمةٌ قط تركها فى نزال

ولكم أذرع شداد ، وأيد ... من حديد ، وأظهر من جبال

ولكم فى اتحادكم رأس مال ... إن فقدتم ذخائر الأموال

ولكم صيحة يهاب صداها ... سادة فى نفوسهم كالموالى

فابلغوا بالوئام والصبر ما لا ... يبلغ المرجفون بالأهوال

لا يسخّركم المسخر جهلا ... وانبذوا كل عاطلٍ مكسال

* * *

. . . .

أيها المنقذون بنية مصر ... من فتور ومن ضنى أو كلال

أنتم الكف والذراع وأنتم ... قوة فى يمينها والشمال

حظكم حظها من العلم والصـ ... ـحة والبأس والحجى والخصال

كلما نالها نصيب من الخيـ ... ـر فأنتم لكم نصيب تالى

أعجب الناس عامل فى بلاد ... صاح فيها : ما للبلاد ومالى ؟

لا تقولوا العمال حسْبُ ، وأنتم ... فى بلاد تموج بالعمال

إن مصرا تنال من غاصبيها ... أجر بخس وخدعة ومطال

وهى أرض للواغلين عليها ... سطوة أشعبية الإيغال

كل من فى جوانب النيل عانٍ ... مستغل الجهود والآمال

كلهم غارس لآخر يجنى ... ثمر الماء ، والثرى ، والرجال

وإذا ما تفرقوا طبقات ... جمعتهم جوامع الأغلال

وإذا قيل موسر وفقير ... فقصاراهما إلى استغلال

حققوا الأمر ما قضية مصر ... بعدُ إلا قضية العمال

عيد الجهاد(*)

«١٣ نوفمبر»[1] بعد ربع قرن

جددوا آل مصر عيد الجهاد ... بجهاد على المدى فى ازدياد
إنما قُدّر الجهاد عليكم ... يوم كان «استقلال» هذى البلاد
والذى أوجب الحراك على الأ ... يدى انطلاق الأيدى من الأصفاد
ليس كل الأعياد ندحة لهو ... قد تكون الأعياد لاستعداد
وقضايا السلام أطول عهدًا ... من قضايا الخصام بين الأعادى
قادنا معشر فلما تولوا ... أسلمونا أمانةَ القوّاد
ما إخال الروّاد قد سرّحونا ... بعدهم نحن معشر الأجناد
سبقونا ممهدين وقالوا ... دونكم فانهضوا بغير رقاد
قد حملنا وديعةَ الأجداد ... فاحملوها أنتم إلى الأحفاد

* * *

. . . .

صدقونى فرب صدقِ نذيرٍ ... حاط قومًا من صادق الإيعاد
لغدٍ - فارقبوه - أحوج منا ... لاجتهاد فى أمرنا واتحاد
قد بدا حولنا مدى الحرب فينا ... ومدى السلم حولنا غير باد
إنما الهول فى غدٍ فاتقوه ... واستعدوا له بأطيب زاد
ما الوغى والسيوف مشتجرات ... كالوغى والسيوف فى الأغماد
من حروب على اللسان صراح ... وحروب مكنونة فى الفؤاد

* * *

(*) عيد الجهاد : بعد الأعاصير .

(١) يتشاءم الناس من رقم ١٣ ولكن ذكرى الجهاد قد أسقط أن تجعل من هذا الرقم يوم عيد .

وأباطيل فتنة وضلال ... وعقابيل محنة وفساد

كم تلاقون فى غدٍ من دعاوى ... صبغوا لونها بكل حداد

ووباء الأخلاق من كل فج ... وبلاء الأرزاق فى كل واد

قسم للحطام فى غير عدل ... وادّخار له بغير سداد

بين كظّانَ أثقلت جانبيه ... تُخمٌ جمة ، وجوعان صاد

إن وقيتم بلادكم من أذاها ... فانعموا بعدها بعبقى الجهاد

* * *

عيد النيروز(*)

أهلا بنيروز وليد ... أهلا بميلاد سعيد

يومٌ جديدٌ . قلت بل ... عهدٌ على مصر جديد

عهدٌ تصان كرامةٌ ... فيه ، وتتبعها جهود

لا تستذل ولا تسا ... م على الهوى سوم العبيد

وغداً ستنقشع الغيو ... م فلا بروق ولا رعود

ما كان غير الصالحـ ... ـين لهم قرار فى الوجود

* * *

مصر الكنانة كعبة ... قرت على حصن وطيد

لا تلبث الأصنام فيـ ... ـها أن تنكّس أو تميد

كم ذا أراد بها الأذى ... باغ ، وكاد لها حسود

يمضى يعدد ما يريدْ ... والله يفعل ما يريد

حوض له من قومه ... ورد ، وما أحلى الورود

إن لم يذد أبناؤه ... عنه ، فمن عنه يذود ؟

سمرٌ وسودٌ أين من ... صبغيهما حمر الجلود

شتان ما هم فى الأصو ... ل ، وفى المهود وفى اللحود

* * *

(*) عيد النيروز : الاحتفال بعيد النيروز نشرت بالعدد ٧٣ من الأخبار الجديدة بتاريخ ١١ من سبتمبر ١٩٥٢ .

يا صحبة التوفيق وُفـ ... ـقتم إلى النهج السديد

حييتم النيل المبا ... رك واحتفيتم بالصعيد

عيد الوفاء إذا استعيـ ... ـد فمن وفاء المستعيد

عيدٌ له فى ذمة التا ... ريخ توفيقٌ حميد

عيد الأوائل والأوا ... خر ، والخمائل والورود

العالَمية وصفه المعـ ... ـهود فى كل المعهود

من فارس عنوانه ... وصداه فى الدنيا بعيد

كم صان مصريون ذكر ... اه وحياه هنود

وترنَّمت فيه العرو ... بة بالقصيد وبالنشيد

ما بين شعر البحتر ... ى وبين نثر ابن العميد

أم يؤلف بينها ... من حيث فرقها الجدود

ما أحوج الدنيا إذا ... اختلفت إلى عيد وحيد

* * *

فى كل عام تحتفو ... ن بمولد اليوم الجديد

بالنيل غير مقسم ... فرد له ملك فريد

ملك على دين الإخا ... ء ونعمة العيش الرغيد

لا راغم فيه يسا ... د وكل من فيه يسود

وتراه ضاع وظنُّه ... ألا يضيع ، ولا يبيد

* * *

يا مصر يا بنت الخلود ... يا معقل المجد التليد

أين الدين جزوك جا ... زية الخيانة والكنود

من كل مسخ هازل ... فى زىٍّ جبار عنيد

يحكى الأسود تجبُّرا ... وكذاك عربدة القرود

طاغ عليك ، ومنك لا ... منه الصوالج والبنود

وكأنما فى جوفه ... نار تلظَّى بالوقود

أبـداً تنـادى كـلـمـــــا أطعـمـتــهـا هل من مـزيد
لا نصح يجـــدى فى هذا يتـه ولا عـتـبٌ يفـيـد
أيـن الـقــــرار بـه ، وأيـن اليـوم مـوكـبـه الجـيد ؟!
ولّى وولىّ صـحـبــه لا غـائبين ولا شـهـود
من كل مـغلوب على كـمـد ومنبـوذ شـريد
اللّه أقـوى قـوةً من كل شـيطان مـريد
كم ذا استـعـز ببـأسـه فـأذله البـأس الشـديد
بأس الجنود العـامـلـ ـين يقـودهم رب الجنود

* * *

النيل أقـبل من بعـيـد وكـأنه حـبل الوريد
مـتـدفقٌ بين السـدو د ، ولا حـدود ولا قـيـود
فـيض من السـودان مـو رده وقـبلتـه رشـيـد
مـتـجـدد فى كل عـا م عند مـوعـده يعـود

* * *

الفالوجة(*)(1)

. . . .

أجل هى مـصـر التى نعـهـد إذا نفـد الدهر لا تنفـد
لهـا مـورد من حـمـاة الذّمـا ر . يسـعـفـه أبداً مـورد
فللّه مـصـر ومـا جـددتْ وأبناء مـصـر ومـا جـددوا
إذا مـا ارتضى الموت أبطالهـا فـرضـوانهم أنهـا تخلد

(*) الفالوجة : بعد الأعاصير .

(1) تحية لأبطال «فالوجة» الذين قاوموا الحصار فى معركة فلسطين على قلة الموارد والذخائر والأسلحة والحصون .

أعـــادوا لـهـــا ســيــرة الأوّلـ ـــين ، والعود من مثلهم أحمد
تحن الرمـال التى خـضَّـبـوها وينبض فى جـوفـهـا الجلمـد
فكـم لعلىّ ، وكـم لصـــلا ح جنودٌ بساحتها استشهدوا
وكم قـبل ذاك لرمسيسهـا كُـمـاةٌ على صـخـرها وُسّدوا
مـعـودةٌ أن تجـيـب الدعـــا ء إذا مـا دعـا المجـد والسـؤدد

. . . .

بيوم مجيد ، لأمس مجيد وإن غـــداً بعـــده أمـــجـــد

❊ ❊ ❊

بنو مـصـر للّه مـا جـاهدوا وفى الحق والخير ما أعتدوا
أولوا البـأس لكنهم عـصـبـة إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا
ومنهم لكل ضـعـيف حـمى وفـيـــهـم لكل أخ مُنجـد
أغـاثوا العـروبة فى مـحنةٍ رمـــاها بهـــا الزمن الأنكد

❊ ❊ ❊


تقـــدير

شكسبير (*)

بين الطبيعة والناس

أبا القــــوافى ورب الطرس والقلم ... مـاذا أفـادك صـدق العلم فى الأمم ؟
لـم يعـرفـوك ولم تجـهل لهم خلقـا ... هذا نصـيـبك من دنيـاك فـاغـتنم !
قـضّيت دهرك تلهـيـهم وتضـحكهم ... يا للعـجـائب من أضـحوكـة القسم
لا يوثق الهــر رئبــالا لـيـضــحكه ... فاعجب من الناس ، لا تعجب من البُهم
هـلا رأوك عـلـى قــــرب بـنظـارة ... ترى الحـجى رؤية الأسـوار والأطُم ؟
ولـو رأوك بـتـلـك العـين لانـخـلعت ... رقـــابهم دون أدنى تلكم القـــمم

* * *

شـــرعتَ للناس وِردًا لا انقطاع له ... يوم انقطعت عن الآفــات والنعم
والميت قـد ينفع الأحـيـاءَ مـا عَـمـروا ... وليس ينفـعـه الأحـيـاء فى الرَّجم[1]
إنْ يذكـروك فـمـا جـاءتك ذكـرتهم ... فى الغـابرين ، ولا سـرتك فى الرمم
أو يكبـروك فـمـاذا قـول مـسـرجـة ... للشـمس : هذا ضيـاء الكوكب العلم
أو يشـكروك فـــمــا بروا ولا ندمــوا ... أين الجـــهــــالة من بر ومن ندم ؟
ارجعْ إليـهم ، وقل فـيـهم ، وغنّ لهم ... أيـنظرونك إلا نظرة القـــــدم ؟
مــا أكـثــر البــر باسم لا غناء به ... وأنـدر البـــــر بالأرواح والنسم
لا يقـدر الناس يومًـا أجـر سـادتهم ... وإنما يـقــدرون الأجـــر للخــــدم
أجـر العظيم زَمـاع[2] فى جـوانحـه ... يجـــزيه بالأمن أحــيـــانًا وبالألم

* * *

وصــاحب لك أرخـصـتَ الفـؤاد له ... والحبُّ أقـــرب من إلّ ومن رحم
فــرد من الناس لو شـد الوفــاء به ... أهونتَ غـدر جــمــيع الناس بالذمم
فـقـدته وهو مـوجـود على كـثَب ... يا مـوجـد الحسن أسـرابًا من العدم
لم يُغن قلبك عنه مــا يزخـرفـه ... عن صورة الحسن فى الأوصاف والشيم

(*) شكسبير بين الطبيعة والناس : جزء ثالث . ٣٣ (٤٢ فقرة ١٥٥) .

(١) الرجم : القبر . (٢) زماع : عزم وبأس .

بل زاد شجوك أن تلقى لها مثلاً | حيًا ، على أنه فى البعد كالحلم
أُعناه باللهو عما أنت ضامنه | من ليس يغنيك عنه بالنهى العمم
هلا سلكتَ إلى قلب الحبيب وقد | عرفتَ سر قلوب الناس كلهم ؟
هيهاتَ لا تملك الألباب ما عرفت | أين المنجم من شهب ومن رُجُم
أرضٌ تراها ولم تملك مقالدها | لتلك أقصى لعمرى من ذرى إرم

* * *

أبا القريض وحسبُ القول معجزة | بشكسبير وحسب العرب والعجم
لو فاخر الكون أكوانًا تناظره | كنت الفخار فأبدت ذلك العقم
ما الفخر للكون إلا بالحيلة وما | من بضعة هى أحيا منك فى الأدَم[1]
لما رأت بك عمياءُ الحياة جلت | ماليس يجلوه نور الصبح من ظلم
(حتى الخرافات تزجيها فنحسبها | من خلقة اللّه لا من خلقة الوهم)[2]
نكاد إن لم يجدها الطرف ماثلة | فى الأرض نقدح فيه قدح متهِم
تقاربت عندك الأقدار والتهمت | حياتُك الخلق طرًا كل ملتهم
فما احتفلت بأمر هائلى جلل | صعب المرام ولا أزريت باللمم[3]
(مثل الطبيعة تذكى الشمس ساطعةً | فى عُلو ، إذكاءها للنار فى السلم)[4]
كم ترجم الناس عن فحوى حقائقها | أنت تنقلها نصًا إلى الفهم

* * *

أبا القريض ألا بوركت من رجل | إن الرجولة فى الأقوال والهمم
لقد خدعت خداعًا لن يضل به | إلا الذكى الفؤاد الصادق الحكم
وقد خلدتَ ولكن مثلما خلدت | تلك الشخوص التى أنشأتَ بالقلم
هذا قصاراك فى الدنيا وأحسبها | تلهو بنا ، بيد هوجاء ، لا بفم
مالت على القوس ترمينًا على غرر | من الظلام ، بلا وَرى ولا نغم
يا ليتها كلمتنا وّهى رامية | أو غلّها شلل أحرى بذا البكم

---

(١) الأدم : جمع أديم وهو الجلد .

(٢) الوهم : هذا المعنى لها زليت الناقد الإنجليزى .

(٣) اللمم : الصغائر .

(٤) هذا المعنى مقتبس من أمرسون .

مـجـاورَ الموت هل ألقـيت فى يده ... بقـيـة منك لم تُقـرأ ولم تُشم ؟[1]

ألقيت فى الأرض جمرًا لا ذكاء له ... فـأين أفلت ذاكى ذلك الضـرم ؟

أمنت قـرب ثراها واتقـيت يدًا ... تمس منك بقـايا الأين والسـقم

والأرض أمك والإنسـان بعـدُ أخ ... وقـد يمد شـقـيق كف منتـقم

لقـد لحقت وكم فى ذاك من عـجب ... بزمـرة الصـخـر ، فـانزلْ ثم فى حـرم

مـا أبلغ الموت فى صـمت رمـاك به ... يا أبلغ الناس فى صـمت وفى كلم

* * *

ذكرى سيد درويش(*)

فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكـروا اليـوم سـيِّـدا ... واحـفظوا الذكـر سـرمـدا

وتـغـنوا بحـمـد من ... قـد تغنى فـاسـعـدا

من يكـن ذاك أمـسـه ... يبـتـدئ مـجـده غـدا

* * *

كـان للصـوت مـالكا ... كـيف لا يملِك الصـدى ؟

قـد حـوى السـمع شـاديًا ... وسـيحـوبه مُـخْلَدا

أخـلـد الـنـاس مـن إذا ... قـيل تاريخُـه شـدا

عـاش للفـن ، والفـنو ... ن مـصـابيح للهـدى

مطلع النور ، نبـعـهـا ، ... جـاوز الشـمس مـصـعـدا

من يعش فى السـمـاء هيـهـ ... ـات لا يعـرف الردى

* * *

جـددوا اليـوم ذكـر من ... قـد تغنَّى فـجـددا

الذى صـوَّر الحـيـا ... ة هتـافًـا مـرددا

علَّم الناس كـيف يعنو ... ن باللحن مَـقـصِـدا

مـا ابتـغـوا قـبله المعا ... نىَ فى القـول مـسندا

وانثنـوا يَعـجـبون للطـ ... ـيـر لما تغـردا

---

(١) تشم : شام البرق نظر إليه أين يذهب وأين يمطر .

(*) ذكرى سيد درويش : عابر سبيل .

ولهمس النسيم فى الـ ... ـغصن لما تأوّدا
والدراريّ والسنا ... والأزاهير والندى
سمعوا كل ما انطوى ... من سرار وما بدا
سمعوا الكون بيّنا ... والمقادير شهّدا
فُتح الباب كله ... بعد أن كان موصدا
ربما جاز فاتح ... فى المدى ما تعمدا

* * *

إنما الفن فى الشعو ... ب شبابٌ له الفذى
فيض ما زاد من شعو ... ر وما هام مبعدا
سورة فى عروقها ... يتقى بأسها العدَى
لا أنينٌ ولا طنينٌ ... ولا ضجة سدى
أو نديم لشارب ... بالطلا قد تزودا
أو بكاء كما بكى ... سائل يطلب الجدى
رحم اللّه سيدا ... كان للفن سؤددا
ليت أحياءنا الأولى ... سبقوا الموت موعدا
لحقوا - وهو فى الثرى ... منه روحا تمردا
وارتأوا مثل رأيه ... واقتدوا مثلما اقتدى
أكبر الظن أنه ... جاور البحر فاهتدى(١)
مفلحٌ من يكون أستا ... ذه البحر مزبدا
إنما اللحن ترجما ... ن عن النفس ما عدا
مبدع وهو ناقل ... كلما قال أوجدا
واصف لن ترى له ... عاذلا أو مفندا
هكذا كان سيد ... صادق الوصف مرشدا
ما سمعنا لشعب مصـ ... ـر على ما تعددا
واصفًا كان مثله ... مستجابا مؤكدا
كل رهط أعاره ... لحنه أسلم اليدا

---

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير فى ثغر الإسكندرية .

وحـــبـــاه بـــســـره ... نـاطق الـوسم مـنشـــــدا
لـيس مـن عـــــامـل ولا ... عـــــاطل راح أو غـــــدا
أو ســـــرىٍّ مـــــجـلـل ... أ وفـــقـــيـــر تجـــردا
أو قـــوى مـــزمـــجـــر ... أو ضـــعـــيف تـنـهـــدا
أو دعـــــاء دعـــــاه إلا ... عـــرفـنـاه جـــيـــدا
هـكـذا يـســـمـع الخليـــقـ ... ـة من يـســـمـع الـصـــدى

* * *

إنمـا الـلحـن مـنـطـق ... وحـــــدّ الـكـون إذ حـــدا
فـــيـــه ، لا فى اللغـــان ، يبــ ... ـدو نظيـــمـــا منضّـــدا
اســمـعـوا منه فى الضـمـا ... ئر وحـــيًّـــا مـــؤيدا
حـيـثـمـا يقـصـر الكلا ... م ويمشى مـــقـــيـــدا
وارفـعـوا الفن واحـذروا ... مـــهـــبطا منـه أو هـدا
واجـعـلوا مـن تـراث درو ... يش للفن مـــعـــبـــدا
إنـه مـــهـــد الخطى ... فـــابـلغـــوا أنـتـم المدى
رحـم الـلّه ســـيـــدا ... كـــان فى الفن ســـيـــدا

* * *

تكريم عامرٍ (*)

بلدة الشـمـس والجـبـال ... كـيف لا تنجب الرجـال ؟
أنجـبـت مـثـل عـامـر ... وهو فى الهـمـة المثـال
الـذى فـى جـهـاده ... ســبق القـولَ بالفـعـال
والـذى كـان أول الـصـ ... ـف فى حـومـة النضـال
عـنـد مـا نـودى «الـدفـا ... ع» بـدا فـارسَ المجـال
وتـلا مـن تـلا وصـا ... ل بنو الـنيل حـيـث صـال
أشـجـع الـنـاس بـاذل ... هـزم الـشـح والمـطـال
كـرم النفس كـالـشـجـا ... عـة من أندر الخـصـال

(*) تكريم عامر : عابر سبيل – أنشدت فى احتفال أقيم لتكريم السرى الأسوانى الكبير إبراهيم عامر «باشا» .

. . . .

كرموا الذروة التى ... رفعت هامة الهلال
رفعت أرؤسًا وطا ... لت مع المجد حيث طال
واحمدوا فى احتفالكم ... أجدر الناس باحتفال
العصامى فى الغنى ... والعظامى فى الخلال
والذى جدّ وحده ... فشأى عصبة الرجال
والذى كل درهم ... فى تجاراته حلال
زانه اللّه بالأما ... نة والصدق فى المقال
والمضاء الذى يجدّ ... ولا يعرف الكلال
والنظام السوىّ فى ... غير ضيق ولا اختلال
يتبع المال صاغرًا ... من له العزم رأسُ مال

* * *

لقب حازه وكم ... حاز من قبله ونال
لم يزد فضله به ... فهو ذو الفضل لا جدال

* * *

كرّموه تكرّموا ... خير دار ، وخير آل
إن أسوان ما خلت ... قط من معدن الكمال
صخرها جوهر الخلو ... د وأنموذج الجمال
وبنوها ، وأنتُم ... من بنيها - بخير حال
لكم المجد لا يزا ... ل من الأعصر الخوال
إنما المجد بالعلا ... لا جنوب ولا شمال

* * *

يا صديقى ويا ابن قو ... مى ، وجارى على اتصال
أقرب القرب بيننا ... شيمة فيك لا تنال
شيمة النبل فى استقا ... مة طبع وفى اعتدال
شيمة العزة التى ... لا يغالى بها اختيال
إنها جيرة لها ... أبعد الناس مستمال
لا تزال غانما بها ... هانئًا فى هدوء بال
وحواليك دولة ... من محبيك لا تدال
تتلقاك نعمة ... أبد الدهر فى اقتبال

ثناء على ماهر (*)

ثناء الكرام على ماهر[1] ... ثناءً على الرجل القادر
على رجلٍ زاهد في الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله ... فيقبل في جحفل زاخر
ومن كلُّ أيامه صالحا ... تُ لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفى ... ولا حيرة فيه للشاعر
تجيء مدائحه الصادقا ... ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر
وآراؤه في ثنايا غدٍ ... كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه في مواعيده ... كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق في بأسه ... تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمن للعدى ... وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه في قضاء الفرو ... ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب ... فليس بوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكى يومكم ... وطوبى لكم ذكرة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا ... بها نهج مبتكرٍ باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا ... مدى الحمد من وطنٍ قادر

* * *

(*) ثناء على ماهر : أعاصير مغرب .

(1) من قصيدة في تكريم الدكتور أحمد ماهر (يوليو ١٩٣٩) .

الغزالى والخيام(*)(١)

نكرّمه ، نكرّمه ... وما نرويه نعلمه

ولم ننشئْ له فضلا ... ولكنّا نترجمه

ومن ذا مثل إبرا ... هيم ذو فضل نعظّمه

وذو سمت نوقّره ... وذو رأى نقوّمه

فتى ترضى سجاياه ... ويصدق قلبَه فمه

تساوت عند مطريه ... مزاياه وأنعمه

وحب الخير فى دمه ... فكيف يخونه دمه ؟

له مجدٌ يؤثّله ... بمسعاه ويدعمه

فقد يغنيه أحدثه ... وقد يغنيه أقدمه

ولكن ، ليس يستغنى ... بحظ لا يتممه

تكنى بالغزالى(٢) ... فلم يتعب منجمه

ولو مال إلى الخيّا ... م لاقاه مخيّمه

أديبٌ ينشر التبيا ... ن آيات وينظمه

عماد الجمع منبره ... وزين الطّرس مرقمه(٣)

وللفنان فى ناد ... يه مغناه ومغنمه

علت فى السعد أنجمه ... وفى العلياء أسهمه

* * *

تعالى اللّه هاديه ... إلى النعمى وملهمه

ونعم الفضل فضل اللـ ... ـه بالقسطاس يقسمه

* * *

(*) الغزالى والخيام : بعد الأعاصير .

(١) ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بتكريم الأديب السياسى الأستاذ إبراهيم الدسوقى أباظة .

(٢) نسبة إلى غزالة اسم بلدته .

(٣) المرقم : القلم .

فى محراب المطران(*)(١)

يومٌ تألّق واستضاء ... يوم تعطّر بالثناء
يوم أطلّ على الحمى ... والفضل مرفوع اللواء
هذا وفاء العارفـ ... ـين لشاعر عرف الوفاء

* * *

«مطران» محراب القر ... يض ، خليلُ ناديه الحميم
قدسٌ يزين وقاره ... أنس يهش له النديم
خلقان لم يتجمعا ... إلا لذى فضل عميم

* * *

ماذا أعدّد من سجا ... ياك الحسان ، وهنّ شتى
أدبا وعرفانا وآ ... لاءً محبّبة وسمتا
وإذا أطلتُ فغاية الإ ... طراء أنك أنت أنتا

* * *

ناداك أبناء العرو ... بة باسم شاعرها المجيد
فألٌ تُجدده الطوا ... لع كل يوم فى سعود
الآن فاهنأ بالعرو ... بة وهى «جامعة» تسود

* * *

أنطقت بالعربية الفصـ ... ـحى أعاجم شكسبير
ونقلتهم نقل الأما ... نة فى الكبير وفى الصغير
بدّلت فى لغة اللسا ... ن ولم تبدّل فى الضمير

* * *

ودعمت للتمثيل كعبـ ... ـته فعاودها المزار
صفرت فحين حللتَها ... حفلت بحج واعتمار
لقنتهم فتلقنوا ... منك التلاوة والحوار

(*) فى محراب المطران : بعد الأعاصير .

(٢) فى تكريم الشاعر الكبير خليل مطران .

وجمعت فحوى «الاقتصا   د كما تنزّل فى كتاب
قلمٌ يعلّم علمه   ويدٌ تجود بلا حساب
فى العُرف والعرفان سا   ئلك المؤمّل مستجاب

* * *

ذمّ اليراع قضيتها   فى كل ميدان دعاك
ليس النظيم أو النثير   قصار ما استرعى هواك
إن «الجوائب» و«المجـ   ـلة» فى الصحافة شاهداك

* * *

لما سبقت إلى الجد   يد سبقت منه إلى كمال
أتعبتَ خلفك من عدا   فى العدوتين على ضلال
لم يدركوك وإن جروا   من بعد شوطك فى المجال

* * *

حررتَ أوازن القصيـ   ـد فزاد فى الميزان وزنا
وتوسّعتْ فيه البحو   ر فأرسلت دُررًا ومُزنا(1)
هذى الثلاثيات حقـ   ـك من لدنك ومن لدنا

* * *

وأقمتَ فى ديوانك العا   لى أميرًا لا تُجارى
أولى الربوع بشاعر   آفاق أنجمه العذارى
لا يبتغى سكنًا سوا   ها حيث حلّ ولا مدارا

* * *

واللّه لو وفّوك بالتـ   ـجديد حقك من ثواب
لم تُوف عهد كهولة   إلا رددت إلى الشباب
متجدد الريعان فى   ظل الخلود المستطاب

* * *

لكنّ حقك فى الشبيـ   ـبة شائعٌ بين القلوب
يدعو بشعرك من شدا   أو عنك فى النجوى ينوب
هبةٌ قضوك ديونها   والحر سدّاد وهوب

---

(1) المزن السحب . وهذه القصيدة المنظومة «ثلاث ثلاث» حق للشاعر الذى سبق إلى هذا النوع من التجديد فى القوافى وتقسيم المقطوعات .

أنعم بمحفلك الذى وسع العروبة فى مكان
كرمتْ بإكرام النُّهى وعلت بإعلاء البيان
هى ترجمت بك عن فضا ئلها ، فنعم الترجمان

* * *

عيشا معًا متعاهد ين وأبلغا العهد التمام
منها لك الآذانُ صا غية ، ومنك لها الكلام
متقابلين على الرضى متلازمين على الدوام

* * *

كوكب الشرق(*)(1)

هلّل الشرق بالدعاء كوكب الشرق فى السماء!
عاد فى حلة الضيا ء ، وفى هالة البهاء
لم يَغب هاجرًا ولـ ـكنْ كما غرَبت ذُكاء
لا تخافوا على مطا لعه سطوة المساء
واهبُ النور لا يدا ريه عن نوره عشاء
كوكب الشرق فى أما ن من الليل لامراء

* * *

يا عروس السماع لبا ك من يسمع الدعاء
وشفى أنفسًا لعينيـ ـك تسترخص الفداء
انظرى فى وجوههم تعرفى نضرة الوفاء
كلهم ود لو يُغنى من البشر والصفاء
لو بقدر السرور نشـ ـدو غلبناك بالغناء !

(*) كوكب الشرق : بعد الأعاصير .

(1) تحية لمطربة الشرق الآنسة «أم كلثوم» لمناسبة شفائها وعودتها من الأقطار الأوروبية .

أم كلثـــوم يا بشـــيـ ـرًا من اللّه بالرجـــاء
أنت من وحـــيـــه ،ولـ ـه فى الفن أنبـــيـــاء
ذلك الصــوت - صــوتك الـ ـعــذب - من عـــرشـــه نداء
فـــيـــه ســرٌ من جنة الـ ـخلد لكنه ضـــيـــاء
فـيـــه مـــا يرفع الحـجـــا ب ومــــا يكشف الغطاء
فـــيـــه أنس لمن يشـــا ء وسلوى لمن يشـــاء
فـــيـــه للمــرتجى ســلا م وللمـــشـــتكى عـــزاء
فـــيـــه حــرز من الهــمــو م وعـــونٌ على القـــضـــاء
أى نـــفـــس إذا تـــر نمت لا نهـــزم الشـــقـــاء ؟
إنـــه قـــــــوةٌ إذا عـــز من قـــوة نجـــاء
إنـــه مـــن غـــنـــى إذا حُـــسب الصـــوت من غناء
إنــه ثـروة لمـصـــــر ومـــا أجـــزل الثـــراء
مـــهـــرجـــان لعـــيـــدها حـــيـــثـــمـــا رفـــرف اللواء
وعلى الجـــرح إن شكت بلسم ناجع الشـــفـــاء

* * *

أيهـــا الكوكب الذى أســـعـــد الأرض باللقـــاء
ر دَدى الطرف فى الفـــضـــا ء ،ومـــا أرحب الفـــضـــاء
واســـأليــه ســـؤال من يلحن الطيـــر فى الهـــواء
هلى سرى فـيـه مثل صـو تك فى الحـــسن والنَّقـــاء
فى قـــديم من الزمـــان أعـ ـنى وفى حـــاضـــر ســـواء
لا أحـــاشى من الرجـــا ل قـــبـــيـــلا ولا النســـاء
لا تجـــيـــبى . أنا المجـــيـ ـب ،ولـم أغـلُ فـى الـثـنـاء
أنت كـــالشـــمس لا تُعـــدّ د فى هذه الســـمـــاء

موسيقى خالد(*)(1)

أبناء مصر تذكروا ، وتذكروا .. ما مصر خالدةٌ لمن لا يذكر
وإذا جرى ذكر الفنون فميزوا بالحمد فنا بالجمال يُبشّر
ذهب الزمانُ زمانُ من لم ينعتوا بالمجد إلا من يصول ويقهر
إن الذى يُعطى النفوس عزاءها لأحقُّ بالذكر الجميل وأجدر
ليس الغناء صدًى ، ولا أنغامه خفقات أصوات ، تمر وتعبر
إن المغنّى - إن علا استقلالكم - بين البناة مؤسسٌ ومعمّر

* * *

للّه «سيد» الذى غنّى لكُم زمناً ، فقال العارفون «مصوّر»
وصف ابن مصرَ فليس يدرى سامعٌ أصغى إليه : أسامعٌ أم مبصر
إن تسمع الحوذىَّ منه رأيته عجلا ، فتُيْمن فى الطريق وتيسر
أو تسمع النوتى منه حسبته فى النّيل يُقبل بالشراع ويُدبر
أو تسمع الريفىّ منه لمحته فى الحقل يحصد فى الأوان ويبذر
أو تسمع الجندىّ منه نظرته وعلى أسرّته الشعار الأخضر
وإذا «المسارح» راجعت أيامها لاذت بفرد منه لا يتكرر

* * *

قالوا تفرنج بالغناء وإنما هو مؤثر فى الفن لا متأثر
عرف الأغانى واللحون كما جرت فى عُرف من نطقوا بهنّ فعبروا
أم إذا غنّت فليس غناؤها لغو المجانة ، بل معان تؤثَر

* * *

قل «سيداً» فإذا ذهبْت مترجمًا علموا هنالك أنه «المايسترو(2)»
هى من مصادفه الحروف وربما سبقَ الحروفَ بها دليلٌ مضمر
سمةٌ على كل اللغات سميُّها للسبق فى الفن الجميل ميسّر

* * *

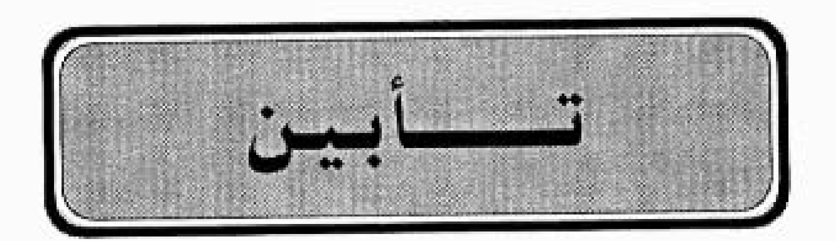
يا نخبةً قدروا الجميل لأهله دوموا على عهد الوفاء وقدّروا

. . . .

(*) موسيقى خالد : بعد الأعاصير .

(1) نظمت هذه القصيدة لمناسبة الذكرى الثانية عشرة لوفاة الموسيقى المجدد الشيخ سيد درويش .

(2) المايسترو : الإيطالية «ترجمة سيد أو أستاذ» .


تــأبين

ذكرى الشهيد(*)

(رثاء محمد فريد)

. . . .

دنيا نزاولها ونحن كأننا — من غير طينتها نصاغ ونخلق
محجوبة المرمى ، فما لشرورها — تعتاد حاسره الوجوه وتبثق
تمشى على الأبدىّ من أشواكها — ونتاجها الأبدى عنا مغلق
وكأنما الدنيا سرابٌ سرمد — لا يُرتوى منه ، ولكن يُغرق
سلواك فيها حين يخفق عامل — ترجوه ، أن صداه قد لا يخفق

* * *

أفريدُ لا يلمم بسيرتك الردى — أبدًا ولا يبرح سلاحك يُمشق
ما كان ذاك العمر إلاّ وقعة — الدهرُ حومة حربها لا الخندق
والناصرون الحقّ جيش واحد — متجمعٌ فى مدّه متفرق
الأنبياء الصالحون جنوده — والحق بيرقه ونعم البيرق
لا ييئسنك أن قضيت فإنه — جيش بموت غزاته لا يُمحق
ما زال مطّردا فقبلك فيلق — شراعوا لهاذمه[1] وبعدك فيلق
خير الجوانب أن تكون بجانب — أضداده أسرى وإن لم يوثقوا

. . . .

* * *

(*) ذكرى الشهيد «رثاء محمد فريد» الجزء الثالث . ٢٢٨ (٣٤ فقرة ١٥٣) .

(١) اللهاذم : السيوف القاطعة .

ذكرى الأربعين (*)(١)

الأربعون

أمضيت بعد الرئيس الأربعون؟   عجبًا كيف إذن تمضى السنون

فترة «التيه» تغشّت أمة   غاب موساها على «طور سينين»

كل يوم ينقضى نفقده   وهو ملء الصدر من كل حزين

تكبر البلوى به حين مضت   والبلايا حينما تمضى تهون

كيف ينسى الناس من لم ينسهم   يوم تُنسى النفس والذخر الثمين

لم يزالوا كلما قيل لهم   ذهب الموت به ، يلتفتون

. . . .

خرج المدفع يطوى مدفعًا   الأساطيل اتّقته والحصون

ساكنًا بين يديهم بعد ما   زلزل الشرق على المغتصبين

حوله من عسكر أو عزّل   جيش أجناد له متبعون

. . . .

ليس يبكى خطب سعد يائسٌ   أين من سعد ضعافٌ يائسون ؟

إنما يخلق أن يبكيه   من أصابوا منه عزمًا لا يلين

لم يصب منه نصيبًا من هوى   خائنَ العزم ، فما كان يخون

أىْ نذيرَ الحق من وادى الردى   قم فأنذرهم عساهم يعلمون

. . . .

ألق للتاريخ ما يكتبه   أنت لا يلقى عليك الكاتبون

صفحة سطرتها أنت فما   فى ثناياها سطور يمّحين

(*) ذكرى الأربعين : الجزء الرابع .

(١) نظمت هذه القصيدة للاحتفال بتأبين الزعيم العظيم سعد زغلول .

قل له ، والدهر يحنى رأسه … والطوايا شاهدات والعيون

أنا مصر ، وهى فى سؤددها … أنا مصر ، وهى فى الأسر سجين

أنا نجّيت لمصرٍ نفسها … ضيّعتها بين كفران ودين

أنا ألقيت على عاتقها … حملها المطروح بين الآخرين

فاسألوا عن صِيدها أو غيدها … وعن القبط بها والمسلمين

وعن الموسر والعافى بها … وعن الآباء فيها والبنين

واسألوا عن عالم أو جاهل … وأصيل من بنيها أو هجين

تجدوا مصرًا ولا تستمعوا … غير مصر فى دعاء وحنين

جُمّعت فىّ نفوس فوقت … فى النبيين الهداة المصلحين

. . . .

يوم منفاك وهل كان سوى … يوم بعث لبنيها أجمعين

ضُربت مصر فكانت ضربة … ذادت النوم وطاحت بالسكون

أيها الغادرون بالقيد لها … قيدوا الآن ! ألستم قادرين ؟

الرحى دارت على أقطابها … واستوى الطاحن فيها والطحين

بأسكم ما عهدت أحرارها … من قديم ، وهى ما لا تعهدون

. . . .

إن بكت مصر عليه شجوها … إننى بالشجو وحدى لقمين

رزئته النفس واللب وما … يشتهى الراوى ويبغى الدارسون

لم يكن بالأب إلا أنه … كان نعم الأب فى رفق ولين

كم سعى ساع إليه ووشى … ومقامى عنده العالى المصون

يا هدى الأمة يا نعم الهدى … يا خدين الصحب يا نعم الخدين

أنا جبارك[1] لا تعهدنى … ذلك الجبار فى الدمع السخين

لست أنسى فى «وصيف» سامرًا … لك كالطير أظلتها الوكون

إذا تُلاقينا على مهد الرضى … والأحاديث مع الليل شجون

نحقر الداء وترعى أمرنا … إن غفونا أو غدونا مصبحين

. . . .

(١) كان رحمه الله يلقب صاحب الديوان بالجبار .

يـوم ودعــــــتك ودعـت أمــــرأ　　يملؤ الـدنيــا ويقـــضـى ويـدين
وأحــــيـك لألقـــاك غـــدًا　　حـــجـــرًا يعلوه نوار الغـــصـــون !
عـجـبًـا لا ينقـضـى من عـجب　　وفـــتـــونا ليس يبلى من فـــتـــون
أهو ســـعــــد ذلك الشـاوى هنا　　أهو سـعـد ذلك القـبـر السـدين ؟
عـــجـــبت بادرتـى ثـم وعت　　فـــيــه رمــز الموت أعلى الرامـــزين
هو صـــخــــر ورياحـين مـــعِـــا　　بين عـــزم وخــلال يســتــبين
فـــاعـــرفـــوا فـى قـــبـــره تمثـــاله　　وأخفضوا الصوت ، وحيوا خاشعين

* * *

فـاز سعـد (*)

عـــرف الـنفـى حـــيـــاة ومماتا　　وأصــاب النصــر روحـا ورفـــاتا
كلمـــا أقـــصـــوه عن دار لـه　　رده الشـعـب إليـهـا واسـتـمـاتا
كـيف يجـزيه افـتـيـاتا وهو من　　كـان لا يرضى على الشعب افتيـاتا
أصـــبـــحت دارك مـــثـــواك فـــلا　　تخش بعـد اليـوم يا سـعـد شـتـاتا
حـــبـــذا الخلد ثمـــارًا للذى　　غـــرس المجـــد ونماه نبــــاتا
. . . .　　. . . . .

* * *

جـــيـــرة الأحـــيــــاء أولى بالذى　　بعث الدنيـا حـيـاة أن تبـيـد
مـــعـــشـــر الأحـــيـــاء أنتم لكُم　　مـــدد من ذلك الميت مـــديد
مـــســـتـــعـــيـــدين رجـــاءً كلمـــا　　جـزتموه ، وهو منكم مـسـتـعـيـد
إنـه فـى كـل جـــيـــل ذاكـــر　　من بنيــــه ، أبد الـدهر وليـــد
تلك يا ســـعـــد مـــغـــانيك فـــمـــاً　　فى سـواها يسكن اللحـد شـهـيـد

* * *

(*) فاز سعد : عابر سبيل . نشرت يوم نقل رفاته من ضريحه بـالإمام إلى ضريحه المقام بجواره داره .

اعــبــر القــاهرة اليــوم كـــمـــا ... كنت تلقــاها جــمــوعًــا ونظامًــا
ســاعــة فـى أرضــهـــا عـــابرة ... بـين آبـاد طـوال تـتــــــــرامـى
ســاعـــة من عـــالم الفـــردوس لا ... تشـبــه الســاعــات بدءًا وخـتــامـا
كل من شـــاهدها زيد بـهـــا ... من مـــعـــانيك جـــلالا ودوامـــا
قـل لـهم أبـلغ مــــا قلت لـهم ... أيهـا الـواعظ صـمــتـا وكــلامـا

* * *

جــردوا الأســيــاف من أغــمــادها ... ذاك يوم النصــــر لا يوم الحــــداد
ارفـــعـــوا الرايات فى آفـــاقـــهـــا ... أين يوم الموت من يوم المعــــاد ؟
لا يُـلاقَـى الخـلـد بـالحـــــزن ولا ... يكتــسـى الفــتح بجلبــاب الســواد
ذاك يـوم مــــا تمناه الـعــــدى ... بــــل تمـــنـــاه ولاء ووداد
فـانفـضـوا الحـزن بعـيـدًا واهتـفـوا : ... فــاز ســعــد وهو فى القـبــر رمــاد

تمثال سعد (*)

الروح فـى وادى الكـنـانـة حـــائـم ... وجـلال شـخـصـك فى النواظر قـائم
مــا غــاب منك مــثــال عـــارض ... يمضـى ، ويخلفــه المثـــال الدائم

. . . .

تمثال ســعــد فى الجـزيرة ســاهرًا ... هيــهـــات يغلف منك لحظ صــارم
النيل حــولك لا يغـيـب هنيـهـةً ... عن ناظريك ، وأنت عنه صـــائم
شــأنٌ لربك فى الحـيــاة حكيـتــه ... فـــالظل للغـــصن الوريف مـــوائم
كم صام ســعـد عن مناهل حـوضـه ... ويعبّ مــغــتــصب وينهل غـــاشم
كم بـات يرعـــــاه ، وليس بمرتع ... من خــيــره مـــا يرتعــيـــه الحـــاكم
كم غـــاب عنه ولم يغب عن همــه ... والبــحــر دون طريقــه مــتــلاطم

* * *

(*) تمثال سعد : أعاصير مغرب .

بك زادت الأهرام ركنا والتـــقت	منهـا على بعـد الزمـان دعـائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها	فى الجيـزة الفيحـاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا	يعـيى بنقض بنائهم الهـادم

. . . .

* * *

يا سعـد هلا من لسـانك قـولة	يروى بهـا هذا الزحـام الهـائم ؟
يمنـاك تـومئ فــأيـن من	إيمائهـا الصوت القـوى الناغم ؟
عـجبى لشىء فيـه منك مـلامح	أن ليس يُسمع منه قـولٌ حـاسم !
عـجبى لشىء فيـه منك مـلامح	أن ليس يخـفق فيـه قلب عـالم !
أخـذ الحـديد الصلب منه عـزيمة	والصخـر بأسـا يتـقيـه الصـادم
وتشـابهت ثم الأسـارير التى	قـد شـابهـتك بمثلهن ضـيـاغم
وتحـجـبت تلك الأفـانين التى	ضـاق الصُّناع بهـا وعىّ الراسم
أن لم تصـورها اليـدان فـربما	خـفيت فـصورها الضمـير الراقم
إن لا تحـدّثنا فكلّ مـحـدّث	من فـيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظٌ فـدون الوحى من	مـعناك - كلّ اللافظين أعـاجم

تحية زعيم راحل (*)(1)

أكـبرت فى غيب الزعيم محـمـد	من كـان يكبر حـاضرًا فى المشهـد
حـجب الردى عنا بشـاشتـه ولم	يحـجب بشـاشة ذكـره المتجـدد
هيـهـات ينتـقص مـجـادة	للسيـد بن السيـد بن السيـد

. . . .

* * *

عـزٌّ الكنانة فيـه فـهى فـجيـعـة	تبلو الكنانة فى الضمـير وفى اليـد
مـا فى مـروءات الشـعـوب مـروءة	إلا رعـتـه بنظرة المتـفـقـد
البـر ، والمشـهـود من آلائه	بين المحـافل دون مـا لم يشـهـد

(*) تحية زعيم راحل : أعاصير مغرب .

(1) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

ومـعـاهد التـعليم بين مـشـجع | للعـاملين بهـا ، وبين مـزوّد
وإغـاثة الأدب اللهـيف ، وإن تشـأ | سـردًا ، فـعـدد مـابدا لك ، واسـرد
ونزاهة اليـد واللسـان هداية | للمهـتدين ، وقـدوة للمـقـتدى
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على | مـسـتغلق فـيـهـا ، ولا مـتـأوّد
والعـزة الشـمـاء إلا أنهـا | كـالشـاهق المخضـر لا كـالجلمـد
وسـيـاسـة الوادى ، ولم يك رابحـا | منهـا سـوى الشـجن المقيم المقعـد
وعـزيمة لا تكره الشـورى وإن | كـانت لتكره حـيـرة المتـردد
شـيم وآلاء إذا مـا اسـتـفـردت | كـالقطب ، عزت فى ازدواج الفـرقد

* * *

عـزّ الكنانة والعـزاء ليـعـرب | مـا بين مُـتْـهم قـومـه والمنجـد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصـد | والشـمـل بين مـشـرّد ومـبـدد

. . . .

* * *

سـمحٌ على مـا فـيـه من عـصـبـية | سـهل ، وإن أعـيى قـومى المتشـدد
لا يسـتطاع على الخـصـام عناده | وعليـه تعـويل الأخ المتـودد
من اكـسـفـورد ، ولو نماه مـعـشـر | للأزهر المعـمـور لم تسـتـعـبـد
فـيـه مـحـافظة ، وفـيـه طرافـة | وأراه فى الحـالين غـيـر مـقلد
ورث الحـمـيـة كـابرًا عن كـابر | والأريحـيـة منجـدًا عن منجـد
غـيث الفـلاة ونيل مـصـر كـلاهمـا | سـقـيـاه من أصليـه أعـذب مـورد
فـإذا بكت مـصـر فـغـيـر ملومـة | وإذا الحـجـاز بكى ، فـغـيـر مـفند

* * *

آه من التراب (*)(١)

أين في المحـفل «ميّ» يا صحـاب ؟ عـــوّدتنا ها هنا فـــصل الخطاب
عـرشُـهـا المنبـر مـرفــوعُ الجناب مـستجيبٌ حين يدعى مـستجاب

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب ؟

* * *

ســائلوا النخـبــة من رهط الندىّ أين مى ؟ هل علمــــتم أين مى؟
الحــديث الحلو واللحن الشـــجى والجــبين الحـــرّ والوجــــه السنى

أين ولى كوكباه؟ أين غاب ؟

* * *

أسـف الـفـن عـلـى تـلـك الـفـنـون حـصدتها ، وهي خضراءُ ، السنون
كلّ مــا ضـــمــتـــه منهن المنون غــصصٌ مــا هان منهــا لا يهــون

وجراحات ، وبأس ، وعذاب

* * *

شـــيمٌ غـــرّ رضـــيّـــات عـــذاب وحـــجى ينفـــذ بالرأى الصـــواب
وذكـــاءٌ ألمعىّ كـــالشــــهـــاب وجـــمــــال قـــدسيٌّ لا يعـــاب

كل هذا في التراب . آه من هذا التراب

* * *

(*) آه من التراب : أعاصير مغرب .

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

كل هذا خـــالدٌ فى صـــفـــحـــات | عطرات فى رباها مـــثـــمـــرات
إن ذوت فى الـروض أوراق النبـــات | رفـــرفت أوراقـــهـــا مـــزدهرات

وقطفنا من جناها المستطاب

* * *

من جناها كلّ حـسن تشـتـهـيـه | مـتـعـة الألبـاب والأرواح فـيـه
سـائغ مُـيّـز من كل شـبـيـه | لم يزل يحـسـبـه من يجـتنيـه

مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقـــاليم التى تنمـيـه شـتى | كل نبت يانع ينجب نبـتـــا
من لغـات طوّفت فى الأرض حـتى | لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا

وحواها كلها اللب العجاب

* * *

يا لـذاك اللب من ثروة خـصب | نيّـر يقـبس من حس وقلب
بين مـرعى من ذوى الألبـاب رحب | وغنى فـيـه وجـود مـسـتـحَب

كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

* * *

طلعـه الناضـر من شـعـر ونثـر | كـرحـيق النحل فى مطلع فـجـر
قـابل النورَ على شـاطئ نهـر | فله فى العين سـحـر أى سـحـر

وصدى فى كل نفس وجواب

* * *

حيّ «ميّا» إن من شيع ميا منصفًا حيّا اللسان العربيا
وجزى حواء حقا سرمديا وجزى ميّا جزاء أريحيا

للذى أسدت إلى أم الكتاب

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابًا والذى صاغته طبعاً واكتسابا
والذى خالته فى الدنيا سرابا والذى لاقت مصابا فمصابا

من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

أتراها بعد فقد الأبوين سلمت فى الدهر من شجو وبين
وأسى يظلمها ظلم الحسين ينطوى فى الصمت عن سمع وعين

ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراها بعد صمت وإباء سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كلُّ ما فيه رياء وعداء كل ما فيه افتراء

وسكون كل ما فيه اضطراب

* * *

رحمة الله على «ميّ» خصالا رحمة الله على «ميّ» فعالا
رحمة الله على «ميّ» جمالا رحمة الله على «ميّ» سجالا

كلما سُجل فى الطرس كتاب

* * *

تلكمُ الطلعـــة مـــا زلت أراها غـــضـــةً تنشـــر ألوان حـــلاها
بين آراء أضــــــاءت فى سناها وفـــروع تتـــهـــادى فى دجـــاها

ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

* * *

غـــاب والزهرة تؤتى الثـــمـــرات ثمـــرات من تجـــاريب الحـــيـــاة
خـــيـــر مـــا يؤتى حـــصـــاد السنوات بعـــثـــرتهن الرياح العـــاصـــفـــات

ورمـــتـهـن تـــرابًا فى خـــراب

* * *

ردّ مـــــا عـندك يا هذا التـــــراب كل لب عـــبـــقـــرى أو شـــبـــاب
فى طواياك اغـــتـــصـــاب وانتـــهـــاب خُلَقـــا للشـــمـس أو شم القـــبـــاب

خـــلقـــا لا لانـــزواء واحـــتجاب

* * *

ويك ! مـــا أنت برادّ مـــا لديك أضـــيـع الآمـــال مـــا ضـــاع عليك
مـــجـــد «ميّ» غـــيـــر مـــوكـــول إليك مجـد «ميّ» خالص من قبـضـتـيك

ولـــهـا من فـضـلها ألـــف ثـواب

عـبـد الـقـادر(*)

جلّ المصـاب بفـقـد عـبـد القـادر[1] ويح البـــيـــان على المبين الســـاحـــر
البـــاحـث المنطيق فى تاريخـــه ، الملبس الماضى لبـــاس الحـــاضـــر
الناقـــد الأنبـــاء نقـــد صـــيـــارف ، الـــوازن الآراء وزن جـــــــــواهـــر

(*) عبد القادر : أعاصير مغرب .

(١) هو فقيد الكتابة والصحافة عبد القادر حمزه صاحب «البلاغ» .

المستعين على السياسة بالحجى ... والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت ... يوما لمنتقم ولا لمناظر

. . . .

عرف الحقائق فاستراح جنانه ... من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره ... بغضًا لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده ... علمٌ على بعد ، وعلم معاشر
كم مرّ من يوم ضحوك بيننا ... أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها ... متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معًا فى حلبة ... عزت على غير الطمرّ الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا ... نعم العتاد لذاكر ولعابر

شهيد الوطن (*)

أحمد ماهر (1)

لم أصدق وقد رأيت بعينى ... وسمعت الطّق المريب بأذنى
«ماهرٌ» فى الندىّ يُجنى عليه ... ويدٌ - قيل من بنى مصر- تجنى؟
أشبه الصدق بالأباطيل هذا . . . ... ويك أمسك ! جاوزت غاية ظنى

* * *

لم أصدّق ، وما لحى دوامٌ ... والمنايا تطوف فى كل ركن
غير أنّ الكيد الذى كاده الجا ... نى - له الويل - لا يُطيف بذهن

(*) شهيد الوطن أحمد ماهر : بعد الأعاصير .

(1) قيلت هذه القصيدة فى رثاء . الزعيم الوطنى الشهيد الدكتور أحمد ماهر وقد اعتدى على حياته شاب مفتون بدار النيابة سنة (١٩٤٥) وكان الناظم فى تلك اللحظة بمجلس الشيوخ فى انتظار بيان من الزعيم الفقيد .

أى رأس رمى ؟ وأى فؤاد … نال منه ؟ وأى صدر وحضن ؟

أفيُرمَى بالموت أوسع صدر … لبنى قومه ، وأمنع حصن ؟

أفيُرمَى بالموت قلبٌ يحوط النا … س حبًا ولا يحيط بضغن ؟

أفيُرمى بالموت رأسٌ تولّى … مجد مصر برأيه المطمئن

يُعمل الرأى للبلاد ويَلقى … معول الموت هادمًا ، وهو يبنى ؟

يا ضلال الجدود فى هذه الد … نيا ، ويا سوأةً لذاك التجنى

أمنتْ تلكمُ المقاتل لو يأ … من فى الناس كلُّ صاحب أمن

لو تردّ النياتُ غرب سلاح … ردّ عنه السلاح ألفُ مجَنّ

* * *

لو أصدّق ، وقد رأيت بعينى … أمّةَ النيل فى حداد وحزن

حزنت غير أنها ليس تَدرى … أللقيا تجمّعت أم لدفن

أعمقُ الصمت صمتها وهى حيرى … بين صدق الأسى ووهم التمنى

ترقب النعش قادمًا يتأنى … وتمنّت لو طال ذاك التأنى

أوجعُ الشك شك ساعةِ هول … فى يقين يُدمى العيون ويُضنى

المسجّى يأيها الجمع هذا … أفتدرى من ذا يكون ؟ أجبنى !

إنه «أحمدُ» الذى كان فينا … منذ يوم رضوانَ كلُّ مهنى

من يصدّق هذا يصدقْ عظيما … من بلاء الدنيا يشيب ويفنى

* * *

لم أصدق والأربعون أمامى … كلُّ ساعاتهن ساعة بين

كم تمثلته وأحسب أنى … إنْ أحقق رأيته نصيب عينى

مقبلاً ضاحك الأسارير سمحًا … ثابت الجأش لا يُلم بوهن

فُجعتْ مصر فيه بالقائد الأسب … ق ، والأوحد الذى لا يثنّى

بالزعيم الأمين فى كل رأى … والوزير القدير فى كل فن

والحسيب المُوفى لكل حساب … والخطيب الذى يقول ويَعنى

الذى فارق المناصب جهرًا … بصريح من رأيه لا يكنّى

والذى أنفق الشباب جهادًا … فى خطار على الحياة وسجن

والذى أجـــزل العطاء لمصـــر ... هبـــةَ منه لا تشـــاب بضن
والذى لا يسىء يومًـــا ، ويعـــفـو ... عن مـــسىء إليـــه فى غـــير منّ
والذى كـــان فى «الندىّ» إمـــامـــا ... وسط العـــدل حين يُقـــضى ويُدنى
عـــز فـــينا دســـتـور مـــصـــر بشـــرح ... من هداه لا يســـتـــعـــاض بمتن
لن يقـــول الصـــديق فـــيـــه مـــقـــالا ... يتـــأباه خـــصـــمـــه حين يثنى

الأستاذ الأكبر (*)(١)

من مـــثل نابغـــة النوابع مـــصطفى ... فى ســـابق من مـــجـــده أو لاحق
رجّـــاه والده الكريم لغـــايةٍ ... حـــسنى ، فـــوفّـــاها وفـــاء الواثق
ربّاه حـــبـــرا للديانة فـــاســـتـــوى ... فى نخـــبـــة الأحـــبـــار أسبق ســـابق
ونماه فى حـــجـــر العـــبـــادة مـــسلمـــا ... فـــهدى الحجـــيج ، وحجّ كلَّ منافق
وأعـــده للعلم فـــاســـتـــوفى به ... حظ العليم الفـــيلســـوف الحـــاذق
وغـــذّاه بالتـــبـــيـــان فـــانقـــادت له ... غـــرر اليـــراع بكل مـــعنى شـــائق
وهداه للإحـــســـان فـــهـــو وليّـــه ، ... لعـــاهد الإحـــســـان غيـــر مـــفـــارق[٢]
ورجـــاه للعليـــاء فـــاســـتـــبق الخطى ... ســـبقَ الكرام إلى المقـــام الســـامق
لا وانيًـــا عنهـــا ، ولا مـــتـــعـــجـــلا ... فـــيـــهـــا تعـــجّل مـــشـــفق من عـــائق
وكـــأنهُ وعـــد الأمين وفى به ... فطوى صـــحـــيـــفـــتـــه كلمح البـــارق
لو لم يكن قـــدرًا قـــضـــاه لما قـــضى ... كـــالنجم يرجع غـــاديا من شـــارق
إن المطالع لا يـــقـــر قـــرارها ... بعـــد التـــمـــام ، ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخـــذًا من كل شىء صـــفـــوه ... بوركتَ من ذى مـــعـــجـــزات خـــارق
حـــتى الخـــمـــول بلغت غـــاية حظه ... عـــجـــبًا ، وأنت من العلا فى حـــالق
لم ألق قـــبلك من نبـــيـــه آمن ... من شـــرّهِ البـــاغى وغـــيظ الحـــانق

(*) الأستاذ الأكبر : بعد الأعاصير .

(١) رثاء العلامة الأستاذ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٤٧ .

(٢) كان رحمه الله وزيرًا للأوقاف ورئيسا لبعض جماعات الإحسان .

تلك المدامع ما امتزجن بدمعة ... من كاذب فى حزنه أو ماذق
ولتلك من رضوان ربك آيةٌ ... تخذت من الإجماع أصدقَ ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق ... مرضيَّة منه ، وخير علائق
ما الموت ياكشاف كل حقيقة ... إلا حقائق حُجِّبت بحقائق

السيدة هدى(*)(١)

ربةُ البر والندى ... لم يَضِع سعيها سدى
لغد كان سعيها ... وسيبقى لها غدا
كلُّ ما قدمت من الخيـ ... ـر باق على المدى
ينطوى الدهر ما انطوى ... منه صوتٌ ولا صدى
هى ملءُ الضمير منـ ... ـكم مغيبًا ومشهدا

* * *

كنت فى الشرق يا هدى ... مثلا كان أوحدا
أين فى المجد والعلا؟ ... أين فى المجد والجدى؟
غايةٌ طاولت سما ... ءك مرقىً ومصعدا
إن علا محتد علو ... ت إلى الأوج محتدا
أو علا سؤدد العوا ... رف بوركتِ سؤددا
أو حدا الركب بالعزا ... ئم جاوزتِ من حدا
شرفٌ كلُّ عنصر ... يه على المجد أسعدا
تم موروثه العر ... يق بما قد تجددا
ذاك أو ذا كلاهما ... حسبُ من شاء مفردا

* * *

إن من تذكرونها ... ذكرها غالبُ الردى
قدوة الفضل للعقا ... ئل فى كل منتدى
ولها السبق كلما ... حسُن السبقُ موردا
سفرت والحجاب كالليـ ... ـلِ غيْمانَ أسودا

(*) السيدة هدى : بعد الأعاصير .
(١) رثاء السيدة الجليلة صاحبة العصمة هدى شعراوى ، وكانت قدوة لسيدات الأسر فى النهضة النسوية والمآثر الاجتماعية سنة (١٩٤٨) .

والتـقت باسم مصـر والنـ ـيل جـيـشًـا مـجنّدا(١)
وأعـانت على الزمـا ن مـريضًـا ومُـجـهَـدا
وضـعـيـفًـا من اليتـا مى وطفـلاً مـشـرّدا
وحـمى عطفُـهـا فـرا ئسَ من ضل واعـتـدى
ورعت ناشـئـا عن الـ ـعلم والأهل مُـبـعـدا
وأجـازتْ على البـيـا ن فـأسـدت له يدا
إن بـكـوا كـلـهـم لـنـعـ ـيك لا غـرو يا هدى
كلهم يفـتـديك لو يُدفع الموت بالفـدى
لا صـديقٌ ولا عـدا ليس فى الحق مـا عـدا
أم الشـرق كلُّهـا حـمـدت منك محـمـدا
توج التـاجُ ذكـريا تك والشـعب ردّدا
آيـة الله يـا هـدى ولك الخلد سـرمـدا

محب السلام(*)(٢)

. . . .

عـزاء الزمـالة فى رزئه لقـد كـان نعم الزميل الهـمـام
حـفىٌّ اللقـاء ، وفىّ الإخـا ء ، عـفيف اليراع عـفيف الكلام
صـبـورًا على هفـوات الطبـا ع ، يغـضى عن السيِّئات الجسام
حليـمـا إذا طاش لب الحلـ ـيم ، رضـيا إذا لجَّ داعى الخصام
ترى حـوله الناس شـتى العـقـو ل ، شـتى المذاهب ، شـتى المرام
فـتـحـسـبـه عـامـلا وحـده وتحـسـبـه قـائلا فى الزحـام
كـأنّ له خـاطِرىْ مـهـجـة لهـذا مـقـام وهذا مـقـام
طرائفـه فى ثنايا الحـديـ ـث ، تنسى النديم كـؤوس المدام

(١) كانت السيدة الجليلة تقود أول مظاهرة نسوية خرجت فى مواجهة الجند المسلحين تحتج على الحماية البريطانية .

(*) محب السلام : بعد الأعاصير .

(٢) رثاء الكاتب الكبير أنطون الجميل عضو المجمع اللغوى ورئيس تحرير الأهرام ، وكان قد سهر على عادته فى مكتبه بالصحيفة ، ثم شعر بضيق مفاجئ توفى على أثره فى الهزيع الأخير من الليل .

وأمـــثـــالـه من عـــيـــون البـــيـــا ن ، جـــواهـر منثـــورة فـى نظام
وأراؤه حـــنن تـــطـــغـــى الخـــطــو ب مـــعـــالـمُ هـاديةً فـى الظلام
وأقـــــــدر خـلـق علـى أن يُـذ يعَ قـد كـان أقـدرهم فى اكـتـتـام
فـــمـــا صين ســـرٌّ كـــمـــا صـــانـه وإن عـــزّ فى الســر راعى الذّمـــام
وأكـثـر مـا اسـتـودعـتـه النفـو سُ أودعـــه الـيـوم جـوف الرّغـــام

* * *

مـنـاقـب أنـطـون لا تـنـقـــــضـى ولا يخـتـم القـول فـيـهـا خـتـام
أحـبُّ الســـــــلامَ ونـادى بـه عليـــه مـــدى الدهر أزكى ســـلام

* * *

الشهيد الأمين (*)(١)

محمود فهمى النقراشى

أســفى أن يكون جـهـــدَ رثائى كـلـم عـــــابـر ، ورجـع بكـاء
مـــارثاء الحـــزين غـــيـــر تعـــلاّ ت ، ومـــا النوح غـــيـــر نفث هواء
ليـــتنى أخـــرس الفناءُ لســـانى قـــبل يوم أشـــقـى له من فنائى
مـــا وفـــاءٌ بذل الدمـــوع من الحـــز ن ، على منْ وفى ببـــذل الدمـــاء

* * *

إن حـــــزنى على هـذه الأنـفـــ ـس ، ضلّت فـينا سـبـيل السـواء
نُكست بينـهـــا الموازين نُكسًـــا واســتـحـالت مـعـالم الأشـيـاء
كم رأينا غـــدرًا ولا من عـــداة وشـــهـــدنا حـــربا ولا من عـــداء
ظلمـــاتٌ تقـــودها خـــبط عـــشـــواءَ ، وويلٌ لخـــابط العـــشـــواء

* * *

(*) الشهيد الأمين محمود فهمى النقراشى : بعد الأعاصير .

(١) قتل شهيد الوطنية والرأى والخلق الأمين - محمود فهمى النقراشى - بديوان وزارة الداخلية فى اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

أتصم الآذان عن صـــادق النصـ ـح ، وتصغى طوعـا لكل افتـراء ؟

أمـةٌ فى الشقـاء من معـتـد فيـ ـهـا عليـهـا ، ومن صويع اعـتـداء

أعـجـزُ العـاجـزين يقـوى علىٍ إيذ ائهـــا غـــايهٌ من الإيذاء

والقـديرون يشـتكون من العـجـ ـز ، إذا مـــهّـدوا لهـــا بالدواء

كـيف كـيف النجاءُ من هذه المحنـ ـة ، بل أين أين حق النجـــاء

* * *

إن حـــزنى حـــزن على هذه الأمـ ـة : رفـقًــا بهـــا إله السـمـــاء

قُلبت آيةُ الحــقـائق فــيــهـــا وقـضى سـفلُهـا على العظمـاء

غـيلة الموت للغـيـور عليـهـا ، وقـضـاء الحـيـاة للجـهـلاء

وقـضـاء الجـهـول أوخم عـقـبى من قـضـاء البـهـيـمـة العـجـمـاء

فـتنة تعـمـه البـصـائر فـيـهـا وتضل العــقـول فى تيـهـاء

إن أبينا البـقـاء حـقـا لمحـمـو دٍ ، فـمن ذا يُرجى لطول البـقـاءِ

* * *

نبـئــونى . فـإننى أنا واللـ ـه ، عـــرانى عىٌ عن الإنبـــاء

أى سـهـم ترمى به يدُ مـصــر ى يرى فـيـه مـوقـعًـا لرمـاء

أى تلك الخـصـال مرمى اغـتيـال لبنى مـصـر ، بل بنى حـواء

أيُغـــال الحنان فـيـــه ، حنانًا كـاد يُحـصى به مع الضـعـفـاء ؟

أم يُغـال الحـفـاظ فـيـه ، حـفـاظا يتـحـدى جـحـافل الأقـوياء ؟

أم يُغـال العـفـاف أصـدقُ مـا كـا ن عـفـافـا فى مـسـتـسـرّ الخـفـاء

أم يُغـال الإنصـاف يحـمى عُـداه - حين يقـضى - من صفوة الأصفياء

أم يُغـال الذكـاء يخـتـرق الحـجـ ـب ، بنورٍ يهـدى كنوز ذُكـــاء

أم يُغـال الزهد الذى حـار فـيـه كل مـــغـــرٍ من سطوة وثراء

أم تُغـال الخـلائق الزُّهر كـادت تتـرقى إلى ذُرىً الأنبـيـــاء

أم يُغـال الصـبـر الطويل على الجـهـ ـد ، بلا منَّةٍ ولا إعـيـــاء

أم يُغـال الجـهـاد فى حب مـصـر . . . ويح مـصـر من تلكم النكراء

إن مـحـمـوداً الذى فـقـدته واحـــدٌ لا يقـــاس بالنظراء

* * *

يا أبا هانئ ! وأعـــزز بأنى لا أرى هانئــــا ربيب هناء
أنعــزيه فى مــصـابك لهــفـا ن ، ونحن الأحـرى بطول العـزاء
ومصابُ الشعوب فى الحق أقسى من مـصـاب الأبناء فى الآباء
خطب مصـر . يسامح الله مصـرًا عـقّـهـا فى جدودها القـدمـاء
عقّها فى اسمها ، وما تعرف الأقوا مُ دخـرًا أغلى من الأسـمـاء
يرحم الله مـصـر من فـتنة تطـ غى يجـهّـالهـا على الحكمـاء
يرحم الله مصـر . إنك يا محـمو د فى رحـمـةٍ مع الشـهـداء
لا يضيم الإله قـومـا بذنب أنت فـيـه لهم من الشـفـعـاء

فقيد اللغة والأدب (*)

على الجارم (1)

. . . .

لست أوفيه وصفه : إن وصفًا لعليّ يُغنى غناء السمىّ
علم فى الديار ، صنّاجة فى الحفـ ـل ، ركن فى المجمع اللغوىّ
وسراجٌ فى مفرق الرأى هاد وجمال وبهجةٌ فى الندىّ
وزميل سمح الزمالة برٌّ وأخ بالإخاء جدّ حفىّ
ذلك الشاعر الذى ثكلته مصر ، فى يوم مأتم وطنى
لم تزل تسمع المراثى حتى سمعتْ فى الرثاء صوت نعىّ
تتنزى على زعيم أمين وأديب جزل البيان سرىّ

* * *

لست أوفيه حقه . إنه حـ ـق بيانٍ عن البيان غنى
وارث الأصمعى فى لغة «الضا د» وفى الشعر وارث البحترى
والأديب الذى له فطنة المصر ى زانت سليقةَ البدوى
والمربّى الذى تعهّد جيلا عهدَ علم منه وعهد رقىّ
وأخو النشأتين شرقا وغربا من قديم باقٍ ، ومن عصرى

(*) فقيد اللغة والأدب على الجارم : بعد الأعاصير .

(1) كان فقيد اللغة والأدب – على الجارم – عضو المجمع اللغوى يستمع إلى قصيدته فى رثاء الشهيد النقراشى ، يلقيها نجلة النجيب فى الجمعية الجغرافية ، فأصابته نوبة توفى على أثرها بدار الجمعية سنة ١٩٤٨ .

كم شـــهـــدناه فى شـــواهد نص — ورأينـاه فـى مـــعـــــارض رأى
وسطًا غـــيـــر ممعن فى وقـــوف — عند مـــاض ، أو ممعن فى مـــضىٌ
قـائلا ناقـلا ، سـميـعًـا مـجـيـبًـا — حـسنُ تبيـانه كـحـسن الصـغىّ

ذكـرى إبـراهيـم (*)

أَقِـــيْـــمُـــوا الوزْن أوْ مِـــيلوا — فـــمـــا (آبراهيـمُ) مَــجْـــهُـــولُ
فـــتـىً مـــيـــزَانُه بالْقِـــسْـ — ـــط عـنْـدَ الله مَـكْـفــــــولُ
لــــهُ فـــى كـــلّ تَـــاريـــخٍ — مـنَ المجْـــــــد أكـــــــالِـيـلُ

* * *

سَـلـوا الأوْطـانَ يـنْـبــــــئكـمْ — بمَـا يـعْـلـمُـــــــــه النِّـيـل
يَحـــيِّـى ناصِـــرَ المْصـــرِ — ىّ ، والمِصْـــرىُّ مَـــخْـــذُولُ
وَأوّلُ رَافِـع صَـــــــــوْتًـا — وســـيـفُ الحَـــرْبِ مـــسْلولُ
وَلِلمـــخْـــتلِّ فى مِـــصْـــر — عـلـى كـلّ فَـم غُـــــــولُ
لـه فـى بـرّهَـا جَـــــيْـشٌ — كـــجـيـش النَّملِ مـــوْصـــولُ
وَفِـى الـبـــــحـــر أَسَـــــاطيلُ — وفـى الجـــــــوِّ أبَـابـيـلُ
إذَا لـمْ يَـنْـعَـــــهُ الأحـــيــــا — ءُ ، والـدُّنْـيـــــا أبَـاطـيـلُ
نَـعَـــــــاه فـى (الـعَـــــزِيـز — يّةِ) مَـــدْفــــونٌ ومَـــجـــدوُلُ
وجـــــيـلٌ فـى حِـــمَـى التَّـــا — ريخ ، لا يُشْـــبِـهـــهُ جـيـلُ

* * *

سَلُـوا الآدابَ يـنْـبــــــئكـم — بـه الـصـــــدَّاحَـــةُ القـــولُ
يُرَدِّدُ ذِكـــــرَهُ فى الـشِّـــعْـــرِ — تـســـبـــيـحٌ وتـرْتـيـلٌ

(*) ذكرى إبراهيم دسوقى أباظة .

ويهتفُ باسْمه فى القَوْ ل مطبُوعٌ ومنْقولُ
وَيَحْمَدُ فَضْلَهُ فى العُرْ ب مَنْسُوبٌ ومَدْخُول
فَلا الماضى بمنسِيٍّ ولا الحاضِرُ مَغْزولُ
وراعى الشِّعْرِ لا يَنْسَا هُ مرعيًّا مِنْهُ مطْولُ

* * *

سَلُوا الإحْسَانَ والإحْسا نُ طبْع فيه مَجبُولُ
وأقربُ شأوِهِ فى الجُو دِ مشروبٌ ومأكولُ
وأيسَرُ جُودِهِ بَادٍ لمرْأى العَين مَسْئولُ
وكم أعْطى ولم يُسْألْ وبعض السُّؤْلِ مَمْطُولُ
وبعْض النَّاس قد يَمْحُو نَدَاهُ القالُ والقِيلُ

* * *

سَلُوا الأحْسَابَ لا عِزٌّ يُدانيها ولا طول
وللأسْبادِ والأشْبَا ل منْ أعلامِها غِيلُ
ذَوُوهُ منْ بنى مِضْر هم الغُرُّ البَهاليلُ
ومِنْ أحسابه كَسْبٌ بمَسْعَاهُ وتحْصِيلُ
بِرأْىٍ زَانَهُ فى القَصْدِ إجْمَالٌ وتفصِيل
وصَبْر راضَ دنياهُ وراضَتْهُ العَرَاقيلُ
سَلُوا سيرتَه الحفلى وللسِّيرَةِ تسْجِيلُ
سَلُوا (الشَّلالَ) والمجْرَى من القُطْرَيْنِ مَفْصُولُ
لَتَمَّ القربُ لَوْلا قا عِدٌ بالشَّرقِ مَشْلولُ

* * *

خصال كُلُّها نُبْلٌ وأفضَال وتَفضِيلُ

وذِكْـرى كُلُّهـا حَـمْـدٌ وتشْـريفٌ وتبْـجِـيلُ
فـقـدْنـاهُ ونَادِي الـرَّأْ يِ فـي الـقـطْـرَيْـن مَـأهُولُ
فـلا يَبْـعُـدْ المثـوَى ومَـثْـوَى الخـيـرْ مَـأهولُ
لـهُ مِـنْ بِـرِّهِ أنْـسٌ وشـمْـلٌ ثَمَّ مـشْـمُـولُ
ومِنْ سِـيـرته الفـيْـحَـا ءِ ، تَـرْويـحٌ وتـظْـلـيـلُ
لـهُ فـى مـنـزِلِ الـرِّضْـوَا نِ تـسْـلـيـمٌ وتـنـزِيـلُ
وأَجْـرٌ مِـنْ ثَـوابِ اللهِ عِـنْـدَ اللهِ مـقْـبُـولُ

شيوخ الشيوخ(*)

لا أحسب العام فى أسوان يسعدنى يومًا بلقياه ، فى قومى ، وفى سكنى
هناك فى الركن من مشتاه معتصما على سجيته من غمرة المحن
تباعدتْ شقة الدارين وامتنعت على المطايا وأعيت حيلة السفن
«حسب الصديقين بُعد الأرض بينهما» على مدى راحة من ظهرها الخشن
واطول شوقى إلى يوم يقربنى من راحة البال أو من راحة البدن

* * *

تلك المعاهد لا تنسى معمَّرَها قربًا من العهد ، أو قربًا من الدِّمَن
يحج سعيًا إليها فى أماكنها أو ساعيًا ممعنًا فى ساحة الزمن
منازلُ الوحى ما زالت مَشابتَه فى الطيبتين ، وفيما طاب من ظعَن
لم ينقطع قط ماضيه وحاضره ولاونى عن فراغٍ بالنفوس ينى

* * *

(*) شيخ الشيوخ : رثاء الدكتور محمد حسين هيكل .

يا هيكَل الحق كم أحـيـيـت من أثر ... وكم نشـرت ، وكم أبقـيت من سنن
ذكـراك يا باعث الذكـرى مـخلّدةً ... تبـقى مع الذكـريات الغـرّ فى قـرن
حقٌ على ذمم التـاريخ تحـفظه ... لحـافظ ذمَ التـاريخ مـؤتمن
أحييت سيرة من يُحيون منصفهم ... من كل عـالٍ بتشـيـيـد العـلا قـمن
هم الكرام وقـد أحـسنت مـدحـتـهم ... مكرّمـوك بحـمـد منهم حـسن
عش فى صحابتهم من معشرٍ شرعوا ... للناس شـرع وفـاء السـر والعلن

❊ ❊ ❊

يا هيكل الفن كم أبدعت من صـور ... وكم رفـعت ، وكم نكّست من وثن
وكم لمصـر بما أرسلتـهـا قـصـصـا ... من مـتـحف عـامـر بالآهلين غنى
من القُـرى فـيـه ألوان مـشـخـصـة ... كـمـا عـهـدنا ، وألوان من المدن
من يلقـهـا يلق تاريخًـا لحـاضـرنا ... وحـبـذا حـاضـر التـاريخ للوطن
يكاد يعـجب رائيـهـا على كـثب : ... إنى أراها ، فـسلهـا كـيف لم ترنى
تلك التـمـاثيل من خلق الحيـاة كـمـا ... يوحى بهـا وحىُ باريهـا إلى الفطن

❊ ❊ ❊

يا هيكل البـيـعـة العليـا بعـقـوتهـا ... ويالهـا بيـعـةً مـهـضـومـة الثـمن
قـامت على بحـرها اللجىّ تحـسـبـهـا ... جـسـرًا على شـاطئـيـه غـيـر مـتـزن
تهب من فـوقـهـا هوج الرياح ولا ... تقـر فى جـوفـهـا الأمـواج كـالقُنن
وأنت والسـادنوها الصـيـد فى نفـر ... حـاروا بهـا بين مـغلوب ومـضطغن
تهـز كـرسِىّ فـاروق وأنت ترى ... كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن
تركـتـمـوه مـعـرى فى مـبـاذله ... كـأنه جـيـفـة فى قـبـرها العـفن
يختـال فى طيلسـان الظلم مـزدهيـا ... وإنما اخـتـال قـبل الموت فى كـفن
ومـا تعـثـر فى عـقـبى مـسـاوئه ... إلا ليـومٍ له فى الغـيـب مـرتهن

❊ ❊ ❊

ياهيكل الصحب كم ضمت شمائله ... شمل الأقارب فى الآراء والمهن
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم ... غداةَ فارقتهم فى لوعة الحزن
حاربت فى الرأى أقواماً على ثقة ... وحاربوك ، وما بتم على دخن
ما كنت مختبرًا للسخط تضمره ... إلا كخبرة فنان به طبن
وإنما الود طبع فيك ليس به ... سمت من الفن ، أو كبت على وهن
لك المآثر يبكيها ويحمدها ... من يحمد الفضل موفورًا بلا غبن
قوم بما ضيهمُ فى الشرق قد حفلوا ... والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
عش فى صحابتهم من معشر ورثوا ... عرفًا لهم ، من رعاه قط لم يخن
من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمرًا ... كأنه فى حساب القوم لم يكن
أنت الغنى عن الذكرى وما غنيت ... جامعةٌ قط عن ذكرى ذوى المنن
لأنت من جنة العرفان فى سعة ... وأنت من جنة الرضوان فى عدن

ذكرى حافظ(*)

ارفعوا ذكره عليا مبينًا ... إنما الذكر رفعة الذاكرينا
حافظٌ فى ثراه لم يفتقدنا ... وافتقدناه نحن حينا فحينا
من مضى فى غنى عن الحى والحـ ... ـى الذاهبين لا يغنينا
وإذا الحمد فات نابغ قومٍ ... فهو موت الباقين لا الذاهبينا

* * *

يا حميد المقال مدحا وقدحا ... ونقى الصحاف بيضا وجونا
خذ من الحمد بعض حقك منا ... لم تكن قط بالحقوق ضنينا
طالما رددت جوانب مصر ... صيحةٌ منك تملأ العالمينا
هاتفًا بالرجاء يوما ، ويوما ... هاتفًا بالعزاء تأسو العيونا
تعجب القوم أريحيا طروبا ... وتواسيهمو شجيا حزينا
ما توانيت عن مقام وفاء ... أو تواريت بالوفاء خؤونا
وإذا ما اعتراك بالوهن خطب ... لم تكن فيه خانعًا أو مهينا

(*) ذكرى حافظ : فى الاحتفال بذكرى حافظ إبراهيم سنة ١٩٥٧ .

وإذا قـــام لـلضـــمـــائر ســـوق | لم تكن من تِجَـارها النافـــقـــينا
رب قـــوم تنقّـــصـــوك مـــراءً | ربحـــوا وانثنيت أنت غـــبـــينا
خـــيـــر أبطالنا الذين تخـــيّـــر | ت من الأولين والتـــابعـــينا
الإمـام «ابن عـبـده» من بنى جـيـ | ـلك وابن الخطاب فى الأقـدمـينا
لا تدانيـــهـــمـــا بدعـــواك لكن | باعـتـراف القـصـور دنيـا ودينا
أنت أتقى ممن يجـاهر بالتـقـو | ى ويأبى فى السـر إلا مـجـونا
رب جـمع تفـيـهق الغِـر فـيـه | وتحـدى بالظن منك اليـقـينا
كلمـــا قـــال قـــولةً فى رســـول | صـحـت : يارب اخـز هذا اللعـينا
«احـســبــونى مع العـجــائز دينا | ليس هذا الجـدال إلا فـتـــونا»
رحم الله منك قلبـــا سليـــمـــا | وضــمــيــرًا بَرًا وروحـــا أمـينا

* * *

ثم قـريرًا صنّاجـة العـرب الصـيـ | ـد وعُـد فـيـهـمو لسـانا مـبـينا
كلمـــا جـددوا لذكـــراك عـــهـــدا | عاد عهـد الفصحى جديدًا مصونا
حـــافظًا أنت كنت للضـــاد لما | عــقّـــهـــا أهلهـــا وظنوا الظنونا
أين فى المنكرين من ليس يروى | لك قـولا جـزلا ونسجـا مـتـينا
ودليـــلا على غـناها إذا مـــا | سامـهـا الفـقـر مـعـشر مـفلسـونا
بين شـــعـــر له رنين ونثـــر | يشـبـه الشـعـر فى السـمـاع رنينا
لم تكن حـصـتى من الحـفل نظمـا | لا ولا قلتــــه بوعــــد مـــدينا
غـــيـــر أن المزار شط بحـــاد | ود لو كـان حـاضـرَ الصـوت فـينا[1]
وعـــجـــيب إذ يشـــهـــد الفن ذكـ | ـراكَ من الشـعـر وحـده أن يبـينا
وجـــمـــيل إن صح عـــذر لدينا | أن ترانا لديك مـعـــتــذرينا
فـخـــذ اليـــوم حـــقك حـــمـــدًا | أنت بالحـمـد مـا برحت قـمـينا
وقليل وفـــاءُ قـــومك يومـــا | لامـــرئ دان بالوفـــاء سنينا

* * *

(١) إشارة إلى غياب الشاعر الذى ندب لإلقاء تحية الشعر فى الحفل ثم برح القطر قبل موعده فناب عنه صاحب الديوان على غير موعد .

أهرام الورق، وأهرام الحجر(*)(١)

خبر السّباق للخير — عضٌ من أخبارنا الأخَر
شَغَلِ السمّار عن سمر — وطوى الآفاق فى البُكر
فاجئٌ كالعهد وا آسفا — لم يكن يومًا بمنتظر
صادقٌ كالعهد وا آسفا .. — ليته من كاذب السير
قيل فى الأهرام مرثية — قلت : حقٌ من فم القدر
قيل «جبرائيل» طاف به — يومه فى ضحوة العمر
صفحة بيضاء تعلنها — صفحة سوداء للنظر
ما على الأهرام لو نسيت — عبرةً من صادق العبر

***

إن بكاه الشرق لا عجبٌ — بعض ما أولاه من غُرر
سار بالشرق الوئيد على — خطو «أوربا» ولم يَجُر
نحن ، إلا فى صحافتنا — دونهم فى الخبر والخبر
فإذا عُدّتْ صحافتنا — لم نكس رأس معتذر

***

زفع الأهرام فارتفعت — فى مدار الأنجم الزُّهُر
لو غلبنا غلبوا — نازعتهم كلٌ منتَشر
ولسارت فى مغاربهم — كمسير الشمس والقمر

***

رافعُ الأهرام من ورق — نافسَ الأهرام من حجر
وحكاها فى الثبات وإن — سار بين البدو والحضر
كل يوم فى الصباح له — ظَفر ناهيك من ظفر
فى ركاب الشمس يشبهها — فى جلاء الشك والحيَر

(*) أهرام الورق ، وأهرام الحجر : بعد الأعاصير .

(١) قيلت فى رثاء المغفور له صاحب الأهرام جبرائيل تقلا «نوفمبر سنة ١٩٤٣» وكان قد توفى على أثر عارض سريع لم يمهله غير لحظات .

يجمع الدنيا ويبسطها ... بين مدّ السمع والبصر
أم شتى تحدثنا ... بلسان العرب من مُضر
كل قطر فهو نائبه ... زائرًا أم حيث لم يزر
هو داعيه وكاتبه ... وملبّيه على الأثر
سابق تلقاه منطلقًا ... فى عنان الطول والقصر[1]
تحسب القرطاس مختصرًا ... فى يديه غير مختصر
فإذا امتدت صحائفه ... لم تدع شيئا ولم تذر

* * *

يا شريك العالمين له ... غير مبخوسين من صغر
قُسَماء الرأى ، ما اقتسموا ... -باختيار منك - فى ضرر[2]
أنت فى الأعباء أكبرهم ... ولهم ما شئت من كبر
من رآكم راح يسأل عن ... آمرٍ منكم ومؤتمِر
تُجزل الحسنى لمحسنهم ... وتسجّى طرف مغتفر
حزنُهم ، والخطب يغلبهم ... بين مرتاع ومصطبر
حجةٌ بيضاء أبلغ من ... مُبلغٍ فى القول مقتدر

* * *

وحى جبرائيل متصلٌ ... بين حلٍ منه أو سفر
ليس ينأى فى السماء ولا ... فى مدىً الأحلام والفكر
خلفاءٌ منك مَن حملوا ... عنك عبء السعى والسهر
خلفاءٌ منك كل فتى ... قارئٍ من هذه الزُمر
وتَوسَّم فى «بشارة» ما ... شئت من دخر لمدّخر
إن هذى الغاب منجبةٌ ... غَنيت بالأسْد والشجر
سوف تحيا باقى الأثر ... خالد الأعقاب والذّكَر

* * *

(١) إشارة إلى ضيق نطاق الصفحات فى أيام الحرب العالمية .

(٢) كان الفقيد يشرك أعوانه الصحفيين فى الرأى والخطة ويستمع منهم النصيحة ولا يعود عليهم بتبعة .

رثـــاء وعـــزاء

رثاء طفلة (*)

زهرةٌ كـــان وجـــهـــهـــا نـــور قـــلـــبـــي ونـــاظـــري
حـــملتـــهـــا يد الردى حـــملَ من لم يحـــاذر
فـــتـــوارت ولم يزل عَـــرفـــهـــا[1] ملء خـــاطري

* * *

ياضـــيـــاءً تضـــمـــنتـــه بطون الـديـاجـــر
قـــد أَجنُّوك في الثـــرى يا جنين الضـــمـــائر
فـــالزمي الرمس حين لا حلْمَ في عين باصـــر
فـــإذا أقـــبل الدجى وغـــفـــا كل ســـاهر
فـــاطرقـــينا مع الكرى حلمًـــا غـــيـــر نافـــر
وصلي عـــيـــشك الذي كـــان أحـــلام ســـادر[2]
وامـــرحي في صـــدورنا واضـــحكي في الســـرائر
ثم عـــودي إذا الصـــبـــا ح تجلى فـــبـــاكـــري
إنّ صـــعـــبًـــا على الصـــغـــا ر احـــتـــبـــاس المقـــابر

عزاء الأستاذ وجدي في والده (*)

أمـــــولاي رزؤك لا يجـــــهـــل وصـــبـــرك في الرزء لا يخـــذل
ومن كـــان يعلم كنه الحـــيـــا ة فـــالصـــبـــر من مـــثله أجـــمل
إذا كـــان كل امـــرئ راحـــلاً فـــأفـــضـــلنا الراحل الأول
وأدنى مـــصـــاب الفـــتى للعـــزا ء مـــصـــابٌ بكل امـــرئ ينزل

(*) رثاء طفلة : الجزء الأول .

(١) رائحتها .

(٢) غافل .

(*) عزاء الأستاذ وجدي في والده : الجزء الأول .

عــزاء المازنى (*)

يا صــديقى ، ومــا علمــتك إلا راضــيًــا بالأسى رضــاء الجليــد

إن تكنْ قــد رزئت بنتــا فــمــا قــد تعــوَّضت من بنات الخلود

لا تبت آســفًــا عليــهــا وهبــهــا وردة والـربـيع عــمــر الـورود

ربما عــوفــيت وأنت عليم من حــيــاة تودى بكل وليــد

رثـــاء أخ (*)

. . . .

يا راحــلاً صدع الحــمــام شبــابه فـعلمت كـيف تصدُّع الأكــبـاد

إنى لأحــسبنى أراك مــجــاهدًا والـنـيـل حــولـك دائم الإزبـاد

وأراك ترمــقنى وقــد غلب الردى وأقـــام جند الموت بالمرصـــاد

فى ســاعـةٍ مـا كـان أغـفل خـاطرى عــمــا عــراك وفتّ فى الأعــضــاد

أمـسيت رسمًـا فى الـتـراب مـعطلا وغــدوت نصب روائح وغــواد

ويحى ! أترقـد تحت أطبـاق الثـرى وأقــيم بعــدك هانئًــا برقــاد

أتبــيت رهن صــفــائح وجنادل وأبِيتُ بين وســائد ومــهـــاد

لـو أنصــفت أيامنا لبكيــتنى لكنهــا تجرى بغــيــر مــرادى

. . . .

يا زهرة شــرقت بما تحــيــا به فــذوت وأورق شــوكــهــا بفــؤادى

إن الحــيــاة - ومـا حـيـيتَ لكى ترى سـر الحـيـاة - كــثــيـرة الأضــداد

فلئن عــدوت من الحــيــاة نعــيــمــهــا فلقــد عــداك شــقــاؤها المتمــادى

(*) عزاء المازنى : الجزء الأول .

(*) رثاء أخ «توفى غريقا» : الجزء الأول .

على قبر أخ (*)

أيها القبر فيك غصن رطيب ... قصفته المنون قبل أوانه
مثل ما تعبث السموم بزهر ... عاطر ناضر على أغصانه
بنت يا مصطفى وما بنت على قلـ ... ـب كسير يذوب فى أشجانه
كان أحرى بك الديار من القبـ ... ـر وثوب العروس من أكفانه
سوف ألقاك فى الثرى عن قريب ... كلُّ حيٍ موكل بزمانه

إلى الصديق الراحل (*)

نظمت فى رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعى» يوم وفاته

غاية الحى ساعة من زمانه ... ينتهى عندها مدى جثمانه
طُويت صفحة السباعىّ فينا ... وهو طاوى الطروس فى تبيانه
مُسمِح النفس فى الحياة تولَّى ... مُسمحَ النفس فى الردى قبل آنه
لم يطامنْ لصرعة الموت رأسا ... مَنْ صراع الحياة لهو رهانه[1]
ذاقها صابرًا وساغ مُريرا ... من جَنى دهره ومن إنسانه
وتأسَّى ، ومثله من تأسى ، ... ضاحكا من كرامه وهجانه
فتنته غواية الأب الحـ ... ـر فأودى بقلبه فى افتتانه
وثنى راحتيه عن خفض عيش ... كان حينًا أقصى مُنى أقرانه[2]
ما أراه على الحياة حزينًا ... بعض حزن الصحاب يوم احتجانه[3]
يا سليم الفؤاد فى باطن الرأ ... ى سليم الفؤاد فى إعلانه

(*) رثاء أخ مات غريقا وقد ضاعت أكثر أبيات القصيدة .

(*) إلى الصديق الراحل : وحى الأربعين .

(١) كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيرا وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد فى سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه .

(٢) كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما فى الماضى ولكن السباعى رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب .

(٣) احتجن : جذبه بالمحجن أو ضمه واحتواه .

مرض الدهر فامض عنه معافىً   من أكاذيبه ومن أدرانه
أنت خدن الكتاب ، والموت سفرٌ   صدقُه ظاهرٌ على عنوانه

* * *

على قبر حافظ يوم وفاته (*)

أبكاءٌ وحافظٌ فى مكان ؟   تلك إحدى طوارق الحدثان
كنتَ أنسًا ، فكيف أمسيت يا حا   فظ تَدمى لذكرك العينان
كنت تتلو الرثاء ، معنى فمعنى   كيف أمسيتَ بعض تلك المعانى !
كنت أعلى الجموع صوتًا فهلاً   نطق الآن صوتُ ذاك البيان
وعزيزٌ على بلادك أن تذ   هب يوم انبريتَ للميدان
يوم اطلقتْ من أسارك حرًّا   وأبيتَ الإسار للأوطان
يوم أرسلتها على ظالمى الأو   طان طعانةً كحد السنان
ألهم الله مصر فيك عزاءً   لا بل العُرْبَ فى شفيع «اللسان»
كلما صائر كما صرت يوما   والذى قد صنعت ليس بفان

نصيب الحى والميت (*)

يا صديقى لنا البكاءْ   ولك الموت والسلامْ
عندنا النور والعناء !   عندك النوم والظلام!
ليس يأسى أخو فناءْ   بل أخٌ بعده أقام

* * *

أتبعُ الصحب فى القبور   ببكائى وما اهتديتْ
أنا لو دام لى الشعورْ   بعد موتى لما بكيتْ
عالمٌ كله غرور   عشتُ ما عشتُ أو قضيتْ

(*) على قبر حافظ يوم وفاته : وحى الأربعين .

(*) نصيب الحى والميت : هدية الكروان .

هالكٌ كلُّ مـــــا يكون ... تستوى النفس والصفاة
فلمن تحصـــد المنون ... ولمن تزرع الحيـــاة ؟
بدأت حكمـــة الجنون ... وانتـهت حكمة الهداة

* * *

الأستاذ غانم (*)

(كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضيت عليه رحمه الله وهو فى عنفوان أيامه ، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات .)

أكـان وداعـا يوم صـافحت غانما ... وهنأته بالعيد ، والعيد يسخر !
فـيـاويح للداعين فى غفلة المنى ... يرجّون طول العمر ، والعمر مدبر
وياويح للأبناء يا خيـر والد ... وقد رُوِّعوا فى ومكرهم حين بُشِّروا
أذاك صباح العيد أم أنا سامع ... صياح يتامى فى الحمى تتفطر ؟
تلاحق فى تلك الثغور كلاهما ... فـيـاهول ما نصغى إليه وننظر
وددت وقد ضن البشير بصدقه ... لو آن نذيرًا بالمساكين يعبـر
أغـانم إنى فى مصابك ذاهل ... قليل التعزى سافر الحزن مضمر
بذلت دموعى فى بكاك رخيصة ... ومثلك من يبكى ويرثى ويذكر
أفى كل يوم تبصر العين غانما ... ومن أين ؟ والأخلاق فى الناس تندر
عـرفت «أبا فـتح» تولاه ربه ... أخًا فى وغى الأيام لا يتقهقر
وفـيًّـا إذا شاع الوفاء وإنه ... عليه ، إذا عز الوفاء ، لأقدر
كريما إذا صال العداة وزمجروا ... كريما إذا خان الصحاب وقصّروا
صبـورا على ضر الغريم وإنه ... على الضر من ظلم الصديق لأصبر

(*) رثاء الأستاذ غانم محمد : عابر سبيل .

ضليعـا بأعبـاء الأمـور إذا ونى		مـدبر أمـر أو أسـاء مـقـدر
أخـوك «أمين»[1] فـرّق العـام منكمـا		صـفـيين لم يفـرقـهـمـا مـا يكدر
على مـوعـد العـام القـصـير التقيـتمـا		فليـتك من يسـهـو ومن يتـأخـر
سلام الخصـال الصـالحـات عليكما		وحـمـد المعـالى والثنـاء المعطر
ولا زال فى دار المعـارف منكمـا		صنيع على الأيـام يـروى ويشكـر

رفيق الصبا(*)(2)

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا		ومـا كـان أغلى مـا بكيت وأطيـبـا
وآذن فـيك الصـبـر أن لا يعـينني		وآذن فـيك الحـزن أن يتـغلبـا
أألقـاك عند النيل إن عـدت فى قنا		وارعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟
ونشـتنشـد الأشـعـار فى كل ليلة		ونطلب فى كل الأحـاديث مطلبـا
ونحـسـب أن الله لم يخلق امـرءاً		على الأرض إلا كى يقـولَ ويخطبـا
ونحـصى على الدهر البـرىءِ ذنوبه		ومـا كـان إلا مـازحًـا حين أذنبـا
أألقاك ؟ بل هيهات قد حالتَ المنى		فـأقـربُ منهـا أن أصـافحَ كـوكـبـا
إذا عدت استحيى الشبابين فى قنا		وجـدتك رسـمًـا فى التـراب مـغـيّـبـا
وسـاءلت عنك الصـحبَ أين مـزارُه		وأذريت دمـعًـا عن قـبـرك صـيِّـبـا

* * *

عـجيـبٌ لعـمـرى مـوتُ كل مـحـبّب		إلينا ، وقـد كـان التـعـجب أعـجبـا
حسين ! عـرفت الموت فـيك غـريبـة		ومـا تعـرف الدنيا سوى الموت مـذهبـا
أمَنْ هو فى ذِكـرِى فتى العـمـرينطوى		كـمـا طوت الأسـقام شيـخًـا معـذَّبًا ؟
نعم ينطوى الشبان والشيب فى الردى		ورب فـتـى فى الردى فـات أشـيـبـا
وسيـان فى عقبى الطريقين من مشى		على عـصـويه من عيـاءٍ ، ومَن حبـا

---

(1) الأستاذ أمين لطفى وقد توفى أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد .

(*) رفيق الصبا : هدية الكروان .

(2) رثاء الصديق حسين الحكيم من أدباء قنا المعروفين بالورع .

عهدتك فى شرخ الشبا ناضر الصبا ... وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره ... ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

* * *

رفاقَ حسين أبّنوه وأطنبوا ... فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا
لقد كان ميمون النقيبة صالحًا ... وكان أمين السر والجهر طيّبا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى ... ولا يذكر الإخوان إلا تحبُّبا
وكان على كنز القناعة آمنًا ... وإن قصّر المسعى بدنياه . أونبا
إذا استمرأتْ مرعى الخيانة أنفسٌ ... تحرَّج منها مُعرضًا وتحوّبا
وكان عزيز النفس فى غير جفوة ... ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا
وكان سميرًا يملك السمع كلما ... تبسّط فى أسماره وتشعَّبا
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرة ... ويؤثر فى الآداب من كان معربا
أليفا وفيا لا يفارق صاحبًا ... ولا منزلا إلا انثنى فتقرَّبا
أحبَّ قنا واستعذب العيش فى قنا ... فلم يُغره عيش ، وإن كان أعذبا
لئن ذكر الوافون عهد ولائه ... لما ذكروا إلا الوفيَّ المهذَّبا

* * *

رفاق حسين أسهبوا فيه واذكروا ... رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبا
على كثب منه اجتمعتم فليت لى ... مكانًا من الجمع القنائيَّ مكثبا
كأنى وقد فارقته قبل يومه ... سمعت له نعيين يوم تغيبا

* * *

إذا مارثى المحزون إلف شبابه ... رثى قلبهُ شطرًا من القلب مخصبا
وودع من عهديه فى العمر قِبلةً ... أخفُّ على الروّاد زادًا وأرحبا
إذا جازها أودى بمختار عيشه ... ولم يبق إلا ما اتقى وتهيبا

أليف الصبا لا تشك فى الموت وحشة ... فما زال ركب الموت أحفل موكبا
تعاقبت الأجيال تحت لوائه ... وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا
وما الزمن المحضور إلا بقيةٌ ... من الزمن الماضى تلاقت لتذهبا
عليك سلام الله حتى يظلنا ... سلامٌ أظل الناس شرقًا ومغربا

نعى حافظ

كلُّ خطب دار فى خلدى ... غير خطب فتّ فى عضدى
نعىُ من قد كنت أحسبه ... بعد يومى ، باقيا لغد
حافظٌ يُنعى إلى ؟ لقد ... غلطت دنياى فى العدد
ساء ذاك النعى من بدَل ... كان من لقياه فى بلدى[1]

* * *

الشهيد معاوية(*)

(. . . احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل رحمه الله فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوض الله الأدب فيه خير العوض وعزى الأدباء أحسن العزاء :)

أجل هذه ذكرى الشهيد معاويةْ ... فيالك من ذكرى على النفس قاسية
أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه ... ولا يوم تكريم ، ودنياه باقية
فما أقصر الدنيا التى طوّل الضنى ... أصائله فيها ، وأشقى لياليه
وما أضيع الآمال آمال من رأوا ... مطالعه فى مشرق النور عاليه
ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا ... على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه

(١) وصل نعى الأستاذ حافظ جلال إلى صاحب الديوان وهو فى بلدته أسوان منتظرا قدومه إليها للاستشفاء .

بكائى عليـه من فـؤاد مـفـجّع ومن مـقلة مـا شـوهدت قط باكـيـة
بكائى على ذاك الشـبـاب الذى ذوى وأغـصـانه تختـال فى الروض نامـيـة
بكائى على مـا أثمـرت وهى غـضـة وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
فـضـائل منهـا نخـبـة أزهرت لنا لمامًا ، وأخـرى لم تزل فـيـه خـافـيـة

* * *

تبـينت فـيـه الخلد يوم رأيتـه ومـا بان لى أن المنيـة آتيـة
ومـا بان لى أن أطالع سـيـرة خـواتيـمـهـا من بدئهـا جـدّ دانية
وأن اسـمـه الموعـود فى كل مـقـول سـيـسـمـعـه الناعـون من فم ناعـيـة
أجل هذه ذكـراه يا نفس فـاذكـرى فـجـيـعـتنا فـيـه ، ومـا أنت ناسـيـة
أجل هذه ذكـراه يا عين فـاذرفى عليـه شـآبيب[1] المدامع دامـيـة
إذا قـصـرت أيام من نرتجـيـهـمُ فـيـاطول حزن النفس والنفس راجـيـة
ويا طول حـزن النفس وهى منيـبـة إلى اليأس من عجز بها ، وهى آبية
فـيـايوم ذكـراه سنلقـاك كلمـا رجـعـت إلينا والضـمـائر صـاغـيـة
ويا عـارفـيـه لا تضنوا بذكـره ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعـيـروه بالتـذكـار مـاضنّ دهره به عـيشةً فى مـقـبل العـمـر راضيـة
وزيدوا النفـيس النزر من ثمـراته بتكرارها فى القلب أولى وثانيـة
فإن لم تكن فى العـد كثرًا فـباركـوا مـعـانيـهـا حـبًا ، ووفّـوا مـعـانيـه
عليـه سـلامٌ لا يزال يعـيـده ويبـديه شـاد فى الديار وشـادية

يوم إبراهيم(*)[2]

عـجـبى لأحـداث الزمـا ن ، وكـم رأيت وكـم رويتْ !
أولى الفـجـائع باتقـا ئى ، لم يكـن مما اتقـيتْ
مـا دار فى خلدى ولا فكرت فـيه ، ولا احتـميتْ
لما نعـوه حـسـبـتـه فى الأرض لم يسبقه ميتْ

(١) جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر .

(*) يوم إبراهيم : بعد الأعاصير .

(٢) الشاعر الناثر ، الأديب الناقد ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحمه الله ، وقد تلقى صاحب الديوان نعيه وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة (١٩٤٩) .

يا يوم إبراهيم حسبي من لقائك ما التقيت
لم أنتظرك ولست أذكر في غد كيف انتهيتْ
لوددت أنك يا أخي في الناس آخر من رأيتْ
هل في البريّة صاحب أُبقي عليه، وقد مضيت
ما بعد نعي النفس من حزن يطاق، وقد نعيتْ

أخي إبراهيم (*)

أمير بلاغةٍ وأمين نقد ورب رسالة، وبشير عهد
وذو قلم كغصن الروض يُهدي جناه أو كحد السهم يُردي
أديب راض أفذاذ المعاني على ألفاظها ندا لندّ
له لبٌّ يترجم كلّ لب وينقل عنه ما يخفي ويبدي
مليء القلب من ثقة وحب بريء الصدر من حسد وحقد
أراح الحاسدين، فإن تحدّوا له فضلا، أعان على التحدي
إذا اقتتلوا على الجدوى رماهم بقول أبي علاء «غير مُجد»
وتحسبه استراح إلى سبات ويسبق غايةً اليقظ المُجدّ
فسل عنه شعاب «الضاد» تعلم مناهل فيضه في كل ورد
إذا عنّ المصاب به فويلٌ لفرد خصّه بمصاب عِدّ(1)

* * *

وقالوا «المازني قضى» فضلّت مقاصد قولهم، أو ضل رشدي
كأنّ حديث مازعموا خيالٌ بعيدٌ في الحقيقة أيّ بعد
إذا عينٌ غفت فاعجب لأخرى من العينين عالقةٍ بسهد

* * *

صحبنا العمر عامًا بعد عام على الحالين من ضنك ورغد
وبين تعهّد منه ومني وبين تبسّط منا وجد
وغيّرت الحوادثُ كلَّ عهد سوى ما بيننا من عهد ود

(*) أخي إبراهيم: بعد الأعاصير.

(1) أي مصاب كثيرين.

إذا أخـــذت مــــذاهبنا ورَدَتْ أمنّـا نحـن مـن أخـــــذ وردّ
ونجـمـد فى العـشـيـة ملتـقـانا إذا ذهب النهـار بكل حـمـد
وأرحب مـا تلقّـانا اجـتـمـاعٌ على شـمـلين من أدب ونقـد
هى الآفـاق عـاليـةٌ ذراها على مـا ضـاق من غـور ونجـد
رأينا كلَّ صـادعـة فـزالت .. أيصـدع مـا رأبنا شقٌ لحـد !

* * *

. . . .

نمينا شـعـرنا صنوين حـينا فكيف رثاؤه بالشـعـر وحـدى
وجـاوزنا السـهـول مـعًـا فـمـاذا ستـجـدى فى الوعـود جـهـودُ فـرد
إذا ثقل الشـبـاب ، ولى زمـيـلٌ فـيـابؤس المشـيـب المسـتـبـد[1]
حـيـاةٌ إن تطلْ فـالويل ويلى وإن تقـصـر فـقـد أُبلغتُ قـصـدى
سـلامًـا أيهـا الدنيـا سـلامًـا لأنت أحبُّ لى لو عـاش بعـدى

عـــزاء(*)

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقى ،
فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات :)

أخى ، منذ أعـوام تلألأ مـسكنى وشـاع به ضـحك الرضـا والتّـيـمّن
لقـد كـان عـرسى يومـذاك ، ومـولدى بـكون جــديد مـن هوىً وتحـنن
أخى ، تلك أعـيادى وأعـيـاد زوجـتى ومـا حلّ منهـا العـيـد إلا ذكـرتنى
وأرسلت لى فى كل عـيـد مـهـنئـا وباركتَ لى فى جنتى وغـبطتنى
مضت هذه الأعـيـاد من غـيـر وجـعـة وهذى مـرائى زوجـتى اليـوم فـارثنى

فأرسل إليه صاحب الديوان هذه الأبيات معزياً :

أخى ! مـا عـزائى أن أهوّن فـاجـعًـا أراه - وإن لم أبلهُ - غـيـرَ هيّن
ولكن عـزائى هذه الحـرب زلزلت قلوب بنى حـواءَ فى كل مـأمن

---

(١) استبد بالسير : انفرد به .

(*) عزاء : بعد الأعاصير .

ولكن عـــزائى هذه الـفـــتنة التى أطاشت رؤوس الخلق من عـاش أوفنى
ولكن عـــزائى هذه الأرض علّمت بنيـهـا هوان العـيش علمَ التّـيـقّن
قـضــاءً علينا فى الحـيــاة فـراقنا لأحـبـابنا حـيث التـقـينا بموطن
فـجـيـعـتنا فـيـمن نحب بديلهـا فـجـيـعـتـهم فـينا ، ومن يبق يُغبَن
فـلاترضَ للأحـبــاب غـبنًا يؤدهم وليس الرضـا فى الحـالتين بممكن
ألا هان عـــيشٌ لا يزال خـيـــاره لن يرتجيـه شـاكـيًا : مُتْ أو احـزن

* * *

أخى ! هذه الدنيـــا وهذا عـــزاؤها قصاراه - بعد الجهد - تسليم مُذعن
ومـا أحـسب الإيمان إلا حـقـيـقـة فـلا صبـر فـيـهـا لامرئٍ غـيـر مؤمن

نعى كاذب(*)

لقـــد كــذب الناعى وأنعمْ بكذبه فـلا صـدق الناعـون يومًا ، ولا همـوا
فـزعتُ لخطب الموت والموت واحــد فكيف احـتـمـالى فـيك مـوتين يا أمُّ

صادق بعد حين

ســرى نبـــأ لا يهـــاب الظلامـــا ولا يتــــقى يقظة أو منـامـــــا
يقينٌ ومـــــا خلتـــــهُ باليـــقـ ـين ، ولا اعتصم القلبُ منه اعتصاما
فــــراقك يا أمّ لم أحــتـــسـب له بغــــتـــــةً أو نذيرًا ترامى
ومـــا روّضـــتنى له الحـــادثا ت ، وإن رضّتْ منها الخطوب الجساما
كـــأنى ادّكـــرتك لى مـــولدا فلم ادّكـــر لك يومًـــا حـــمـــامـــا
حـــسـبت الأمـــومـــة أخت الدوا م ، وخـادعتْ ظنى عليـهـا دوامـا
وأفـــحـــمنى فـــيك خطب النّعـ ـىّ ، وفى غيره ما شكوت الفُحاما

* * *

تعـجّب قـوم لشـيخ بكـى . . . أكـان المشـيب لدمـعى فطامـا ؟
وأمٍ لما دون عـــــشـــــرٍ تعـ ـزّ فـراقـا فكيف لسـبـعين عـامـا

(*) نعى كاذب : وحى الأربعين .

لئن عظم الموت يا أمّتا ... لقد هان يوم سكنت الرغاما
وما أرخص النور لما غلا ... على مقلة لا تطيق السّواما
خلا الكون منك فماذا أرى ... من الكون بعدك إلا ظلاما
فيا هولها من قفار تركـ ... ـت ، ويا شد ما قد عرتِ الرّجاما
تلاقَى ذَوىّ ببطن الثرى ... فأنعم بحيث أقاموا مقاما
لأجلك كنت أخاف الخطو ... ب ، فما الخوف بعدك إلا سلاما

آخر الخطباء

أسمعت جهدك يا نعيّ وهيب[1] ... إن السميع اليوم غير مجيب
اليوم يصمت من كرام لداته ... في مصر ، آخرُ قائلٍ موهوب
اليوم غاب بقيةٌ من معشر ... أذنت منابرهم بطول مغيب
تلك المنابر ودّعت فرسانها ... من كلّ ذي لسَن وذى أسلوب
لا نسمع الفصحى على أعوادها ... سحرًا لأسماع لنا وقلوب
كلا ولا يهتز موقع شدوها ... إلا لصوتٍ طارق بنعيب
خطبٌ ولكنْ ما له من خطبة ... «قطعت جهيزةٌ قول كل خطيب»

داء بغير طبيب

جلّ في العارفين خطب «حسين» ... رجل الفضل والنهى والسداد
الطبيب اللبيب ، يرحمه اللـ ... ـه . لقد كان رحمةً للعباد
ما استبد السقام إلا شفاه ... باجتهاد من طبه واقتصاد
كيف يعدو عليه عادى المنايا ... وهو يثنى من غربها كل عاد
لو يُفدّى من المنية حيٌّ ... حق فيه الفدى على ألف فاد
«كيف أصبحتَ في محلك بعدى ... يا جديرا منى بحسن افتقاد»[2]
يا وفيا ، ولا وفاء بعهد ... في اقتراب من أهله وابتعاد
محييَ الود للمغيَّب في الدهـ ... ـر وقد مات فيه حي الوداد
عاليَ الرأس لا تصيخ لغاو ... راح يكسو غيا بثوب رشاد

(١) رثاء الخطيب المغفور له الأستاذ وهيب دوس .
(٢) هذا البيت مقتبس من المعرى .

عـازفـا عن مطامع العـيش كـبـرا — عن صـغـار الآمـال والأحـقـاد
«همـة» مـثلمـا تسـمـيت تعلو — عن منال الأنداد والحـسـاد
كم رجـاء زهدت فـيـه ومـا كـا — ن زهيـدا فى شـرعـة الزهاد
مـؤمنا بـالإلـه تعـلم أن الطـ — ـيب علـم ينهى عن الإلحـاد
ليت شعـرى : من كنت تحنو عليهم — فى الثـرى ، هل حللت منهم بواد ؟
هـل تـلاقـى روح بـروح ووافـى — آخـر العـمـر أول الميـلاد :
تلك رؤياك كنت تنعم فـيـهـا — كنعـيم العـيـان للشـهـاد[1]
كم صـحـبنا الزمـان حلوا ومـرا — وخطوب الـزمـان بالمرصـاد
والتـقـينا على الجـوار كـأنى — آمـن عـنـد حـصنك المرتاد
تسـبق النخـبـة الأجـلاء طبـا — وأرى منـك أسـبـق العـواد
وافـتـرقنا يوم افـتـرقنا على مـو — عـد لقـيـا ، فكان يوم المعـاد[2]
تسـتـعـيد السؤال عنى ولا تسـ — ـأم نصـحـى يومًـا ولا إرشـادى
وأناديك سـائلا بعـد نأى — فـيـجـيب النعـاة رجع المنادى
يا طبـيـبى مما يكابد جـسـمى — وطبـيـبى مما يعـانى فـؤادى[3]
إن حـزنى داء بغـيـر طبـيب — ونوى طوحت على غـيـر زاد
أحـسن الله يا حـسين اصطبـارا — فـيك لو يهـتـدى إلى الصـبـر هاد
هل يقـر العـيـون طول سـهـاد — إن أقـر العـيـون طول رقـاد ؟

(١) كان الدكتور حسين همت طبيبا للشاعر وكان بينهما تجاور وتزاور . وكثيرا ما تحدث الطبيب إلى الشاعر فى موضوع الأرواح والحياة بعد الموت على أثر مصابه بفقد بعض أهله وأعزائه . وإلى ذلك يشير الشاعر فى بعض أبيات القصيدة .

(٢) علم صاحب الديوان بوفاة صديقه من رسالة بعض الإخوان أثناء رحلته الشتوية إلى أسوان ولم يطلع على نعيه فى الصحف .

(٣) كان الطبيب أول من يعود الشاعر وإن تولى علاجه طبيب غيره من الجراحين أو أطباء العيون ، وهذا معنى البيت : «تسبق النخبة الأجلاء ...» .


متفرقات

الشاعر الأعمى (*)

شكا الشاعر الباكى عمىً قد أصابه ... وأظلم ما نال العمى جفن شاعر

ينوح بعين لم يدع عندها البلى ... سوى نبع حزن ناضب الماء غائر

وتلحظ عين الشمس شزرًا جبينه ... فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر

ويسألهم : هل أومض البرق فى الدجى ... وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟

وهل يلمع الدرُّ المنضد والحلى ... على الغيد أم بات الحصى كالجواهر

تكاد تشق الأفقَ زفرة صدره ... إذا راح يلحاه بصيحة حائر :

«تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى ... ليهديَه فى فتكة بالجآزر

وترميه فى بئر عميقٍ قرارها ... وتسفكه فوق البطاح الغوامر

وتسلبنى نورًا أراك بوحيه ... فأظهر ما أخفى سواد الدياجر

وأرجعه معنى على الطرس مشرقًا ... يضىء سناه مظلمات السرائر ؟

لمنْ تجمل الأكوان إن كان لا يرى ... بدائعَها عين ترى كلَّ باهر

فما كانت الدنيا سوى حسن منظر ... وما جاد فيها الحظ إلا لناظرى

وهل كنت أخشى الموت إلا لأنهُ ... سيحجب عنى حسن تلك المناظر ؟

فها أنا لا جهد الحياة بهاجرى ... أمينًا ولا ريب المنون بزائرى

جمعتُ شقاء العيش فى ظلمة الردى ... فيالىَ من ميت شقى الخواطر

أرى الصبح وهاجًا بمقلة نائم ... ويلحظه قلبى بحسرة ساهر

ومن لى إلى هذا الوجود بلمحة ... أراه ولم يعم التراب بصائرى

فيا قلب انفق من ضيائك واحتسب ... لدى الشمس لألاءَ الوجوه النواضر

(*) الشاعر الأعمى : جزء أول .

تنازع الفردوس (*)

يتحاسدون على الهباء فما لهم | لا يحسدون البَرَّ فيما يؤجر
نقموا على الكفار أن تركوا لهم | أجر السماء وأنكروا ما أنكروا
لو كان ما وُعدوا من الجنات فى | هذى الحياة لسرَّهم من يكفر (1)

المصور (*)

. . . .

فى طى ريشته وضمن بنانه | روح بها يحيا الجماد فيخلد
بينا يداس على الثرى حتى يُرى | ربًا تخر له الجباه وتسجد
أولى القرائح بالدوام قريحة | تجرى على الصخر الأزل فتجمد (2)
معبودةٌ فيما تحل كأنها | ظل الإله على الخلائق يُعبد

إيه يا دهر (*)

إيه يا دهر هات ما شئتَ وانظر | عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك إلا | هان بالصبر منه ما لا يهون

(*) تنازع الفردوس : جزء أول .

(1) يود الناس أن يكثر المؤمنون منهم ليشاركوهم فى نعيم الفردوس الموعود ولكن ترى لو كان الفردوس دارًا فى هذه الدنيا أكانوا يودون أن يكثر شركاؤهم فيها ؟؟ .

(*) المصور : جزء أول .

(2) إذا ثبتت القريحة على الصخر الأزل الذى لا يثبت عليه شىء فهى إذن أولى بالثبات والدوام .

(*) إيه يا دهر : جزء ثان .

رحلة إلى الخزان [*]

قلت وهل يفهم عن لساني ... «ما بيننا يا ذئب من أضغان

فاذهب إلى وردك في أمان ... لا يحرم الماء على عطشان»

فمرّ يعدو كاشر الأسنان ... وهو ينادينا ولا يداني

حتى وردنا أول البنيان ... على دويّ هائل مرنان

موّارِ ماءٍ ثائر الدخان ... كالنقع قد ثار على الفرسان

مصطفَةً في حلبة الدهان ... قد غلب الصوتُ على الآذان

فبات أدنى الهمس كالأذان ... مستويين ليس يُسمعان

وشرّد النوم[1] عن الجنّان ... فردّدت صداه في الرعان[2]

وتحسب الماء من النيران ... مندلعًا يقذف بالصّوان

طرائقًا في الأرض ذا ألوان ... كالليث أحيانًا وكالثعبان

مندفقًا منحسرًا في آن ... مرتفعًا منحدرًا سيان

ملتئما منشعب الشغبان ... يبيّض كالمحض من الألبان

مجذذ[3] الرغو على الصّمان ... قد شنها في تكلم القيعان

شعواء تغري القوم بالطعان ... وتحفز الخيل إلى الميدان

وتجعل الراضي كالغضبان ... وتبعث النخوة في الجبان

قامت عليها أعين الشهبان ... وارؤس الجبال تشهدان

وكم لهذا الماء من معان ... في قوة البطش وفي الليان

وفي اختلاف الشكل والجثمان ... كأنه يلبس ثوب الجان

فصاعدٌ في الجو كالعقبان ... وسارب في مزحف الديدان

وغائصٌ في الأرض كالشيطان ... ولاعبُ الأمواج كالحملان

(*) رحلة إلى الخزان : جزء أول .

(١) كأن دوى الماء أقلق الجن فقامت تردد صداه .

(٢) أنوف الجبال .

(٣) مقطع أو مفتت .

وطائر البـــخـــار فى الأعنان كـــالنفس الخـــافى عن العـــيـــان
وفـــيـــه من أمن ومن عـــدوان فـــهـــو قـــوام الزرع والأبدان
وهو الوباء الجـــارف الطوفـــان وهو هو الدنيـــا لدى الظمـــآن
وهو هو الموت لدى الغـــرقـــان شـــارفـــتـــه والليل شطرتان
فـــمـــا صـــغـــا الليل لصوت ثان ولا أمـــال مـــســـمع الأمـــان
ألا إلـى هـاتـيـكـم الألحـــان كـــأنهـــا تجاوب الغـــيـــلان
ثُمت أدلجنـا إلـى أســـوان وفى طريق الصـــبـح غلوتان
فـــيـــالهـــا ، ومـــا عـــدوت شـــانى، من رحلة طيـــفـــيـــة الأوان[1]

أتمنى (*)

أتمنى يومًـــا لو أن حـــيـــاتى تنقـــضى كلهـــا ولا أتمنى
أتمنى وقـــد أطلت التـــمـنى لو تعلمت كـــيـف أن أتمنى
أتمنى لو علمـــتنى الليـــالى باطل الأمـــر قـــبل أن أتمنى
منيـــة لو تحـــقـــقت لتـــساوى مـــا تملكتـــه ومـــا أتمنى

* * *

(١) نسبة إلى الطيف والطيف يسرى ليلا والإدلاج هو مشى الليل .

(*) أتمنى : أعاصير مغرب .

القمة الباردة(*)

(للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئًا ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلى كل حركة متشابهة فى كل ذرة . فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التى لا يشعر فيها بحياة .)

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى ... فإياك والقمة الباردة
هنالك لا الشمس دوّارة ... ولا الأرض ناقصةً زائدة
ولا الحادثات وأطوارها ... مجددة بالخلق أو بائدة
قوالب يلتذ تقليبها ... أناس وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها ... وألوانها أبدًا واحدة
وتعلو وتهبط جدرانها ... وأساس جدرانها قاعدة
ويابؤس فان يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة ... وحى له جثة هامدة
إلى الغور !! أما ثلوج الذرى ... فلا خير فيها ولا فائدة

على أطلال بعلبك(*)(1)

أيا «بعل» هذا قادم لك مقدم ... وفىّ لمن يزرى به الدهر مكرم
دعوتَ وحوليك الاسنة شرّع ... فلباك لا تثنيه نارٌ ولا دم
أتاك من الوادى الذى فى ضفافه ... تسامى «لآمونَ» البناء المدعّم
وأقوى كما أقوت ذراك على المدى ... وأقصر عنه العابدون وأحجموا

(*) القمة الباردة : جزء ثالث . (*) على أطلال بعلبك : جزء رابع .

(1) «بعل بكى» معناها سيد الوادى كما يرجح بعض المؤرخين .

يحـيـيك عن «آمـون» فى مـسـتـقـره | وأنت المحـيـىّ باسـمـه والمسلم
فـمـا بعل إلا اسم لآمـون تلتـقى | له صـور شـتى ولفظ مـقـسّم

* * *

ويا دار بـعـل وهـى لا بـعـل عـنـدها | وياحـصن بعل وهى لا شىء تعـصم
ويا جـارة الماضين والدهر جـائر | ويا مـشـرق الآمـال والليل مظلم
عـزاءً إذا أدبرت والعـيش مـقـبل | وروضك مطلول[1] الأزاهـيـر يبـسم
ولـم يـدفـع الأربابُ عـنـك ولا الألـى | أنابوا إليـهم بالـدعـاء ويمـموا
ومـا حـيلة الأرباب فـيـك وإنهـا | لتُبنى كـمـا تبنى الصروح وتهـدم؟!

* * *

«جبيتير»[2] جبار الصواعق ساهر | عليك وسلطان العُـقـار مـخـيّم
وللـزهرة الغـراء عندك قـبـلة | يطل عليـهـا مـسـجـد متـجـهم
وفـيك مُـصلّى للمـسـيح ومطهـر | وفـيك منار للنبى ومـعـلم
شـفـاعـات أرباب لـديك كـثـيـرة | وركنك مـصـدوع العـمـاد مـحطم!
فمن ذا يرجى العـفـو أو يأمن الحمى | إذا مـا طغى صرف من الدهر مبـرم ؟

* * *

عـزاء إلى اليـوم الذى فـيـه يسـتـوى | أخـيـرٌ على حكم الردى ومـقـدَّم
وصبرًا إذا ما شئت صبرًا على البلى | وإن لا تشـائى فـالقـضـاء مـحـتم
سـتـحـفظك الذكـرى مليًّـا وتنطوى | فـلا ذاكـرٌ يومًـا ولا مُـتـرسِم

(١) حول الهيكل المتهدم روض يتجدد كل عام بأعذب الفاكهة هناك وأنضر الأزهار .
(٢) أو «زوس» إله الآلهة ورب الصواعق وباكوس رب الخمر ولكل منها معبد فى الهيكل .

إلى غندى يوم إفطاره (*)

غندى لك النصر المبين على المدى ... ولشانئيك الخسر والخذلان
لم ألق قبلك من يحرر قومه ... وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان تصلح أمة ... أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم ... بعض السقام من السقام ضمان
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم ... بقر السَّوام ويُلعنَ الإنسان
عكسوا الأمور فكان عكسُ أمورهم ... بعضَ الجزاء ، ومن أهان يهان
فاشع لنقص القوم عند كما لهم ... فكذاك تغفر ذنبها الأوطان[1]

الظن[3](*)

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا ... وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ ... فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

القلم المسروق (*)

زاملنى فى السجن ذاك القلم[2] ... وناله ما نالنى من قسَم
ومس من فكرى وأسراره ... ما رامه الناس وما لم يُرَم
فربَّ معنىً ما وعاه سوى ... ريشته ، ثم انطوى فانحسم
وكم له من حصة تُرتَضى ... فيما جرى من أدب أو حكم
وكم له من نفخة كالصَّبا ، ... وكم له من لفحة كالضَّرم

(*) إلى غندى يوم إفطاره : وحى الأربعين .

(١) الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع فى غفران سيئة .

أما الوطن الذى لا غفران له فهو الوطن الذى لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربى عليها .

(*) الظن : أعاصير مغرب .

(*) القلم المسروق : عابر سبيل .

(٢) كان هذا القلم من الودائع التى بقيت فى السجن تسعة أشهر ملفوفة محبوسة كذلك .

وكم لـه مـن زهـر مُـجـتـنـى ... وكم لـه من ثمـر مُلتـهـم
سـجّل مـا سـجّل من رحـمـة ... أو نقـمـة مـرت بأرض الهـرم

* * *

ورب مسكين قـضى حـقـه ... وغاشم أحـصى عليه اللّمم
أعـزته عن حليـة تُقـتـنى ... وصنتـه عن غاليـات القـيَمْ
ولى أخٌ يذكـرنى بالنعمْ ... فـقلت أجزى بعض تلك النعم
فلم أجـد أنفس منه لمن ... مـحّضنى قلبًا نفيس الشّيمْ
قـد صـان مـا أكـتب فى صدره ... فـغـيـر بدع أن يصون القلم
يظل يستوحيه فى كل ما ... أوحى ، ويرعـاه كـرعى الذمم

* * *

رعـاه فى أمن إلى أن قـضى ... عليه بالفـقـد قـضـاء حـتَم
فـغـالـه منه لصـوص لهم ... من كل عين فـرصـة تُغـتـنم
فى يوم حـشـر حـافل المزدحمْ ... ضلت به العين مكان القـدم
قـد نام عنه لمحـة فى الضـحى ... فـبـات فى ليلتـه لم ينم

* * *

أمـا وقـد فـارقـتنا يا قلم ... وصـالـح اليـأسُ عليك الألم
فـخـيـر مـا أرجـوه أن لا تُرى ... فى كف خـوان ولا مُـتّـهـم
ولا تخط الجـهل فى صـفـحـة ... «أبيضُ» مـا فـيـهـا سـواد الحـمم
ولاتـكـن يـا قـلـمـى آلـة ... تشـتـمنى باللغـو فـيـمن شـتم
فـتنظم الحكمـة لى من هنا ، ... ومـن هـنـا تـنـحـى عـلـى من نـظـم
بدأت فى الأوج فـلا تنحـدر ... إلى حـضـيض الذل فى المخـتـتم

* * *

بين التعب والراحة (*)

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب فى ازدياد

ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب فى ازدياد
ما ابتغاء المزيد من يوم أمن عاطل لا يزاد بالتعداد
فالزمان المريح تكرار شىء واحدٍ واطّراد حال معاد

* * *

هذا هو التاريخ (*)

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحى
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يومًا على المسرح

* * *

رأى الناس (*)

من عوّد الناس خيرًا طالبوه به كأنه الدَّين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقّبهم شرًا فأمهلهم يوما تقبَّل منهم أجر مشكور
لا أرى للناس فى نفع ولا ضرر وما لهم قط من حكم وتقدير

(*) بين التعب والراحة : أعاصير مغرب .
(*) هذا هو التاريخ : أعاصير مغرب .
(*) رأى الناس : أعاصير مغرب .

سيان (*)

إن قـبل بالحق أو البـهـتـان
دعـهم يقـولون ، وقل سـيـان ،
سـيان مـهـمـا افـتـرق الضـدان
سيان مـهـمـا اختلف الخصمـان
سـيـان ألفٌ هي أو ألـفـان
سـيـان بيـدٌ هي أو مـغـان
سـيـان نـور أو ظلام فـان
سـيـان من يلهـو ومن يعـانى
قـلـهـا بـبـرهان ولا برهان
وأنـت أنـت أحـكـم الـزمـان
وإن تـصـدوا لـك بـالنـكـران
أو ضـحكوا سـخـرًا فـقل سـيـان !

خداع النفس (*)

يقـول ومـا قـضى عـجـبًـا فـتى يخـبط فى حـدسـهْ
أيخـدع نـفـسـه رجل لـه عـيـنان فى رأسـه؟
أجل يا صـاح : عـينان! وزد مـا شـئت من حـسـه
وهل أخـدع للإنسـا ن بين الناس من نفـسـه
خـداع النفس مـعـهـود وقـاك الله من دسـه

(*) سيان : أعاصير مغرب .
(*) خداع النفس : أعاصير مغرب .

الأستاذ طاهر (*)

أخى السيد طاهر :

قل لى بحــــقك كم بلغت سنينا ... خـمـسين ؟ أو سـتين ؟ أو سـبـعـينا
إنى أراك كـــمـــا عـــهـــدتك بادئًا ... شـــوط الشـبـــاب تناهز العـــشـــرينا
قـــد كنت بين الناشـئين مـــحنَّكا ... حـسن الأناة ، مع الخطوب ، رصينا
واليـوم تقـتـحم الكهـولة سـابقـاً ... خطو الشـبـيـبـة لا تطيق سكونا
آناً فـــتـىً بين الشـــيــــوخ وآنةً ... شـيـخـاً مع الفـتـيان مـسـتـبـقـينا
خـــذ هذه أرقـــامنا من واحـــدٍ : ... ضعْ بعـــدها الشـــفـــر العـزيز يمينا
عـــشـــرًا إلى عـــشـــرين أو خـــمــــسـ ... ين أو ستين صاعدةً إلى التسعينا
إن قلت عـــشـــرا صـــدقـــوك وإن تقل ... تسعين قلنا عـشـتـهـا عـربونا

* * *

أفـــتى طناح لا برحت مـــهنئًـــا ... ومـــهنَّأ بالصـــالحـــات قـــمـــينا
إن السنين - وقــد صـدقتَ - لعلهـا ... مـــرت بمدرجـــة الزمـــان قـــرونا
وإذا حـــســـبت صـــفـــاءها فلعلهـــا ... ساعات حلم ما اغتمضن جفونا
حـسـبى وقـد فـرغت يدى من زادها ... أنى أبَيتُ لـهـــا الـفـــراغ قـــرينا
ورضــــاى عنهـــا أنهـــا لم تُرض فى ... عـــهـــد ظلومًـــا أو تسـر خـــؤونا
ومناى منهـــا أن أعـــيش ولا أرى ... أبدًا بأوهام المُنى مـفـتـونا
ومـداى فـيـهـا أن أودّعـهـا ومـا ... ودعـتـهـا أسِـفـا ولا مـحـزونا
مـــا دام فـــيـــهـــا حـــامـــدون كطاهر ... فـالله أحـمـدُ . لست بعـدُ غـبـينا

(*) إلى الأستاذ طاهر الطناحى جوابا لقصيدة كتبها إلى صاحب الديوان لمناسبة بلوغه السبعين .

الفن الحى (*)

أو الحياة الفنية

خذ من الجسم كلَّ معنى ، وجسِّم — من معانى النفوس ما كان بكرا
حبذا العيش يبدع الفكر جسما — تجتليه ، ويبدع الجسم فكرا
ويرى الفن كالحياة حياةً — ويرى للحياة فنا وشعرا
ضلَّ من يفضل الحياتين جهلا — واهتدى من حوى الحياتين طرا

الحان والمسجد (*)

ترتدين أن أرضى بك اليوم للهوى — وأرتاد فيك اللهو عبد التعبد
وألقاك جسما مستباحًا وطالما — لقيتك جمَّ الخوف جمَّ التردد
رويدك إنى لا أراك مليئة — بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة — ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلى — ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

أحلاهما مر (*)

لم أسغ أشهى مذاقيك فما — مزجك الكأس بطعم العلقم؟
خلِّ يا دهر لغيرى مزجها — إن أحلاك لمرٌّ فى فمى

(*) الفن الحى أو الحياة الفنية : هدية الكروان .
(*) الحان والمسجد : الجزء الرابع .
(*) أحلاهما مر : الجزء الرابع .

فوق الحب (*)

صـــاحـــبى مَن ســـروره وســـرورى — فى صـــفـــاء الزمـــان يلتـــقـــيـــان
وصـــديقى من اســـتـــجـــد ســـرورا — من ســـرورى ، وإن تناءى مكانى
وحـبـيـبى من قلبـه كـيـفـما كـا — ن ، وقلبى فى الشجـو يسـتـويان
فـــالذى يرتضى العـــذابَ لأرضَى — كيف أدعوه ؟ وما اسمه فى البيان؟
ذاك فـوق الحـبيب إن كـان فـوق الحـ — ـب شـــئٌ يُرجى من الإنســـان
ذاك فـــيـــه من صــبـــغـــة الله ســرٌّ — جلَّ عن صـبـغـة الوجـود الفـانى

النـور (*)

طهـــرت بماء ســـمـــائهـــا أمم — وبه تطهّـــر روحـــهـــا الهند
والروح أولى بـالطهـــور لهـــا — نور يخـف بهـــا ويمتـــد
فـــيض يشف فـــمـــا به كـــدر — ومـــدى يفـيـض فـــمـــا له حـــد

بكاء السليب (*)

وقـــالوا خـــؤون قلت مـــهـــلاً فـــإنما — بكائى عليـــه وافـــيـــا لعـــجـــيب
لقـــد سلبـــتنيـــه الخـــيـــانة راغـــمًـــا — وإن جـــــديرًا أن ينوح سـليـب
وإنى لأبكى مَن كـــان قـــبلهـــا — يفى لى على زعم الهـــوى ويطيب

(*) فوق الحب : هدية الكروان .

(*) النور : الجزء الرابع .

(*) بكاء السليب : الجزء الرابع .

حب الدنيا(*)
معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية التى تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها ؟ أو هى دميمة والقدرة الإلهية هى التى تحببها إليها وترغبنا فيها ؟
الجواب فى القصيدة التالية أنه لا قدرة - دون قدرة المعجزات والخوارق - تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس ، على ما بها من الآفات والأرجاس !)

قالوا الدنيا الحسناء سها عنها ربٌّ لا يقبلها
بل قالوا : يحجبها عنا ، أو ينهاها ، أو يعقلها
ونرى الشيطان يزيِّنها ونرى الشيطان يدلِّلها
يا قومُ ألا عينٌ نظرت هذى الشوهاء تُمثلها ؟
ما يقدر إلا ربُّ الكو ن يحبِّبها ويجمِّلها
لولاه قتلنا أنفسنا أولم نعذل من يقتلها
أفهذى دنيا نعشقها لولا رضوانٌ يكفلها ؟
من شك فهذى قدرته فليعرفها من يجهلها !

المذكّر المنسى(*)

لم يبق من دنياك يَعنينى إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجه - إذا ما مرّ - ينسينى لا بل يذكّرنى إلى حين
أنّى - كما قيل - ابن سبعين !

(*) حب الدنيا معجزة خارقة : وحى الأربعين .

خبر الربيع (*)

يأيها الورق المخضرُّ فى شجر ... عهدى وما فيه من ذى خضرة أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى ... عيدانك العوق ذاك العطر والزَّهر
إنا سألنا ، لو عاد السؤال إلى ... فحوى الضمائر لم نعرفه يا شجر
سلنا بحقك من أين استجدُّ لنا ... هذا السرور الذى فى القلب ينتشر
كلاهما طارقٌ طاف الربيع به ... على براق من الأنوار ينحدر
سلهُ فإن لم يُجب فأنعم بمقدمه ... وافرح به ، وانتظره حين يُنتظر
إذا أجاب بأزهار مفتَّحة ... وبالسرور ، فحسبى ذلك الخبر

الطريق فى الصباح (*)

بدأت دولة الطريق ... وانتهت دولة البيوت
ضاق بالكوكب المفيقْ ... عالم الليل والسكوت

* * *

حيث يمت مسرعُ ... يتلقاه مسروعون
ما لهم ؟ أين أزمعوا ؟ ... ويحهم ! م يهربون ؟

* * *

كلما غاب مجفل ... طلع اثنان فى هجوم
ذاك ركبٌ مضلل ... حائر حيثما يحوم

* * *

حائر حيرة الأولى ... سُحروا ثم أطلقوا
وضح الصبح وانجلى ... فهو بالسحر أخلق

* * *

(*) خبر الربيع : هدية الكروان .

(*) الطريق فى الصباح : عابر سبيل .

لا أرى فـــردَ ســـاحـــرٍ فـــيك يا صـــبح بل ألـوف
كـم أســـيــــرٍ وآســـرٍ والـرّقـى بـيـنـهـم صنـوف[1]

* * *

ذلك الـطـفـل مـــا عـنـاه ؟ جـدول الضـرب فـى كـتـاب
ذلك الشـــيـخ مـــا مناه ؟ لقـــمـــة كلهـــا عـــذاب

* * *

والـفـــتـى . أين قِـبـلةٌ نحـــوهـا يـرسـل الـعـنـان ؟
غـــايـة الأمـــر قُـبلة بعـــدهـا يمسح الـدهـان !

* * *

خـــذهُم أيهـــا الـطريقْ فى غـــداة من الـصـــبـــاح
لا تـضـلـنّ بـالـرفـــيـق إِن دنـت ســـاعـــة الـرواح

* * *

إن دنت ســاعــة السـبـات ويـك ! لا تـخـطـئ الـوكـــور
كـم وكـــور مــنـاظـرات للبـيـوت اســمـهـا القـبـور !

* * *

ماذا استفدت ؟(*)

بـرئـت مـن غـش نـفـــســي ولا أقـــول انتـــبـــهـت
قـــد كـنـت ســـاهرَ عينٍ مـــســتـيـقظًا مـــا غـفـــوتُ

* * *

بـرئـت مـن غـش نـفـــســي ولـيـــتـى مـــا بـرئـت
مـــا الـعـــمـــر مـــحض نهـــار ! فى العـــمـــر للغـــمض وقت

* * *

هـــا أنـــت يـــا عـــين يـــقـظـى وهـــا أنـــا قـــد نـظـرت
مـــاذا اســـتـفـــدت لعـــمـــرى ومـــا عســـانى اســـتـفـــدت ؟!

* * *

(١) جمع رقية وهى طلسم السحر وما يستعان به من القوى الخفية .

(*) ماذا استفدت : أعاصير مغرب .

قلت للمريخ(*)[1]

قلت للمريخ أعذله ... وهو يذكي جمرةَ الغضب
ويك ! ما هذا الخراب ؟ وما ... ذلك الإغراق فى العطب ؟
أمَّ تسطو على أمم ... ولظى ثورة اللهب
ودماء كالبحار على ... عيْلم[2] للدمع منكسب
وقبور كظَّها تَخَما ... جثث الهلكى من السَّغب[3]

* * *

قال : مهْ يا صاح أين ترى ... كلُّ ما استهولتَ واعجبى
أرضكم ما زلت أبصرها ... نائيا حينًا وعن كثب[4]
هَيِّنٌ ما قد تبدّل من ... سمتها فى هذه الحقب

* * *

لا ضيف فى الخان(*)

إيه يا دنيا ! لو اسطعت سماعى ... قد نزلنا منك فى غير اتساع
أكرمينا حيثما تدعيننا ! ... أودعينا من لقاء ووداع
قالت الدنيا : لمْ أكرمكم ؟ ... كلنا فى الحق مدعوٌّ وداع
حبذا الخان ! فلا ضيف هنا ... إنما يُجزى متاعا بمتاع

* * *

تكاليف العظمة(*)

كن عظيما ولا تلومنَّ إلا ... همةً كلفتك همّا جسيما
كل راج يُلقى عليك مناه ، ... فإذا خاب كنتَ أنت الملوما
تنصف الأمة الضعيفَ ولا تنصـ ... ـف يوما عظيمها المظلوما

* * *

(*) قلت للمريخ : أعاصير مغرب . (١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب . (٢) بحر .
(٣) الجوع . (٤) عن قرب .
(*) لا ضيف فى الخان : وحى الأربعين .
(*) تكاليف العظمة : وحى الأربعين .

النعيم والشقاء (*)

ما العيش ؟ قل لى فأنت مختبرٌ ... هموم هذى الدنيا ونعماها

* * *

العيش بأساءُ ليس يجهلها ... من ذاقها أو أصاب عدواها
ونعمةٌ لا يزال يُحرمَها ... من نال منها أو من تعداها
نشتاقها إن نأت ، ونبخسها ... إن أقبلت ، جاهلين معناها
كأنها درة مسوّمة ... فى بعض سكر الحياة نُعطلها
يمنحها حاسدٌ لآخذها ... آب عليه سرور لقياها
حتى إذا ردها وأحرزها ... ادراه ما قدرها لينعاها
هذا سرور الدنيا ولذتها ... دع عنك ما شرها وبلواها
فاحسبه من خيرها ونعمتها ... إن شئت أو من صميم وبؤساها

* * *

الصنم الهاوى (*)

خبرونى عن الصنم ... أين ألقت به الحطَم
خبرونى بمصرع ... للهوى فيه والشيم
كيف باع العباد والخلـ ... ـد والحب والعظَم
والسماوات كلها ... بضئيل من القِسَم

* * *

خبرونى عن الصنم ... ذلك الأروغ الأشم
ذلك الشاهق الذى ... قصرت دونه الهمم
ذلك العابس الذى ... فى حمى الصمت ما ابتسم
كيف قِيدت لرائم ... عزةٌ منه لم ترم
كيف زلت عروشه ... من أعاليه فى القمم
كيف أمسى ورأسه ... فى الثرى موضع القدم

(*) النعيم والشقاء : الجزء الرابع .
(*) الصنم الهاوى : الجزء الرابع .

ما دهاه فما اتقى … من حذار، ولا وجم
فتهاوى بلا ونىً … وترامى بلا شمم
وتخطى عن الذرى … علمًا دونه علم
واستوى غير نادم … فى حضيض من الرجم
خبرونى وأجملوا … رب عذر لمتّهم
حكمة تلك فى الحكم … أم قضاء من القدم ؟
أم إله أصابه … حسدٌ منه فانتقم
نقمة تلك ما خلا … مثلها قط فى الأمم
ضربة تلك من الإ … ه فما عنه معتصَم
هى سوى حكمة يضـ … ـل صوابًا إذا حكم

* * *

خبرونى واسمعوا … أنا والله فى صمم
أنا فى غمرة الأسى … ظلمة فوقها ظلم
حيرة تشده العقو … ل بمسّ من اللمم
إن ويلى بسرها … فوق ويلى على الصنم

* * *

حدثونى عن الصنم … بدأ الويل أم ختم[1] ؟
زعِم القلب أنها … لوعة بعدها سأم
بلِى القيد فانفصم … وهوى ذلك الحرم
لا قرابين تُهتَدى … فى المحاريب، أو ذمم
لا صلاة ولا صيا … م ولا فتنة عمم
فليجد منه راحة … عابدٌ طالما التزم
وليثُبْ منه راضيًا … خادم طالما خدم
جهل القلب نفسه … كذب القلب ما زعم
ليته عاد فى القمم … ظالمًا كيفما ظلم
غانمًا كلَّ ما ارتضى … من ضحايا ومن نعم

(١) أى هل تحطيم ذلك الصنم هو أول الشقاء أو آخره ؟ وهل يسعد عابد الصنم بانقضاء حبه وفرائضه وتقديم القرابين إليه والراحة من كل ذلك أو هو يأسف على ما فاته من الحب وتقديم القرابين ؟

آخــذاً من دمــائنا ... ولنا بعــدُ مــا اغــتنم
إنمــا الحــب مــنــعــم ... وهــب الحــب أو حــرم
لــيــتــه لم يكن هوى ... لــيــتــه عــاد فى القــمم
لــيــتــه فى الحــضــيض لم ... يُــشــف مــن ذلــك الــنــهــم[1]

* * *

ألمى مــا ابتــغــيت من ... ناضب النفس مــصطلَم[2]
دائبًــا فــى المزيــد لم ... تســـهُ عنه ولم تنم
حــسبك اليــأس والضنى ... وجــوى الــليــل يا ألم
فــرغ المأتم والــذى ... بتٌّ تحــيــى لــه الضــرم
فــدع الــنار ينطفئ ... من لظى النار مــا احــتــدم
أيــعــود الإلــه ألــ ... ــقى بــه الذلُّ فى الــعــدم
ويك هيــهــات لامــعــا ... د ، فــطــوبــى لمــن وهــم
بــدأ الــلــيــل وانتــهــى ... وصــحــا حــالمٌ حلم

* * *

ولماذا القرد؟[*]

أرى السخف فى الإنسان طبعًا مؤصّلا ... شــواهده فى كل بادرة تبــدو
ولو لم يكن فى طبعــه ومــزاجــه ... طويةُ ســخف لا يلازمــهــا حــد
لما خص من كل الخــلائق ســخــره ... بأشــبــهــهم طرًا به ، وهو القــرد!

* * *

(١) أى ليته بعد هبوطه إلى الحضيض بقيت له رغبة الأرباب فى العبادة .

(٢) اصطلمه : قطعه .

(*) ولماذا القرد : بعد الأعاصير .

نعمة من نقمة(*)

جـلا مــعــرضُ الحب أصنافــه | نماذج من كل صنف عــجـــاب
فـــحبٌ يُلاصق هذا الثـــرى | وحبٌ يحلّق فـــوق الســحـــاب
وحبٌ يعـــيش مـــدى ســاعـــة | وحــب مــن الخـلــد رحــب الجنـاب

* * *

وفـــوّضت أمـــرى على غـــرّة | لكوبيــد يخــتـــار لى مـــا يرى
فـــعلّقنى منه ذاك الخـــبـيـ | ـث بحب تعــمّق تحت الثـــرى
وقـــال : إليك قـــرينَ الربيـ | ـع فى القـــاع يُزهر مـــا أزهرا

* * *

عــجــبتُ أنا الصــاعــد المرتقى | وســاءلت ربّىَ فى قـــســمـــتى
فــقــال انتظر ريثـمـــا ينقــضى | هواك ، أنبـــئك عن حكمــــتى
فلمـــا تقــضّى وزال الخــفـــاء | ســألت القـضــاء ، فلم يصــمت

* * *

لقـــد كنتَ تجـهل هذا الثـرى | وكنتَ تطيـــر ولا فـــضل لك
فـــهــا قــد عــرفت وها قــد علو | ت بوقـــر الرغـــام الذى أثقلك
أترضى ؟ فـــقلت نعم قـــد رضيـ | ـت . لك الحـمـــد ربّىَ مـــا أعـدلك

* * *

لك الحـمـــد ربّى إنى افــتــتحـ | ـت سمــائى بالحب شبـرًا فشبـرا
وشــتـــان فـــاتحــهـا مـغــمــضًـا | وفـــاتحـهـــا مــبـصــر العين حــرا
ملكت الوهاد ، ملكت النجـــا | د ، كـمـــا تُملكان . فــحـمـدًا وشكرا

* * *

(*) نعمة من نقمة : بعد الأعاصير .

مقدمات ما تقدم

«فيما يلى مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها :

. . . .

« . . . الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التى يعرض عنها سواك ، ممتزجةً طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما فى وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت! والوقت أيها القارئ ، أصناف : فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السماوات ومنه مايطرحه للأبقار والحشرات ! فإذا قلنا لك أحبب الشعر فكأننا نقول لك عش ، وإذا قلنا إن أمة أخذت تطرب للشعر فكأننا نقول إنها أخذت تطرب للحياة . .» .

الجزء الأول

. . . . ❋ ❋ ❋ . . . .

«أحسن فيكتور هوجو فى كتابه «وليام شكسبير» حيث قال : «ينادى كثير من الناس فى أيامنا هذه - لا سيما المضاربون وفقهاء القانون - بأن الشعر قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ؟! . . الشعر أدبر زمانه ! لكأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لن ينبت بعد ، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه . وأن الشمس كفّت عن الشروق . وأنك تجول فى مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة . وأن القمر لا ينظر له ضياء بعد اليوم ، والبلبل لا يغرد ، والأسد لم يزمجر والنسر لا يحوّم فى الفضاء . وأن قلال الألب والبرانيس قد اندكت ، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان . . .

لكأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكى على قبر ، ولا أم تحب وليدها وأن أنوار السماء قد خمدت وقلب الإنسان قد مات» .

والحقُ أنه لا فرق بين القولين . إذ الشعر لا يفنى إلا إذا نفيت بواعثه . وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوالج النفس وأمانيها ، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان . وليس من العجب أن يولد فى الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهى مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها ، غاصة بمن يمرون بها غافلين عن محاسنها وآياتها ، كأنهم سيمرون بها ألف مرة ، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة . . .»

الجزء الثانى

* * *

« . . . وقرأ بعضهم قصيدة فى وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدها بابا من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون !

ذلك مثل آخر من أ مثلة التقليد فى إنكار التقليد ، لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليدًا لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجاراةً للأقدمين واقتباسًا على الدواوين . أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء أو على مقربة منها ، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . إذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل .

فهناك إذن «مقلدون» فى كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون ، وربما كان هؤلاء أضرُّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم .

إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريف محدود ، فالشاعر لا ينبغى أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» . وكلب ما دخل فى هذا الباب – باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق – فهو شعرٌ وإن كان مديحًا أو هجاء أو وصفًا للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث . . .

وحى الأربعين

* * *

. . . .

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المُغنِّى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون . .

هدية الكروان

* * *

. . . .

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هى موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التى لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذى لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالمعدم الذى يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق !

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة .

وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور . فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضى عشرين سنة وهى تتصوره عريسًا سعيدًا لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء فى بقائه طوال تلك السنين ، فإنما من نسج التصور نخلق الحلل النفيسة التى نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان .

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق . ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة ، لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز ، وأن أجمل وجه ليمر بنا فى ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التى نراها صباح مساء .

عابر سبيل

* * *

. . . .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوربية ليو باردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«انظرُ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى الله مبتهلا إليه . أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول .

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وأننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

«غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

أعاصير مغرب

* * *

. . . .

نحن فى زمن المراجعة والتقويم .

نراجع كل شىء ، ونعيد تقويم كل شىء وننقد ونعيد النظر فى مقاييس النقد نفسه ، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذى تجرى به المعاملات بين الناس فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ، أو مقاييس النقد الذى يتواضع الناس عليه فى فهم المعانى والأفكار ، وتمحيص الأخلاق والأذواق .

روجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة .

وروجعت ، أو ينبغي أن تُراجع ، قيمة النقد الذي يتداوله الناس عند تقويم المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحفة الفنية ، فلا محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته في عالم الأدب والفن ، وقبل الاعتماد عليه في تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان .

وأول ما يُنقَد به النقد في كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو لوجه الفن وحده ، فما من نقد قط يخلص من هوى في نفس الناقد يهواه باختياره أو على غير اختياره ، ولا بدَّ مع النقد من شائبة مزغولة نعزلها قبل أن تنفذ إلى قيمة المعدن في صميمه . فالنقد الذي في الصميم هو القيمة التي تدل على المنقود وتعطيه حقه في الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزراية .

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هي البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التي يجهلها صاحبها في كثير من الأحايين ، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها من وساوس النفوس .

وليس فيما نومئ إليه من شوائب النقد على هذا النحو شيء جديد . فقديما عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر لأنه من جنس المعجبين به أو من أبناء نحلتهم في الدين أو شيعتهم في السياسة .

ولكنّ الجديد في هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررة في دعوة مدبرة ، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل ، ويصدرون عنها في تقريظهم ونقدهم ، وفي ثنائهم وتشهيرهم ، ويتخذونها سبيلا إلى ترويج دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية ، بمعزل عن الفن والأدب ، وعلى علم بالتلفيق والعوج في القياس ، إذا لزم التلفيق أو العوج في خدمة الغرض الأصيل . لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير ، والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير .

وفي عصرنا هذا ينبغي أن نلتفت إلى شوائب النقد التي عرفها الأقدمون ، وإلى الشوائب التي لم يعرفوها قط أو عرفوها في حيز محصور لا يُلتفت إليه .

ولقد عرف الأقدمون فى الأدب العربى صنوفا من الإيثار والاستحسان لا علاقة لها بمزايا الفن والبلاغة ، وكان منهم من يؤثر الشاعر أو الأديب تارة لأنه على مذهبه فى التشيع وتارة لأنه على هواه فى مؤازرة الدولة القائمة من بنى أمية أو من بنى العباس ، ولوحظ - مثلا - إهمال كتاب الأغانى للشاعر «ابن الرومى» .

أما الجديد الذى لم يعهده الأقدمون كما عهدناه فى عصرنا هذا فهو - فيما نعتقد أمران :

أحدهما كما أسلفنا ظهور خطة مقررة يدعمها أصحابها برأى أساسى فى مذهبهم يقضى باستخدام «النقد الأدبى» لترويج المذهب ومحاربة خصومه .

والآخر ظهور المقلدين فى حركة التجديد ، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التى لا تميز بين حقائق الأسباب .

والذين يستخدمون «النقد الأدبى» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قومٌ لهم سيماهم التى لا يختلطون فيها بغيرهم . فهم جميعا من «غير الأدباء» . . . وهم جميعا لا ينتجون أدبًا ولا يقرأون أدبًا لأنه أدب ، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر لخدمة الأغراض التى تعنيهم باسم النقد الأدبى وما هو من النقد الأدبى فى شىء . إنْ هو إلا العداوة التى تصدر عن الكراهية والاتهام ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية .

ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين فى الدعوة إلى الجديد . فإنهم لا يصلحون لقديم ولا لجديد فى الأدب ، ولا يعرفون لماذا يقرظون ولماذا ينتقدون .

بعد الأعاصير

فهرس


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨